الكتاب
وجهات نظر
في الثقافة والسياسة والفكر
مجلة شهرية. العدد الثالث. السنة الأولى. أبريل ١٩٩٩. الثمن عشرة جنيهات

محمد حسنين هيكل يكتب:

شخصيّة الملك حسين

ضرورات الفهم قبل الحكم ولكن إلى أى مدى؟

كيسنجر واللعب على حساب العرب!

إيڤا بيرون.. الأسطورة وصناعة الشهرة

خريطة الانتخابات الإسرائيلية

إذا ظهر الوباء.. فتش عن الاستعمار!

أفراح الأنجال.. صورة للترف فى عهد إسماعيل

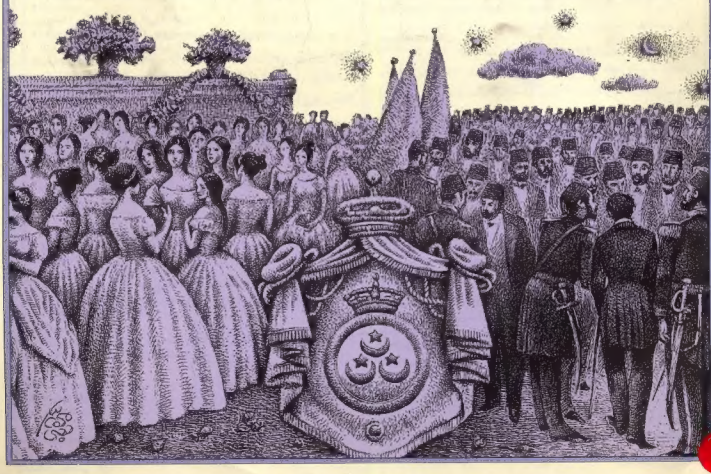

الكتاب
وجهات نظر
في الثقافة والسياسة والفكر

السنة الأولى
العدد الثالث
أبريل ١٩٩٩

رئيس التحرير
سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير الفني
حسني التوني

محتويات العدد:

- كلمة .. ٣
- محمد حسنين هيكل ٤
- «شخصية الملك حسين: ضرورات الفهم .. قبل الحكم، ولكن إلى أى مدى؟» *King Hussein: A Life on the Edge* تأليف روالاند دالاس
- فواز جرجس ١٩
- «الشرق الأوسط فى مفاوضات كيسنجر السرية: التلعب على حساب العرب!» *The Kissinger Transcripts: The Top Secret Talks with Beijing and Moscow* تحرير وليام بين
- محمد الخولى ٢١
- «قراءة أخرى فى محاضر كيسنجر: التفاوض مع الشيطان!» ٢٤
- زياد بهاء الدين
- «القاهرة مدينة تنتصر على نفسها: أم الدنيا فى عيون الخواجة» *Cairo: The City Victorious* تأليف ماكس رودنك
- مروان بشارة ٢٨
- «خريطة الانتخابات الإسرائيلية» ٣٤
- د. رشارد بيتس
- «ميسترايا الحرب ضد مجهول» ٣٤
- كامل زهيرى
- «روجيه جارودى: شاهد على القرن العشرين» ٤٠
- «أقراح الانتحال: صورة للنزف فى عهد إسماعيل» ٤٢
- من كتاب: مصرفى عهد إسماعيل، تأليف إلياس أبيرس
- رءوف عباس ٤٦
- «أزمة الكتابة التاريخية فى مصر.. تضخم فى الإنتاج وضآلة فى المعرفة» *On History* تأليف: ايريك هوبسباوم
- ايلين كيلى ٥٠
- «تشيخوف هل كان ساعية لزاء هدامة؟» *Anton Chechov's Life and Thought: Selected Letters* ترجمه عن الروسية مايكل هايم رسيمون كارلنسكى. *Chekov's Plays* تأليف رتشارد جلمان. *Anton Chek*
- دونالد رايفيلد *ov: A Life*
- صادق صبور ٥٤
- «إذا ظهر الوباء.. فتش عن الاستعمار» *Epidemics and history: Disease Power and Imperialism* تأليف شلدون واتس
- جوردون كريج ٦١
- «راى آخر فى هتلر» *The Hitler of History* تأليف جون لوكاتش
- سارة كبير ٦٤
- «إيفا بيرون بين الأسطورة وصناعة الشهرة» *Evita* فيلم من إخراج آلان باركر. *The Making of Evita* تأليف آلان باركر وتقديم مادونا. *Santa Evita* تأليف توماس إيلوى مارتينز. *Eva Peron* تأليف اليشيا أونيز. *Evita in My own words* تأليف إيفا بيرون.
- هبة رءوف ٦٧
- «التدين الشعبى من المولد إلى شم النسيم: رباط بين العقيدة والحياة اليومية» *The Pure and Powerful: Studies in Contemporary Moslim Society* تأليف ضانية أبو زهرة
- عروض موجزة ٧٠
- قراءات جديدة ٧٤
- رسائل ٧٨
- سلامة أحمد سلامة ٨٢
- «فنون» - الفكر الحافى

تصدر عن
الشركة المصرية للنشر العربى والدولى

إهداءات ٢٠٠١
ا. علاء رأفت
القاهرة

رئيس مجلس الإدارة
إبراهيم المعلم

عضو مجلس الإدارة المنتدب للتحرير
جميل مطر

حقوق نشر جميع المواد والرسوم محفوظة

كتّاب العدد:

- **ايلين كيلى**: زميل كلية كينجز بجامعة كامبردج
- **جوردون كريج**: كاتب متخصص فى الشئون الألمانية
- **رءوف عباس**: أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة ووكيل كلية الآداب
- **رشارد بيتس**: مدير دراسات الأمن القومى فى مجلس العلاقات الخارجية بالولايات المتحدة، ومدير معهد دراسات الحرب والسلام بجامعة كولومبيا.
- **زياد بهاء الدين**: صحافى وكاتب مصرى.
- **سارة كبير**: صحفية بمجلة النيويوركر.
- **سلامة أحمد سلامة**: صحفى
- **صادق صبور**: أستاذ الأمراض الباطنة بجامعة عين شمس.
- **فواز جرجس**: أستاذ مريى يشغل كرسى كريستيان أمبونسون فى الشئون الدولية ودراسات الشرق الأوسط بكلية سارة لورانس بنيويورك.
- **كامل زهيرى**: كاتب صحافى
- **محمد الخولى**: صحافى، خبير إعلامى لدى الأمم المتحدة
- **محمد حسنين هيكل**: صحافى
- **مروان بشارة**: كاتب وصحفى فلسطينى مقيم فى القدس ورئيس تحرير صحيفة «فصل المقال».
- **هبة رءوف**: أستاذ مساعد علوم سياسية بجامعة القاهرة.

رسوم العدد للفنانين:

محمد حجى - نبيل تاج - سعد الدين شحاته

يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعامات ورقية أو غير الحاسبات لكل أو ببعض المقالات المنشورة أو أجزاء منها، بغير إذن كتابى مسبق من الناشر.

المراسلات:

الشركة المصرية للنشر العربى والدولى
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت ٢٩٣٠٤٩٠ - ٢٩٣٠٤٩٢ - ٢٩٣٠٤٩٦ فاكس ٢٩٣٠٢٩٨
البريد الإلكترونى: e-mail: info@alkotob.com

الاشتراكات

السنة الواحدة (ثلاثة أعداد) شاملة أجرة البريد: داخل مصر: ١٠٠ جنيه مصرى - اتحاد بريد عربى: ٨٠ دولاراً أمريكياً - دول أوروبا وأمريكا وكندا: ١٢٠ دولاراً أمريكياً - باقى دول العالم: ١٥٠ دولاراً أمريكياً.
إدارة اشتراكات الأهرام - مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء ت: ٠٩٠٣٢٩١

ثمن النسخة:

فى مصر - ١٠ جنيهات مصرية. السعودية ١٥ ريالا - اليمن ١٥٠ ريال - الكويت دينار واحد - الإمارات ١٥ درهما - البحرين ١,٥ دينار - قطر ١٥ ريالا - عُمان ١,٥ ريال - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن دينار ان - ليبيا دينار واحد - الجزائر ١٠ دنانير - المغرب ٢٥ درهما - تونس ٣ دنانير.

طبع بمطابع الشروق بالقاهرة

كلمـــة..

لاشيء يعدل ثقة القارئ في مجلته أو صحيفته، كما أنه لا شيء يعدل حرص المجلة أو الصحيفة على قارئها.

في الحالة الأولى يكتسب القارئ ثقته من خلال ما تلتزم به المجلة من أهداف ومبادئ ، تقوم على احترام عقل القارئ، وتزويده بأحدث المعارف والقراءات والتحليلات في مجالات متنوعة؛ تنتقل به بين الثقافة والسياسة والفكر والفن، وتمد أمامه جسرا مفتوحا بين الثقافات وعبر القارات، تصل بينه وبين مراكز الفكر والإشعاع في العالم. وتختزل له من الكتب وتقدم له من كبار الكتاب ما يصعب أن يجده مجتمعا في مطبوعة واحدة.

وفي الحالة الثانية، تحرص المجلة على قارئها، من خلال ما تتكبده من جهد في اختيار ما تقدمه، من بين أحدث الإصدارات، وأهم الدوريات، وأشهر الأقلام العربية والعالمية.. دون أن تهمل في ذلك وقع الأحداث المعاصرة والتطورات السياسية والفكرية التي تحاصرنا من كل جانب.. بل ودون أن تغفل البعد التراثي فيما تقدمه من «كتاب في الزاوية»، أو قراءة في كتاب من كتب التاريخ لواحد من المؤرخين العظام في الفكر العربي.

وفي كلتا الحالين، فإن «الكتب وجهات نظر» تسعى سعيا حثيثا لأن تضاعف ثقة القارئ فيها عددا تلو عدد وأن توسع - شهرا بعد آخر - شريحة من يحملونها إلى بيوتهم.. وأن تستجيب، في الوقت نفسه إلى ما تعتقد أنه يلبي احتياجات القارئ العربي في العصر الحديث ، ويخاطب همومه الفكرية والثقافية والسياسية التي يحياها كلما أشرق عليه الصباح أو جن عليه الليل.. إيمانا بأن الفكر الذي لا يستجيب لحاجات الإنسان واهتماماته، لا يستحق الجهد الذي يبذل فيه.

ومن هذا المنطلق سوف يجد القارئ في هذا العدد دراسة تحليلية ممتعة عن شخصية العاهل الأردني الراحل الملك حسين، يقدمها قلم كاتب من أكبر الكتاب والصحفيين المعاصرين، عايش هذه الحقبة الهامة من حياة الأمة العربية،واطلع على أدق خفاياها، وربما شارك في صنع أحداثها وهو الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل.

كما يطالع القارئ تحليلا وافيا عن خريطة الانتخابات الإسرائيلية واحتمالات الفوز والخسارة فيها بقلم مراقب عربي من قلب إسرائيل يعرف دقائق التيارات السياسية ، والدوافع الخفية، والمنافسات الشخصية بين زعمائها.

وصفحات العدد تتسع بعد ذلك ، لعروض عديد من الكتب والإصدارات الحديثة عربية وأجنبية ، تنتقل بالقارئ من تأثير التدين على الجموع الغالبة من الناس في الشوارع والقرى والنجوع، إلى قراءة في نصوص المحادثات السرية التي أجراها ثعلب السياسة الأمريكية كيسنجر مع الزعماء الروس والصينيين ، إلى صورة تحليلية للأديب الروسي الكبير تشيكوف.

وسوف يجد القارئ بعد ذلك فرصة للاستراحة في «الزاوية» وهو يستعيد مقاطع من غزليات الشاعر الرقيق إبراهيم ناجي وغنائياته التي ملأت وجدان الملايين حين غنتها أم كلثوم.

وفضلا عن تعقيبات ورسائل القراء، يقدم العدد سجلا حافلا بأخر عناوين الإصدارات الجديدة من الكتب وعروضا موجزة لمختارات منها

... نحن نريد للقارئ أن يجد في صحبة هذه المجلة ما يمتع عقله ويثري ذوقه، ويخاطب اهتماماته.. يقرأها دفعة واحدة إن استطاع، أو يطالعها في ساعات الفراغ والتأمل والحوار الداخلي مع النفس على امتداد شهر.

وسوف يظل دائما من حق القارئ أن يلاحقنا بالرأي والنقد والتعليق.. وأن يبعث إلينا بمقترحاته وأفكاره.. فاختلاف وجهات النظر لا يفسد للود قضية. ونحن نطمح إلى الدخول معه بوابة القرن القادم بمجلة رصينة هادئة هادفة، تعيد للقراءة وظيفتها وتعيد للوعي العربي يقظته وحيويته.

وجهات نظر

فكرة هذه المجلة:

- تُقدِّم لقارئها أحدث وأهم الكتب الصادرة بمختلف اللغات - وأولها اللغة العربية - حتى يكون متابعا مشاركا في حوار الثقافات.
- تحاول أن تتناول هذه الكتب بالعرض، وتضيف إلى عروض الكتب أهم المنشورات والتقارير في مجالات متنوعة بين الثقافة والسياسة والفكر.
- تُجَرِّب النقاد عبر ما هو منشور في الكتب والتقارير وغيرها إلى محيط أوسع، وبما يجعل علاقاتها بقارئها صحية في التعرف على أحوال الحاضر وتصورات المستقبل.
- تسعى في سبيل تحقيق ذلك بشبكة من العلاقات واصلة إلى كل مراكز الفكر والنشر على اتساع العالم، تريد أن تكون جسرا مفتوحا بين الثقافات وعبر القارات.

[١]

محمد حسنين هيكل يكتب:

شخصية الملك حسين

ضرورات الفهم.. قبل الحكم

■■ إذا كان هناك دليل مادي مطلوب لكشف أحوال العالم العربي في نهاية هذا القرن العشرين ـ فإن مشهد جنازة الملك حسين بن طلال الأردن الراحل ـ هو ذلك الدليل المادي المطلوب!

وفي حقيقة الأمر فإن هذا المشهد ـ فكرة وإخراجا وعرضا ـ كان إنتاجا جديدا لنصين متشابهين سبقاه. الأول جنازتي أيضا وهو تشييع جثمان رئيس وزراء إسرائيل الأسبق «إسحاق رابين» (أكتوبر ١٩٩٥). والثاني لحسن الحظ نص احتفالي هو مؤتمر شرم الشيخ لمقاومة الإرهاب (ربيع ١٩٩٦).

والآن هذا الموكب الجنازي في عمّان.

الصور هي هي. والنجوم نفس الوجوه. والحوار تسلسل طبيعي. والمغزى، أو المعنى، أو الهدف مقارب، وقصده.

■ استيعاب صدمة مفاجئة في الشرق الأوسط جاء بها الموت أو الاغتيال أو التفجيرات الطائشة.

■ النعمل على تثبيت مواقف الأطراف فيما يسمى بالمسيرة السلمية في المنطقة ـ عند الحد الذي بلغته. وضمان الا يتراجع الحد بمقتضاه تغير الظروف.

■ وانتهاز الفرصة لمناقشة وسط فوضى المصائب عن فجوة يكون منها مخرج ولو بالهروب إلى الأمام خطوة إذا أمكن أو خطوات!

وتلك مطالب لا تختصل بالأشجان أو الأحزان. وإنما تتصل بمعارسة القوة سواء باستغلال جلال الموت أو وحشة القبور.

وليس في ذلك كله ما يسيء إلى جنازة الملك «حسين». فلقد كانت جنازة مهيبة جليلة في أبواح عديدة منها. خصوصا عندما تدافعت مشاعر الناس العاديين في الأردن وقد خرجوا يودّعون رجلا لم يعرف معظمهم في حياته حاكما غير، وهم إذ عرفوه تعوّدوا عليه. وحتى حينما كانت التقلبات الحادة تجتاح بسياساته على هذا الشاطئ أو ذاك فإنهم كانوا على اطمئنان طول الوقت معه. متأكدين من مرونته. واثقين انه في الثمانية الأخيرة من الدقيقة الأخيرة سوف يجد لنفسه ولهم شبكة أمان يقفز إليها الجميع.

إن ذلك التقدير لدور الملك ومشاعر الناس من أبناء شعبه لا يحجب ملاحظات يصح تسجيلها:

أولها: أنه من المؤكد الآن أن الملك عاد من الولايات المتحدة الأمريكية وهو في حالة «موت طبي». وكانت الأجهزة الصناعية وحدها تستخرج أنفاسه، وتستبقي دقات قلبه وإن على وهن!

وفيما يبدو فقد كانت تلك فسحة من الوقت مطلوبة لعودة الملك إلى وطنه. ولمنح بعض الضيوف فرصة استعداد للسفر إلى عمان (وقد أعلن البيت الأبيض في واشنطن يوم الجمعة ٥ فبراير أن الرئيس كلينتون سوف يكون في عمّان يوم الاثنين ٨ فبراير ـ وهكذا كان) ـ ولم يكن «كلينتون» وحده هو الذي يجب أن يستعد. وإذا وقع الانطباع مع آخرين بأن يكونوا هم أيضا على استعداد.

وربما أن فسحة الوقت كانت مطلوبة ـ أيضا ـ لإتمام الترتيبات العملية والأمنية للجنازة. بما فيها أن تتعرف القوات المشاركة في الموكب على مسالكها وسط العاصمة الأردنية.

وزاد على ذلك ـ كما تكشّف فيما بعد ـ أن فسحة الوقت كانت مطلوبة لتسوية خلافات بين أطراف العائلة خصوصا في شأن ولاية العهد. وكان الملك «حسين» من الأصل يرغب أن يخلفه ابنه «من الملكة نور» الأمير حمزة. ولم تمكنه نصائح بولية وإقليمية من إنفاذ إرادته فأعاد الأمر إلى الأكبر من أبنائه وهو «عبد الله». ثم أمر على ولاية العهد له ـ «حمزة» متخطيا بذلك أربعة من أبنائه بينهم الفتان من ام وُلدت عربية مسلمة هي الملكة «عالية» (طوقان) أنثى قتلت في حادث سقوط هليوكوبتر سنة ١٩٧٧.[١]

ويبدو أن مجلس الوزراء الأردني لم يكن مطمئنا إلى توصل أفراد الأسرة لحل سريع. ولذلك انفتق مع الأمير «عبد الله» على أداء اليمين الدستورية نائبا للملك دون انتظار ـ لكنه في اليوم الثاني مباشرة نادى به ملكا ـ لأن الخلافات العائلية أمكن تسويتها على نحو غير متوقع في الساعات القليلة التي فصلت بين يمين النائب، ويمين الملك!

ثانيها: أن مراسم الجنازة طالت بأكثر مما هو ضروري ـ خمس ساعات تقريبا ـ ولئن قبل إن ذلك كان ضروريا لإظهار تَحَلُّق الشعب بملكه. فإن ذلك القول ينسى أن مشهدا حقيقيا أو صورة صادقة، بل دمعة صامتة ـ تستطيع

كان أنين موسيقى القرب الاسكتلندية وأهات النفخ في الأبواق على حواف القبور أقرب إلى تقاليد الجيش البريطاني في دفن قتلاه أثناء حروب المستعمرات، منها إلى أي موروث عربي أو إسلامي

مع الملكة دينا الزوجة الأولى

مع شقيقيه محمد وحسن..

الملك صبيا..

King Hussein: A Life on the Edge

(الملك حسين : حياة على الحافة)

Roland Dallas

London: Profile, 1998. 296 pp. £17.99

وفي لمحة بصر إظهار ما تعجز عنه مواكب بطول عشرات الكيلومترات.

وينشرح تحت هذه المداخلة أن بعض المواقف في مراسم الجنازة بدت مُستَفزّية إلى درجة توحي بأن جهات متعددة تشاركت أو تداخلت في وضع الترتيبات:

● وهي سبيل المثال فإن الحصان الذي لا يركبه فارس ويتدلى الحذاء الطويل لذلك الفارس مقلوباً على الجانب الايسر للسرج، لا يتصل مباشرة [٢] بتقليد عربي أو إسلامي، وإنما بتقليد أمريكي يرجع إلى أيام غزو الغرب والحرب الأهلية بين الولايات. ونفس الشيء ينطبق على طقس إلقاء النظرة الأخيرة على جثمان راحل مسجى أمام زواره، فذلك طقس بدأ في أوروبا وشاع في طروف الحروب الصليبية حين كان رفات المحاربين يعود من القبرة الطويلة في الشرق ثم يُعرض أمام الأهل والأقارب والأتباع لنظرة وداع قبل الغياب النهائي!

● يلحق بذلك أن أنين موسيقى القرب الإسكتلندية وآهات النفخ في الأبواق على حواف القبور أقرب إلى تقاليد الجيش البريطاني في دفن قتلاه أثناء حروب الستعمرات (في الهند مثلاً) منها إلى أي ممورث عربي أو إسلامي.

● وربما أن موكب العزاء الطويل الذي اضطر فيه الملك «عبد الله» وأخوته إلى مصافحة أعداد هائلة من الناس وتجاذب الحديث مع معظمهم بعد انتظار طويل لدورهم في الصفوف، ويتبعهم ملوك، ورؤساء، ووزراء، وسفراء، وأمراء، وجيوش، وزعماء أحزاب، إلخ، كان الإسهام العربي البارز في مشاهد الجنازة. وربما أريد له أن يسترجع العادات القبلية والعشائرية!

وقائعها: أن تخيرا من الكلام الذي قيل في مناسبة الجنازة وبعدها تجاوز ما يخص الملك «حسين» نفسه. والحاصل أن الملك كان إنساناً يملك صفات تُملك النظر، وله مواقف شديدة الأهمية. ومحاولات اختنه جريئاً إلى مهاوي الخطر. ولكن بعض العبارات والشهادات التي احتواها النص الثالث الجنائزي بدت تُرْبِئاً على السياق ومبالغة لا يقتضيها حواره. وإن ذلك إن يقال إن الملك «حسين» كان «عميد السياسة في الشرق الأوسط». وكان «أعظم شخصية في القرن العشرين». وكان ملاذ الشعوب. «يتجه إليه الجميع لطلب المرشد حين الحاجة إلى النصح».

وكلها تجاوزات تسيء إلى الرجل بغير ذنب. لأنه لا شيء يسيء إلى رجل أو إلى حدث مثل المبالغة حين تجمع عن حدودها المنطقية!

ولحسن أن الملك «حسين» نفسه لو عاد للحياة معجزة سوف يكون أول مُستَغرب لما قيل عنه بعد وفاته ولم يسمح منه شيئاً في حياته. ولعله كان يفضل هنا أيضاً، «ونستون تشرشل، رئيس وزراء بريطانيا حين ذهب إليه مساعده «وليام ديكون» يحمل مقالاً عنه كتبه الأستاذ «إيشيا برلين، أستاذ الفلسفة بكلية «جميع القديسين» في جامعة «أكسفورد». وكان المقال مغالياً في إشادته بمزايا «تشرشل» والتحدث عن عظمته وعبقريته. ويظهر أن «برلين» كتبه في ساعة نشوة وانبهار. وقرأ «تشرشل» المقال وأعاد قراءته ثم كتب على هامشه بخط يده جملة واحدة نصها: "Too good to be true" وترجمتها: جميل جداً إلى درجة أنه لا يمكن أن يكون حقيقياً!

وإنصافاً للمغفل - قبل الإنصاف للملك أو للرجل - فإن ليس في مقدور سياسي مهما فعل أن يتجاوز بدوره مواد بلاده المادية والمعنوية. والأردن وطن عربي كريم. لكن التقول لا تصنعه فضائل البشر. وإنما تفرضه عوامل أخرى. إلا

وربما استطردت من هنا لأقول أن معرفتي بالملك «حسين» كانت وثيقة. وأظن أن ذلك كان تقديراً أيضاً - وأزعم أنني خالطته عن قرب ومن زمن. فقد تقيته لأول مرة وعمره الثاني عشر عاماً. وكان ذلك عندما ذهبت لمقابلة صحابة مع والدته الأميرة زين، (وهي سيدة شديدة الذكاء شديدة التطمح) في فندق «شبرد» القديم في القاهرة - سنة ١٩٤٧ - وكانت بوعها زوجة وابن عمهما الأمير «طلال» (وأصبحت فيما بعد ملكة على الأردن وظل لها اللقب رسمياً حتى توفيت).

ثم صادفت الملك «حسين» بعد ذلك مرات عديدة بركب «راجلة» في حديقة قصر «رغدان» نفرّ جدّاً - وكنت وقتها مراسلاً مُشْجَوْلاً له «لمحار اليوم»، في الشرق الأوسط مستغلاً باستمرار بين عمّان والقدس وبيروت - وكان قصر «رغدان» أهم بؤرة في السياسة العربية في ظروف حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ - ولذلك كثر ترددي عليه للقاء الملك «عبد الله»، وكثرت رؤيتي لحفيده ووقوفي مرات عديدة معه.

ثم تابعت الملك «حسين» بعد ذلك عدداً اغتيال جدّه - وكنت أعطي الحدث (سنة ١٩٥١) حتى كادت المفاداة يواليه الأمير «طلال» ملكاً على الأردن.

ثم عُدت إلى متابعته أثناء مشاورات سياسية وعائلية جرت في قصر «سمان»، وكان يديرها رئيس وزراء العراق «نوري السعيد» (باشا) والسير «الينك كيركبرايد» المُعتَمَد البريطاني في عمّان، ومعهما الجنرال «بلجوت جلوب» (باشا) قائد الفيلق العربي -! - وكان موضوعها مشكلة الملك «طلال». وقد أصبحت هذه المشاورات مطبوعة إذ روايات وحكايات شاعت وذاعت عنه - ثم تقرر بعدها إعفاء الملك وتم ترحيله إلى إستانبول حيث الخمّر عليه وتم ترحيله إلى إستانبول حيث أودع وسط للأمراض النفسية قضى فيه بقية عمره. وكان يمكن للعرش أن يؤول بعد الملك «طلال» إلى شقيقه الأمير «نايف» - لكن في حالة الإنباء والرسل. وتلك مسألة مختلفة!

وبعد يكن فإنه في حالة الحشد الدولي الموجود الذي اكتشف عدم الرغبة لدى الجميع حول جثمان الملك «حسين» - فقد يكون التجاوز والمبالغة مطلب إضافي هو تدبير هذا الحشد الدولي المكثف عدم الرغبة لدى اليوم بأهدافه الحقيقية الأصلية؛ وهي أهداف البشرية التي أعلنها من قبل وبيننا: «استبعاب صدمة» وتثبيت موقف» وانتهاز فرصة».

وبهذا المقياس فإن جنازة «رابين» كان هدفها الرد على اليمين الإسرائيلي الذي قام باغتياله. وبالتمر «شرم الشيخ» كان هدفه الرد على اليمين (!) الإسلامي الذي فجّر فنادقه السياحية في القدس وتل أبيب. وجنازة الملك «حسين» لها بالطبع هدف سياسي إضافي ومستجد. (سوف يكون أقوى فيما بعد) وذلك هو التضمير الوحيد والمفهوم لتطريقة التي تم بها ترتيب جنازة الملك - خصوصاً إذا تذكر ذاكر ما كان يُكتب عنه أيام حرب الخليج (١٩٩٠ - ١٩٩١) ثم يُقارنه بما كُتب عنه - وهو نفس الرجل - حين مرضه ووفاته (١٩٩٨ - ١٩٩٩).

ثم بتضح جهده المقارنة أن هناك عدواناً على حُرمة الوعي - وعلى قواعد العقل في آن واحد!

ولو أتيح لأحد الأمير «عبد الله» أو الأمير «حسن» أو أحد أعضاء العائلة المالكة الأخرى أو حتى لأحد أصدقاء الملك «حسين» من أشقاء الملك «حسين» ما أسماء بالقطاب الأبيض عن دوره في حرب الخليج - ثم أصغى إلى قراءة بعض ما يُقال ويُكتب هذه الأيام عن وفاة الملك «حسين» - لهاله الفارق وخصوصاً ان مسافة الوقت قصيرة. وسمعتها بالشهور وليست بالسنين بحيث يكون الزمن قد فعل فعله وأسقط غبداره أو أسدل استاره على الصور والصفحات!

وتلك - أيضاً - مسألة مختلفة!

ولكن إلى أي مدى؟!

المشاورات استبعدته في اللحظة الحرجة، وكذلك اصبح «حسين» مقتاً على الأردن.

وكان فارق السن بين الملك «حسين» وبيني اثنى عشر عاماً ـ ولم يكن هذا الفارق في السن تلك الأيام يسمح بالكثير من أن أراه وأقابله وأتابعه ـ لكنه مع ذلك لم يمنع الفجوة الكبيرة والتوقعات والأوضاع في العالم العربي فإن ثم الفارق في العُمْر وأمر يخالفني ـ ربما وجيهاً وطبيعياً ـ بما سمح بحلاقة ثوبانك بالثياب ذات الأناقة والخشانة، الغرابا وتباعدا، لكنها ظلت موصولة، حية، ويلتقي.

ولم تكن عاقتي بالملك «حسين» بسيطة، ولعلها كانت أقرب إلى أن تكون عاقة مركبة، وفي بعض الأوقات معقدة!. ـ والسبب أن كلينا كان يعرف أنه ينصرف حيال الآخر من موقف مختلف. فهو ـ في اعتقاده واعتقادي ـ يقف على غلطة ـ وبتلمس المعاذير ـ وفي اعتقاده واعتقادي ـ فقد كنت أقف على الغلطة نفسها، لكنا نرفع الشقاشق أقمنا صلات بين ويلين، فلا كفاءة لغارق مستغرق في الشأن العربي العام مع اختلاف التقديرات والضرورات أدق كل منهما، ومع دواع كثيرة تقتضي حسن لقاء بعد الضفاء!

واذكر على سبيل المثال اثنى سنة ١٩٩٠ فضلت ان الأمسور وصلت بيننا إلى درجة الطبيعة. لأنني نشرت تحت عنوان «الانفجار» عن كتاب في نوفمبر سنة ١٩٩٧ ـ وفي الكتاب فصول تناولت دور الملك «حسين» في تلك الموائمع، وبينها انه كان يعرف الكثير من تفاصيل مؤامرة جَرّ مصر إلى فخ تلك الحرب، وأن صديقه نجاجي إلى القاهرة في ٢٠ مايو ١٩٦٧ ـ أي قبل بدء الهجوم الإسرائيلي بأيام ـ وتطوعه بدخول المعركة مع مصر والتعرفات السياسية والعسكرية التي صدرت عن مصر ـ تقرير جميعها إسناداً لطرحها وثائق تحلل بتفصيلات وإشارات قرأني إلى مذكرات الملك ـ على أني تقدير.

وقد نَرَدّدت يومها في نشر ما ظهر لي من «دور الملك «حسين» في تلك الوقائع باعتبار أن الأمر خطير وأن الملك «حسين» على قيد الحياة، لا كان سيلمه. لكني اشتهيت أني أنا في مثل هذه الظروف قبل الثمصيحات والإشارات إذا كانت منصفة متكاملة تنفي ـ خصوصا انه في منعطفات سياسية من نوع ما جرى سنة ١٩٦٧ ـ ان يكون هناك فعل ذلك البطين الدافع، لأن الجميع تعلموا في درس السويس سنة ١٩٥٦ أن يكرروا الخطأ الذي وقع فيه «دافيد بن جوريون» رئيس وزراء إسرائيل حين أصرّ على كتابة خطة وتفاصيل المؤامرة الثلاثية على مصر بينه وبين رئيسي وزراء بريطانيا وفرنسا (إيدن ـ وموليه) في صورة معادة يوقعها الأطراف (معاهدة سيفي) ويتلقون على إبقائها سراً في عالم لم يعد فيه سراً يملن سوّ.

وهكذا نشرتُ سنة ١٩٩٠ ـ وبخير أتمها ـ ما توصلت إليه بشأن دور الملك «حسين» في خريف سنة ١٩٦٧، وقلتُ ان تلك نهاية الطريق في علاقتي مع سيدنا عمّان.

[٢]

ولم تكن مُصيبتي في تلقي، وكان الملك صاحب الفضل.

ولأذكر حدثاً بعد شهور من نشر كتاب «الانفجار ١٩٦٧» (فبراير ١٩٩١) ـ ان انفجاراً من طراز آخر وقع في الشرق الأوسط حين أقدم صدام حسين على احتلال الكويت (أغسطس ١٩٩٠). ثم توالت الحوادث خاطفة إلى «عاصفة الصحراء» (يناير ١٩٩١) ـ وكان للملك «حسين» في أجواء تلك السنة الحافلة وزنه وأضواؤه وأظلاله، وكان الموقف فإنه كان السياسي العربي الوحيد الذي ظل من البداية

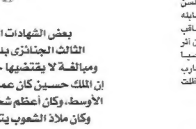

بعض الشهادات التي احتواها النص الثالث الجنائزي بدت تزيدا: على السياق وممالغة لا يقتضيها حوار. وعن ذلك ما يقال إن الملك حسين كان عميد السياسة في الشرق الأوسط. وكان أعظم شخصية في القرن العشرين، وكان ملاذ الشعوب يتجه اليه الجميع لطلب الرشد حين الحاجة إلى النصح

الهجوة العربية مع فيصل ملك العراق.

والى فيوم الثنائي كان معنوي معه، وقد استقبلني في مكتبه في قصر «النوذ»، ولم تقع عودة إلى ما سبق، ولا تمهيد يشرح أو اعتذار، وإنما التفتيشا وتحادثنا وكأننا افترقنا بالأمس على موعدنا اليوم. وجلسنا معا من الساعة الحادية عشرة في الصباح وحتى الساعة الثامنة في المساء. وتدفيئنا وتَحْشيا معا. وأجاب عن كل ما سألته فيه، واستدعى مستشاره السياسي وهو يومها السيد «عدنان ابو عودة» فانضم الينا وهنه نقلات من الوثائق تضيف إلى رؤية الملك ورواياته

منذ ذلك الوقت سنة ١٩٩١ ظلت التقى الملك «حسين» عدة مرات في السنة، وأكثر فأكثر قابلته في لندن. وساعد على ذلك انخا نتزل نفس الفندق فيه «كلاريدج» وحتى بعد أن اشترى ذلك قصراً في «نتسنجتون» (لإقامة في العاصمة البريطانية، وقصراً في الريف القريب منها (Surrey) لعطلات نهاية الأسبوع ـ فإنه استقر بجناح في فندق «كلاريدج» أخذت شبه مكتب في قلب العاصمة البريطانية.

وفي اليوم التالي مباشرة تقلبت ـ عن طريق السفير «نبيه النمر» ـ رسالة من القصر الملكي في عمّان مؤداها أن الملك يتمنى لقائي في أي موعد يناسبني، وهو يقول: «إن الخير إلى هناك، كذلك بالنص.

وأنمعت أعمالاً تتصل بإعداد مواد ذلك الكتاب الذي شرعت فيه ثلاثة أسابيع برعاية كولينز» (وأصبح عنوانه بالفعل «الحسين والنصر»). ثم قصدت إلى عمّان بعد شهر من دعوة الملك.

إلى النهاية على اتصال بجميع الأطراف، مُتابعا لكل التطورات. وكان من حقه أن أصحاب القرار العالمي في واشنطن ـ وهم يعرفون أحواله ـ تركوا له مجاله بتحرك فيه بحرية لم يتركوها لأحد.

وحين طلبت مني مؤسسة «هاربر كولينز» أن أضع كتاباً عن موسم الربيع الموجز من «عاصفة الكويت» إلى «عاصفة الصحراء» ـ ورد على بالي أن الملك «حسين» مرجع يصعب تجاوزه، لكني كنت أعرف مسبقاً أن ما تبتغيه كل دوره سنة ١٩٩٧ ضايقه ـ وربما أهله!

وبعد تردد رأيت أن أبعث إليه برسالة عن طريق معلقه في القاهرة ذات الوقت السفير «نبيه النمر» وكان مؤدى رسالتي:

«لستي أريد أن أسمع منه رأيه» ورواية للقصة من أفسطس ١٩٩٠ وحتى فبراير ١٩٩١ ـ وأنا أعرف في نفس الوقت أن ما كتبته من مرحلة سنة ١٩٩٧ لم يكن مُرضيا له. ولا أعتذر هنا كتبت، فلك ما توصلت إليه واقتنعت به. لكنه ـ رمن ناحيتي ـ إذا اعتذر عن مقابلتي فسوف أتفهم موقفه ـ مُقدّراً أن ذلك حقه وأبرره من غير تردد وبدون ضيق!.

وفي اليوم التالي مباشرة تقلبت ـ عن طريق السفير «نبيه النمر» ـ رسالة من القصر الملكي في عمّان مؤداها أن الملك يتمنى لقائي في أي موعد يناسبني، وهو يقول: «إن الخير إلى هناك، كذلك بالنص.

وأنمعت أعمالاً تتصل بإعداد مواد ذلك الكتاب الذي شرعت فيه ثلاثة أسابيع برعاية كولينز» (وأصبح عنوانه بالفعل «الحسين والنصر»). ثم قصدت إلى عمّان بعد شهر من دعوة الملك.

مرافق وأحد ظاهر لطمان عليه حتى جلس، ثم ابتعد وغاب. ولم تكن المقاعة في تلك الساعة بعد الظهر الباكر مزدحمة، بل إن معظم الناس كانت غالبة تنتظر ـ إلا ثلاث ولي أو أربعة جلس إليها أصحابها، وقد عرف بعضهم الملك وأحترم وأوجده دون فضول وإن راحوا يسترقون النظر أحياناً إلينا، وما انظن أن أحداً منهم ـ رجالاً أو نساء ـ تخيل أو خطر بباله شيء من الوضوع الذي تطرق إليه الملك في حديثه. فبعد حوار عام لم يستغرق أكثر من ربع ساعة ألقى إلي الملك مفاجأة أن أطباءه اكتشفوا إصابته بالسرطان (في المثانة البولية) وأنه في الغالب سوف يضطر إلى جراحة في أمريكا. ولحظة بعد لحظة راح الملك يفرض في مشاعره ويحكي كيف عرف أنه مريض بالسرطان. وكيف كان وقْعُ الكلمة عليه حين وصلت سمعه أول مرة! أن أطباءه صارحوه بالحقيقة بدأه على رأي زوجته (الملكة نور) التي استوعبت الصدمة كان تقديرها ذلك. لابد أن يصرّح كل شيء، وألقا أن لديه الشجاعة فيما لو احتاج إلى شيء، وأنه لمن في صيني زوجته فلا لا تريستطن فهمها وشعر أنها

الثلقة دون تحديد لمعنى هذا القلق

وعندما سمع أن اطبائه ما سمح، كان اول ما فعله أن تحوّل ببصره إلى «نور». وكانت عيناها في النظرة برسالة تشجيع وأمل. وفي اعتقاده الملك ما سمع هادئاً ومُطْلقاً لأعصابه بالغة على المخاطر، وكما قال فقد تمثل الخطر في فكره أولا مع احتمال إسرائيل لنصف مملكته، لكنه بعد ذلك راح يكتشف أنه امام خطر من نوع مختلف عن كل ما واجهه. «هو الآن أمام عدو لا يستطيع أن يراه، وهذا العدو هو في جسده وداخل كيفه موقعاً في عدة مواقع، وهو غير قادر على رصد حركة هذا العدو، وغير قادر على مقاومته، وغير قادر على الدفاع عن نفسه، وحتى حين بدأم فإن هذا العدو سأهر، فمن يعمل لكي هذا العدو متفرق له، وفي خاتمه المطاف فإن هذا العدو غير مستعد لمساومة ولا للاستسلام، (قالها الملك) وهو يحاول أن يبتسم) ـ وفي الليلة التي عرف فيها أن السرطان معه في فرائسه، تحت الأطبة والملاءات، داخل جسمه في عُمْق خلاياه ـ «ان يصارحه أن يفحص نفسه» ـ وكان يحس بزوجته «نور» إلى جواره، وقد تكتمت كثيراً من آلات بالصمت، ولعلها أحست أن زوجها يحتاج إلى بُعْد وحده، ويستوعب. وقرب الفجر قال لها: «إنه سوف يناو، فهذه ليست مصكرته وكم أنها تجري داخل كيانه، غير أمر طبيعي، وحين دخلته «نور» عن إمكانيات العلاج المحدد، كان رده عليها: «إن العلم قد يكون شفاعة لدى المقادير. مقبولة أو مرفوضة».

.....

.....

وعاد موضوع مرض الملك بعد شهور قليلة ـ سبتمبر ـ إلى حديثنا، فقد قصد الملك إلى «مايو كلينيك» وأجرى جراحة استئصال للكلية، وعاد إلى لندن. وقال لي حين لقيته: «إنه بإذن هذا أيضا يستود فيها بعض العافية بعد الجراحة، وخصوصا أن الإخوة والأهل هناك يريدون أن يجعلوا من عودتي مناسبة فرح. وبالتالي فهو تعتقد أن تحضر في فك رموزها» وقلت له: «ليست المناسبة بالفعل فرحاً» ـ وقد بدر بسرعة «والله لا أعلم»؟!

وكانت شفاعة الملك لدى المقادير قد نجحت في هذه سنوات ـ إضافة إلى عمره.

ثم وقع ما لم يكن منه مهرب حين بُطل مفعول «شفاعة الملك لدى المقادير» وانتهت حياة رجل سوف يظل الناس حياري ـ وإلى أمد

طويل .. في البحث عن الحقيقة بشأنه، ومن هو فعلا وراء هذه الابتسامة الغريضة دائما على شفتيه؟

● وكان اللقاء الثاني - سبتمبر ١٩٩٣ - نقيضا للقاء الأول. كانت المفاجآت موجودة - كما ذكرت الغضب كانت هناك بدلا من نوعة الألم. كان المفاوض على مائدة العشاء في مطعم «سانتيني» الذي اشتهر بمطبخه الإيطالي على طريقة «فينيسيا». وكان الملك «حسين» قد سبقنا إلى هناك بالفعل ومعه الفنانة «نور» وابنهما الأمير «حمزة» وإحدى بناته الصغيرات وفي ذاكرتي - ولم أسجلها في أوراقي - أنها الأميرة «إيمان» لم وصلنا نحن (أويتي وأنا).

ومن أول لحظة وجدت الملك متألقا ومنفعلا. بينما هو في العادة منضبط وكتوم. ويظهر أن الأحداث يومها أخذته على غرة. قبل ساعات من لقائنا في «سانتيني» كان الملك قد عرف بان اتفاق «أوسلو» سوف يجري توقيعه - في واشنطن بين «ياسر عرفات» رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، و«اسحاق رابين» رئيس وزراء إسرائيل. وبحضور رمزية «بيل كلينتون» رئيس الولايات المتحدة.

وقد تضايق الملك - فيما يبدو - لأن أحدا لم يخطره بشيء، ولم يستشره في شيء. ولم يدعه إلى شيء. وعلى نحو ما، فقد كان إحساس الملك بـ «الخفاء» أقوى من سيطرته على أعصابه.

إن قمة «أوسلو» في حد ذاتها لم تكن غريبة عليه ولكن إعلان الاتفاق فجأة، وكان الملك على علم بوجود اتصالات واجتماعات بين الإسرائيليين والفلسطينيين في عاصمة النرويج - إلا أنه كعادته لم يُدْلِ على ذلك أهمية تُذكر. ففي الثناء نفاه سابق قبلها بشهر (أغسطس ١٩٩٣) بمكتبه في عَمّان كان هو الذي ذكر لي بنفسه أمر هذه الاتصالات والاجتماعات في «أوسلو» - وكان تعليقه بسرعة: «لن عرفات يستطيع أن يقبل ما يعرضه رابين - وما يقبل به عرفات يستحيل على رابين أن يتقاسمه معرف منافسة»! - كان ذلك لقوله بالنص ونحن نمضي من حيث كنا نجلس في مكتبه إلى باب الشرفة خارجين إلى المصر المطويل نحو مدخل قصر «الندوة» والحرس من الشرس العسكري بلباسهم التقليدي تزينه الخناجر المعلقة من الأزمة .. يؤدون له التحية كل بضعة أمتار في طريقنا!

ودون أن يوقوا بما سبق أن قاله راودني إحساس لازمني منذ بدأت عمليات التفاوض في مدريد، وبمرتفع فخمه أن الملك يتنازل عن تشطوي الأمور إلى نوع من الشعار الأرضي لا يسعى المثله له. لكن هذا الشعار سوف يسعى للملك بطبائع الأمور.

لكن اتجاه الحوادث بعد ذلك وقد اتخذ نفسه منحنى آخر.

وذلك القليل في مطعم «سانتيني» في لندن كان اتفاق «أوسلو» أمام كل الناس ومعه الأسواء منه، وإن كان الاحتمال الفرب في واشنطن، في البيت الأبيض، وبحضور ميل كلينتون، وإلى جانبه «عرفات» من ناحية، ورابين من ناحية أخرى. بينما هو (الملك حسين) بعيد عن الأحداث والأضواء في مطعم إيطالي في لندن!

وماكنت أجادل إلى الثلاثة وأسأل الملك رأيه فيما جرى. حتى انطلق

وأنم لكن وجدي الذي انبعثت. وأحب أن الملكة نور كانت أكثر انشغالا مني.

يومها لم يكن الملك هو الذي يتكلم، وإنما الإنسان فيه بمشاعره المتناقضة لا يطيق ولا يذاريها. ولفترة ساعة لم يوفر الملك طرفا. ولم يقصر في أوصافه لأحد. وأظن أن أصدقاءه من تلك الليلة عن الأحداث والرجال في المنطقة وفي العالم سوف يظل في ذاكرتي. وفي أوراقي. شهادة لموازنة وتقلباتها على تجاذل السياسة العربية وطبائع الشاركين في صنعها على المستوى الإقليمي والدولي. وبدون مجاملة أو تزويق سوف أحاول هنا تسجيله أمينا.

وبرأي آخر، فقد كان ما يقوله - الآن - يعيد طرح حصانة شخصيته وقضية الحقيقة في شأنه.

.. الكوفاكولا مع الحسن الثاني على المغرب

كانت الساعات بين أداء الصلوات شكرا وتصفية الحسابات مع الشقيق على أساس أنه عربي. تؤكد لي بهمه الدرس أن الحضارة والتكنولوجيا لم تتركا في العالم الثالث إلا خدوشا على السطح، وأما تحت السطح فمعظمه لايزال حضارات كان عليق قرون من الزمان. . .

فسوف يتذكر أن الجغرافيا كانت شديدة الصرامة مع الابن. فقلد دولة اصطُنعت بقرار سياسي خالصا لها هو طبيعي في نشأة الدول. وكان إنشاؤها بتوجيه من «ونستون تشرشل» وزير المستعمرات البريطانية أثناء مؤتمر عُقد في القاهرة برئاسته في فندق «سمير اميس» وعلى جدول أعماله مستقبل المستلكات البريطانية في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى وما وقع خلالها وبعدها من أحداث أهمها معاهدة «سايكس بيكو» التي قسمت إرث الامبراطورية العثمانية النصية بالاتفاق بين بريطانيا وفرنسا. ومن ثم رسمت للمنطقة خريطة جديدة.

كان وزير المستعمرات البريطاني «ونستون تشرشل» هو المهندس الأول للخريطة على الجانب البريطاني. وقد راح يخطط. ويبن ما خط موقع تخبر الذين رسموه في اختيار اسم له. ثم كان أن استعملوا وصفا جغرافيا بسيطا هو «شرق الأردن». والمول أن تسمى في العادة على هذا النحو «والخانوف أن الدول الجديدة تستعفيد اسما قديما ينسب نفسه إلى أصل تاريخي. أو سلالة شريف. أو قبيلة. أو نهر، أو حتى تلة - لكن نسبة الأوطان إلى اتجاهات أو مواقع على خريطة. سابقا لم تحدث من قبل.

وعلى أي حال فقد كانت للضرورات أحكامها. وظهرت إمارة «شرق الأردن» و«عبد الله» على عرشها.

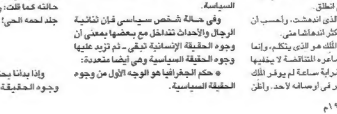

لكن الخريطة على علتها موقع آخر اختارته أصحابه أسما من أساطير التاريخ وليس من تضاريس الجغرافيا: إسرائيل.

والواقع أن قرار إنشاء «شرق الأردن» يعكس اعتبارد ملحقا إضافيا إلى معاهدة «سايكس بيكو». وهو رابط بينها وبين وعد «بلفور» الذي أعطى اليهود حقا بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

والشاهد أن «شرق الأردن» تكاد تكون مساحة على خريطة تتعلق حدودها بالمطوب منها محيرا على الشرق الثاني:

● إذا كانت المملكة الجديدة هي «شرق الأردن» - فأين غرب الأردن في فلسطين حيث اعطت معاهدة «سايكس بيكو» حقا بإنشاء دولة يهودية. وإذا كان إنشاء دولة يهودية مطلوبا - كما تقرر في مؤتمر فرساي - بريطانيا وغربية إذا أعكن - تصبح مطلوبة. على طريقة.

● إن موقع «شرق الأردن» - محصورين بين العجاز (المملكة العربية السعودية فيما بعد) وبين سوريا - وفي نفس الوقت محصور بين العراق وبين الدولة اليهودية المرغوبة - وإلى حد ما بين العراق وسوريا أيضا.

٣- إنه مع ظهور احتمالات البترول المؤكدة في مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية - في حاجة مرافقة وحراسة - بريطانية وغربية إذا أعكن - تصبح مطلوبة. على طريقة.

٤- إن موقع «شرق الأردن» - محصورين بين العجاز (المملكة العربية السعودية فيما بعد) وبين سوريا - وفي نفس الوقت محصور بين العراق وبين الدولة اليهودية المرغوبة - وإلى حد ما بين العراق وسوريا أيضا.

٥- إنه مع ظهور احتمالات البترول المؤكدة في مناطق الخليج وشبه الجزيرة العربية - في حاجة مرافقة وحراسة - بريطانية وغربية إذا أعكن - تصبح مطلوبة. على طريقة.

● إن حكم الشاريع هو الوجه الثاني من وجوه هذه الحقيقة.

● ويجيء حكم العسكر - المزمن - ليكون الوجه الثالث.

● وأخيرا يأتي حكم التجزيء - كما في حالة الشخص العادي - لأن الشهرية هي القاسم المشترك في توجيه تصرفات الناس خارج أحداث السياسة أو في قلبها.

وفي حالة كل الناس، فإن أحكام الوجوه المتعددة للحقيقة - إنسانية وسياسية - تسري في الأعصال وردود الأفعال بطريقة لا يكاد يلتطها احد إنها مكونات «شخصية متعاونة» لا يفصح أي جزء منها عن نفسه منفصلا عن بقية الأجزاء. بل تتفاعل المكونات طبيعيا مع بعضها - إلا في استثناءات قليلة تظل تظل فيها الوجوه المتعددة للحقيقة منفصلة. . متجاورة. لكنها متباينة!

وفي حالة الملك «حسين» بالذات، فإن الاستغناء يبلغ مداه إن الوجوه المتعددة للحقيقة تتظهر مثل الوشم مرسومة وظاهرة . ولعله الضغط الزائد عن الحد لكل وجه من وجوه الحقيقة.

والواقع، إن شخصية الملك «حسين» مما يتداخل فيها إجمالا وتتصبأ يُصَعُب فيها - حتى وإن استدعال في بعض الأحيان تبريرها - إلا بالنظر إلى وجوه الحقيقة المختلفة. وفي كل حالة فما قلت: رسوم وشم جرى رقه دقا على جلد لحمه الحي!

[٣]

وإذا بدأنا بحكم الجغرافيا وهو بالفعل أهم وجوه الحقيقة. فيما يتعلق بالأردن وملكه -

عشر مليون جنيه استرليني سنويا، نصفها لحكومة الملك «عبد الله»[17]، ونصفها الآخر لجيش يرفع رايته.

٥- إن قيام كيان سياسي في «شرق الأردن» تحميه بريطانيا وتتحكم فيه، يصنع بالفعل نقطة اتصال أساسية بين أهم القواعد العسكرية الإمبراطورية في الشرق الأوسط. وكانت قاعدة قناة السويس غربا في مصر وقاعدة الحبانية شرقا في العراق هما أهم هذه القواعد. وفي «شرق الأردن» جرى إنشاء قاعدة «الزرقاء» على الطريق وفي نقطة في الوسط تماما من خط المواصلات البريطاني بين وادي النيل وأدنى دجلة والفرات.

وهكذا جرى رسم حدود دولة «شرق الأردن»، وتعيين «عبد الله» أميرا عليها، وكذلك تقرر إنشاء جيش لها روعي أن يكون جنوده من البدو بخصوص أن ولاء المقاتل البدوي مضمون لشيخ قبيلته ـ ولو للأمير الكبير فوق شيخ القبيلة. وقد اختير لهذا الجيش اسم «الفيلق العربي»، ونُصب على قيادته ضابط بريطاني هو «جون باجوت جلوب». وبالعدد المعروف الجنرال البريطاني، فقد منحه الأمير «عبد الله» رتبة الباشوية الهاشمية فأصبح اسمه «جلوب باشا»!

ثم كان أن أصبح «الفيلق العربي» أقوى الجيوش في المنطقة بكفاءة تدريبه وكفاية سلاحه رغم صغر حجمه.

إن ذلك الدور الذي حكمت به الجغرافيا على إمارة «شرق الأردن» ظهرت فوائده في الحرب العالمية الثانية حين أصبحت منطقة «المفرق» مرتكزا رئيسيا لقيادة الجنرال البريطاني في الشرق الأوسط. كما أصبح الفيلق العربي الذي اتخذ قيادته في قاعدة «الزرقاء» طليعة القوات البريطانية التي ضربت انقلاب «رشيد عالي الكيلاني» في ١٩٤١ ـ وأعادت الفرع «العراقي» لدأسرة الهاشمية إلى عرش بغداد بعد هروبه. وقد اختير نفس الضابط البريطاني الذي حمى أصبح الفيلق العربي («الفيلق الموجود أيضا» حاليا ـ طليعة قوات الجنرال «مونتجومري» في العلمين، عندما هزم الألمان من سوريا ـ ليوليو ١٩٤١ ـ بعد أن هادوا إليها بعد هزيمتهم من حكومة «فيشي» في فرنسا بعد سقوط باريس واستسلامها أمام جيوش «هتلر»!

إن ذلك الموقع الجغرافي يبدو لنا، وقد ذهل هو الآخر وضع الفيلق العربي داخل فلسطين عندما بدأ مشروع إنشاء الدولة اليهودية يأخذ شكله النهائي بعد الحرب العالمية الثانية، وكان دخول هذا الفيلق إلى فلسطين ضمن قيادة فذة القوات البريطانية فيها وتحت تصرّف حاكمها العام الجنرال «الان كنجهام». وكان شاغل «كنجهام» في الشهور الأخيرة للحكم البريطاني في فلسطين هو حصر العنف الصهيوني ورد الفعل العربية تجاه هذا العنف، وكان العنف الصهيوني يرد فعلا العربية إزاءه كلاهما يُجرّب فيه ما يستطيع أن يفرض أوراقا على الحكومة البريطانية لكفاءة استعدادها من فلسطين، وفي ذلك الوقت كانت الخطة اليهودية تستفيد بالإمبراطورية الجديدة البائدة التي خرجت منتصرة من الحرب العالمية الثانية وفي الطليعة الولايات المتحدة الأمريكية ـ وكان رد الفعل الفلسطيني يتمثى أن يستلوي وحدات الجيوش المحيطة بفلسطين.

وهكذا، فإن حكم الجغرافيا وضع عرش «شرق الأردن» (أرض فضاء بعد) بين دولة أنسباسات، وتقاطع التيران، وضباب الحرب وبرلمانا وعدها ـ وفي قلب الحدود والتحوم بين مصر والعراق، وبين سوريا والسعودية، وبين العرب واليهود، وبين فلسطين وإسرائيل، وبين بريطانيا وأمريكا.

أربع أزمات عربية ظهر على خلفيتها ظل الملك وصورته، والأزمة الأخيرة منها كشفتها هيئة الإذاعة البريطانية في برنامج قدمته أواخر ١٩٩٨، في مناسبة مرور خمسين عاما على إنشائها: أن الملك حسين ذهب يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ إلى مقابلة سرية مع رئيسة وزراء إسرائيل (قبل أيام من ٦ أكتوبر ١٩٧٣) وحذر جولدا مائير من أن مصر وسوريا تدبران لشن حرب»

.. مع رونالد ريجان وزوجتيهما

وبالخصار.. فإن موقع الأردن الذي كان بالجغرافيا الطبيعية بقعة ساكنة على الخريطة ـ أصبح بالجغرافيا السياسية لوحة بركانية متفجرة أو مستعدة للتفجير عند أي حركة مصدوية أو غير مصدوية.

ذلك عن حكم الجغرافيا وقد كان قاسيا!

[٤]

إذا كانت تلك قسوة الجغرافيا على مملكة الملك «حسين» وقت إنشائها في عهد جده، فإن قسوة التاريخ كانت أشد.

إن المملكة كانت بغير تاريخ قريب يخص الشعب الذي يعيش فيها حين انشئت الدولة الجديدة واقبع عرشها ـ إلا بعلدرا ما يخص التاريخ العربي في مجمله كل العرب في عمومهم.

والشاهد أن المنطقة التي انشئت فيها إمارة «شرق الأردن» كانت محرومة من وفرة الموارد، وإنما فإنها لم تعرف مجتمعات مستقرة تنتج وزاعما بعض العصور تراكمات حضارية متواصلة.

ولأن المنطقة كانت قبل الإسلام وبعده مسالك طرق من الجنوب إلى الشمال، وبين الشرق إلى الغرب ـ فقد ظهرت عند بعض تجمعها آثار شعوب وإمبراطوريات عالا تفوتها في المنطقة. ومنذ جيوشها لو سارت قوافلها عبر الأردن. ثم إنه على طرق زحف الجيوش وحركة القوافل تنشأ مراكز محدودة للعمران فقد أثارها باقية مثل محمد «بترا» والمعبد الرومانى في قلب عمّان. ثم عثر لبعض فُرَق الفتح العربي لنشام استشهدوا بأسيف في الجهاد، ثم بالعطش وسط الثيه. ثم دُفنت في بروم شاهدا إيّا صدق الرواة. كذلك بقيت أطلال يريد أيها في زمانها أن تكون حياة بعيدا لبعض أمراء الأيوبين إذا أوحشتهم عتاد الصحراء.

لكن المنطقة في عمومها أحوالها كانت عمرا أكثر منها مستقرا، وتغيّرا أكثر منها ثقاما.

[٥]

كانت عمّان التي وصل إليها ركب الأمير «عبد الله» شديد السعادة بالإمارة التي أقطعه إياها وزير المستعمرات البريطاني، وقد قال وقتها، وظل يقول حتى سمعتها منه سنة ١٩٤٨ ـ أن هناك «عالم دون ملوك، وعالم «ملوك بدون ممالك»، وكان يُصرّف المعنى على هواه وهوى سامعيه. فـ «المملكة بلا ملك» في بعض الجلسات في السعودية، وفي بعض الجلسات في العراق ـ بل وفي إحدى الغرف ـ على الأقل ـ في مصر ـ فكنه هو «عبد الله بن الحسين» في كل الأحوال كان «الملك بلا مملكة»!

وفي مصيم قلبه ـ وعلى لسانه إذا وجد من يسمع ويفكر السر ـ فإن ذلك «عبد الله» لم يكن سعيدا على الإطلاق بين براهم حوله من ملوك العرب: فالملوك السعوديون مُغتصبون للملك «مرتين» من أسرة «الرشيد» في نجد، ومن أسرته هو ـ والده «الحسين» ـ في الحجاز. والملوك للمصريين «الميان» ـ لأهم من العرب ولا هم من قريش، ثم إنهم يتعاملون مع بقية الأسراء باستعلاء رغم ثغم بلا حَسَب ولا نَسَب يعطيهم سند الشرف. وحتى طول العمر الذي رغم أنهم أخبرته وأبنوا هم ـ حسانوا الآخ والابن، وخطوط العمر الذي مسالوه من يستحقه وهو (عبد الله) أولهم وأكثرهم جدارة لانه اكبر من تطلعهم ـ الملك «فيصل» وأسبق في الاتصال بالإنجليز لترتيب الثورة ضد العثمانيين.

ومن هنا كانت المفارقة. فإن تاريخ الهاشميين يصبح مقدمة لا غنى عنها في فهم سياسة الأردن من عصر الجد، عبد الله بن الحسين» إلى عصر الحفيد: حسين بن طلال»!

[٦]

■ وتاريخ الهاشميين بالدرجة الأولى مشكلة.

■ وحكايتهم من الأمن السابع للميلادي وحتى القرن العشرين مأساة.

■ ثم إن التحديات التي صنعوها وصنعتهم ـ مشكلة ومأساة ـ ترتّب آثارها على وعي التاريخ الإسلامي، وعلى السياسة العربية المعاصرة من وقتها وإلى اليوم ـ وكانت النتائج ـ وإزالت ـ تُرهقُ!

.....

.....

ذلك هو الملخص بدات حين تصور البعض من أسرة الرسول ﷺ أن لهم حقا في خلافة، ثم رأت غالبية من المسلمين أن الشورة ليست مَلكا يؤول إلى عائلة «محمد» ﷺ بعد انتقاله إلى الدار الأخرة.

وكانت تلك هي القضية المثارة عقلا أو معسا في المجتمع الإسلامي طول العهد الأكبر من عصر الخلفاء الراشدين، وكانت ضمن العوامل التي أدت إلى انقسام الكبرى وقد جسمها «معاوية» ـ أو هكذا بدا وقتها ـ بقيام دولة الأمويين.

■ وكانت المشكلة أن «معاوية» لم يكتف بالتصدي كما فعل «أبو بكر» و «عمر» و «عثمان» و «علي» ـ وهم إذا قد تصدوا فقد رفض «علي» (وهو أول خليفة من أسرة الرسول ﷺ) ثم أن «معاوية» قد أقام الإسلام الأموي في تجربة سياسية دولة قوية (تحولت إلى إمبراطورية بالمصطلح الغربي) ـ وهي دولة لم تكن طول عمرها على استعداد ـ بالطبع ـ لقبول دعاوى الأفضلية في الخلافة لغيرها، وكان من النتائج ما سُمّي في الأدبيات الإسلامية بـ «مصارع الطالبيين» (نسبة إلى «علي بن أبي طالب»)، وكان أشهرها مذبحة كربلاء واستشهاد «الحسين».

واستلحقت المشكلة واستحدثت المأساة حينما اختلطت أسرة النبي ﷺ نفسها عن بعضها ـ هاشميين وعباسيين وعلويين، إلى حد أن «الأمين» كان واحدا أشد على بعضهم من شدة غيرهم عليهم!

ونتيجة التفاعل بين المشكلة والمأساة تحولت الحقائق التاريخية عن المجتمع الهاشميين كما صنعتهم، وهي بالخصار (وحتى لا يتوه أحد في سراديب الماضي وكهوفه) ـ كما يلي:

١ـ إن الهاشميين اعتقدوا ونظروا على اعتقادهم بأنهم أصحاب حق في الولاية الأمر ـ ومنظلهم أن صاحب حق لا يمكن أن تكون مصادره.

٢ـ إن عامة المسلمين، الغلبية المسلمين، لم تعترف لهم بهذا الحق منذ فجر الدعوة لأن الرسالة اختيار إلهي لرجل اصطفاه ربه وحده، وأي تعسير عن أسرته ـ بالتالي في الإسلام من الخلافة برضا الناس إلى الملك بالوراثة حتى وإن غلته مظالم العهود ـ فإن ذلك لا يكون!

٣ـ لكن الهاشميين لم يقتنعوا، ولأنهم لم

بقدرها على المطالبة الصريحة وإلا إصطنع معظم المسلمين، فإن عندهم على الأمة ظهر وزاء، فقد كان مناهم أن تقدّم لهم ما اعتادوا أن حقهم دون أن يضطروا هم إلى المطالبة به.

٤ـ وزاء ذلك توضح البعد الدولي فإن الهاشميين كما في كل ما سعوا لتحقيق مطلبهم ـ حاولوا سرا وإلم يحاولوا جهرا ـ وعلى هذا فإن دورهم عبر التاريخ اكتسب على نحو ما طابع الحبل الخفي ـ وأحيانا شبيهة بالمؤامرة.

٥ـ والشاهد أنه من عصر الأمويين إلى عصر العثمانيين ظل الهاشميون تحركوا دائما ومن وراء عواصم كل دولة إسلامية في التاريخ ومن مكة إلى دمشق، ومن الكوفة إلى إستانبول ـ وكانت حركتهم في كل الاتجاهات ومع كل قريب أو بعيد! ـ تصوره قارىء على فهم لغة الإشارات!

٦ـ وربما نتيجة ذلك أن الهاشميين صنعوا ما يمكن حسبمانات لغة خاصة تقول بالعين ما لا ينطق به اللسان، وأشار رجل توحي ولا توحد. وقد تفاقم الموقف بعد ١٩٢٤ والذي أصبح طبيعة فيما بعد ـ إلى درجة يمكن معها تمييز «أسلوب هاشمي» في الكلام أو الكتابة، يقبل كل تأويل ويحتمل أي معنى.

٧ـ ومع مرور السنين والقرون فإن الخطاب الهاشمي غلبت عليه نبرة من الإحساس بالاضطهاد والإدعاء بالاستضعاف، فالأمة ضنّت عليهم بحلمهم، ودولها الكبرى (الأمويين بالذات) قلعتهم، واستباحت ذماءهم، وأهدرت دمهم ـ ثم لم ينتصر لهم أحد رغم تعاقب الدول ـ ومع أنهم استُضعفوا ـ أحيانا ـ رايات في معارك الآخرين، إلا أنهم خرجوا في النهاية ـ وبالفعل ـ من أبنائه ـ «قبيصل» و«عبد الله» ـ عاثرين حظا منهما لنفسه على عرش: أولهما في بغداد، وثانيهما في عَمّان!

[٥]

إن الأمير «عبد الله» الذي أقام مضارب خيامه على جبل عَمّان، بدا بينى بيتا هناك ليستقر فيه، وعاني منه إرهاقا جديدا: مشرق الأردن، لم تراع بعد بضرره إلى الضفة الأخرى للنهر حيث الأرض المقدسة، ولم كان استعداد أن يتخلى المجتمع الفلسطيني الذي هزته الهلفلة العربية العامة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، والاحتلال البريطاني الأمريكي «وودرو ويلسون» بحق شعوب المنطقة، عن تقرير مصيرها، وإعلان الحق المطلق في الاستقلال، فإن هذا المجتمع ـ حيث كان الرجاء أن يظهر نظام عالمي جديد!

وفي ذلك الوقت وفي تلك الأجواء ـ فإن الحلم الذي تَبَدّى على الفور لامير «عبد الله» والذي أقنعه بقبول إمارة «شرق الأردن» مقدمة لجائزة أكبر منها ـ كان حلم فلسطين، فلو استطاع أن يمد إمارته من «شرق الأردن» إلى غربه وأهل على الضفتين الأبيض إذا فإنه يصبح ملكا مقبلا كبيرا لكل أهمية من مملكة الحراق الذي كانت من نصيب شقيقه الأصغر «فيصل»، ثم لعله إذا أخذ فلسطين لحقاً بحدها وبمائها، وإذن أصبح قريبا من الحلم الذي راوده والده وأصحابه ـ بدولة عربية كبيرة تضما الهلال الخصيب من البحر الأبيض إلى الفرات!

ولم يكن الأمير «عبد الله» في حاجة إلى جهد كبير لكي يدرك أن العقبة الكبرى أمام مشروعه هي الهدد البريطاني بوطن اليهود في فلسطين، ولقد أدرك أهمية، وعقد بلفور ـ كما أدركه من قبله لنفوذ الملك «فيصل» حين زَلّف إليه «لورانس» أن يلتقي ڤوب ـ الطنطة ـ بالدكتور حاييم وايزمان ـ رئيس الوكالة اليهودية الشهير (وأول رئيس لدولة إسرائيل فيما بعد). وفي ذلك اللقاء ـ وكما تبين من نصوص محاضره ـ فإن «فيصل» تَبَيّن له قبوله بقيام اليهود في فلسطين موجوز مرور إلى أي مملكة في الشرق ـ وقد قبل.

وقد كان الأمير «عبد الله» أكثر طموحا من شقيقه، فإنه لم يكن قطط على استعداد أن يَتَبَنّين ويقبل، ولقد كان على استعداد أن يساعد ويسهل، وهكذا فإنه عرض على الوكالة اليهودية وهاو قومبيا في إمار حكم ذاتي (فيدرالي) داخل حدود معقلة.

وبذلك العرض فإن الأمير «عبد الله» أثبت أنه تعامل مع اليهود دون أن يعرف شيئا عن حجم مشروعهم، وقد تصور أنه يستطيع أن يستعمل طموحهم لتحقيق حلمه، وكانوا أيضا على معه على استعمال حلمه لتحقيق طموحهم.

وعندما أصدرت الأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ كان قد أذلل «عبد الله» لا يزال أسير أوهامه، يتعامل مع الوكالة اليهودية، ويتأمل جميع الطلبات ـ صندين وعسكريين (وايزمان ـ جولدا مائير ـ إيجاو ساسون ـ وحتى موشي ديان) لكنه ظل وحيدي آخر نخطة أنه يستطيع إبرام حل بديالية داخل مملكته، رحقا لدم وابنائه ـ ويجه السلم!

إن الوكالة اليهودية سارت في مخططها الذي أعدت نفسها وسلاحها وتهوّدته له منذ صدور وعد بلفور، وتخلت قيام إسرائيل، وتلاءم أمير «شرق الأردن» بسرعة مع الخطط الجديد. ولم يكن لديه غير ذلك إن جيشه كان يحمل رأيته دون أن يلتزم بأمره.

ومن قبل أن يبدي موقف الرضاء في حرب فلسطين بعد إعلان قيام إسرائيل، فإن ذلك «عبد الله» رَتّب نفسه على أن يتلقى الجزء المخصص للعرب بقرار التقسيم امتدادا لمملكته، إن توافرت إمكانية لم تترك له الفرصة، ولقد بذل ما بوسعه ـ من فلسطين من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٤٩ ـ لكي يتسلّى من فلسطين بقدر ما أمكن من الأراضي الباقية، وفي سبيل تحقيق ذلك، فإن الملك «عبد الله» راح يحمل ويقاتل الوساتك ـ على خروج جميع العرب الآخرين من فلسطين، بحيث لا يظل على أرضها من العرب غير، وقد وصل في ذلك إلى حد التقاطي الكامل في النوايا ـ وترتيبا على ذلك في الخطط ـ مع إسرائيل، وكانت وظائ هذا التلاقي شديدة على الجيش المصري في الجنوب كما تؤكد الوثائق. وعندما سكتت المدافع في حرب ١٩٤٨ اشتهت، وقد استوثقت إسرائيل بالخروج المسلح على ٧٢٪ من الأراضي غرب الأردن (مرة وتصف بالزيادة عن قرار التقسيم).

وكان ان قنع الملك «عبد الله» بهذا، بل ياخذ ما تبقى غرب الأردن من أشلاء فلسطين ويضمه إلى إمارته يحوّلها إلى مملكة تحقد له المبعة عليها.

لكن الملك «عبد الله» في هذا كله كان يحتاج إلى غطاء شرعي، وكان الغطاء الشرعي جاهزا، ومن وقتها زاد التركيز على عنصر المسئولية التاريخية الخاصة، والدور السامي الخاص المؤكل إلى «الهاشميين» استنادا لهذه المسئولية.

وكانت تلك دعوة راجعة عكس حركة الزمن، وإنما في بعض آثار الماضي البعيد حتى يُسترجعها من حفائر طبقات غائرة في تربة التجربة العربية والإسلامية واعيد بعثها لكي تخدم مطالب مستجدة وطارئة، ومع أن تلك كانت علة مأساته أخذ بها الإنجليز في ظروف الحرب العالمية الأولى، فإن الاصطدار فيها وتحويلها إلى سياسة ـ شغلت صياغة السيد البناء (المملكة الأردنية الهاشمية) ـ أصبح مخاطرة لا تقوم لها إلا تعسفي على بعض التصرفات الصحيحة أو الخاطئة، مسحة من الحصة تصد عنها حق الدرس والمناقشة والتقييم بدقة وموضوعية ودون تحرّج من رموزها بعفنها وبعد زمانها!

وليس هناك شك أن مسار الشارع عرف أدوارا مختلفة لرجال ونساء من الهاشميين وأصبح «الشارع» يجاوا منها حقيقة سياسية ليس يحق انكارها، ورصل بعضهم في المبالغة إلى بعيد!

واذكر أنني ناقشت ذلك «حسين» في ذلك مرات. وكان يأخذ ويعطي، لكن الغريب أن آخرين كانوا على نصيبه أن يأخذوا فقط!

ومن المقارنات أن الأمير «حسن» تشتق الملك «حسين» الذي نُحّي عن ولاية العهد في ظروف وملابسات لم تعد أن تُسرّ، كان يشرف على مؤسسين، أو لأهما تحت اسم «النتدي» وأخصائصها أن تكون مركزا للدرس السياسية والاستراتيجية، أما المؤسسة الثانية فهي كان اسمها «مؤسسة آل البيت»، وهو وصف مقتبس إلى درجة التنظيم بما لا داعي له من مظان.

وانذكر أنني «مساء يوم سنتي ١٩٩٥ وبعد نشورت تقصيلا وتحليلا عن دور ـ أو حلم ـ بتصوره الهاشميون لأنفسهم في المنطقة العربية، وكان الأمير «حسن» عندما يعز له أن يناقشني في قضية يكتب إلي بمُوَدّة ويدعوني إلى الغداء ـ لكنه في تلك الفترة أثر أن يبعث إلي برسائل شفوية مع صديق له ولي، وكان مؤدى رسالته:

«إنني تجنبت على الهاشميين بما ذكرت عن نواياهم في مستقبل العراق، وذلك قدر الهاشميين أن يظلهم الناس هم عبصور التاريخ وأن يستكثوا في عاصمة هم ويرثوا في نصر أبائهم بما ليس من علم لهم، ويقاتلوم أطرافه في خطط خطيبة، وتخرجات سورية، ومغانم يريدونها لأنفسهم غبلة من حق غيرهم ـ وليس ذلك إنصافا».

ثم تضيف الرسائل الشفوية ما مؤداه:

«إن الهاشميين لا يعرفون ما يسمى باستكتوب المصري الشائع «تدبير المقالب» للإخوان أو للشعوب أو للأمة».

وفي الأسابيع الأخيرة وحين كانت عَمّان مصرحا لكل ما جرى فيها، خصوصا للأمير «حسن»، فقد عصت أكثر من مرة أن إبعاد إليه برسالة أسأله إذا كان مناداة من ذلك «تدبير المقالب» على فرض صحة إستاده إلى تعبير مصري ـ ليس له مقابل هاشمي؟!

.....

.....

[وإلى مقال إذن للخروج عن النص: القول فيه: إنني كنت أتصور أو ناعت أن الأمير «حسن» أرى أسمع الأمير «حسن» ذات مرة وجهة نظر «أبيها» جرى، لكن تلك لم

بحسب. وإنما حسبي شره أخير هو أنني سمعت تلك المدة من أحد قواد أسرة ملكية أوروبية التقاه عند مرسى العرب وزاره في نهاية يوم طويل مرهق وثقيل.

إن الضيف الكئيب الأوروبي، الذي أحب اسمه بناء على طلبه، سأل الأمير «حسن» عن تفسيره لتصرف أخيه معه؟ وكان رد الأمير «حسن» أن «هشته ما هدت إذ نقلّ عن دهشة سماعه». فكل من آخر ما تلقاه من الملك فيصل وصوله إلى الأردن بأسبوع (وهي عودته الأخيرة لبلده والتي أجرى خلالها تغييرات على قمة السلطة وضمنها عزل شقيقه عن ولاية العهد). هو خطاب حمله إليه أحد مرافقي الملك، وكان مكتوبا بخط يده وموجها إليه بصفته رئيسا «أخي، وقرة عيني، ورأي عضدي». وراعى عنده الملك أحلى الملك شقيقه تو جيهاته بما يريد أن يكون عليه استقباله في الملك. بما في ذلك من يستقبله داخله ومن يستقبله خارجه. وكيف يكون موكبه؟ وقيل هذا الخطاب طلب الملك أن تكون هناك سجادة جاهزة للصلاة موجهة إلى القبلة قبيل نزوله من الطائرة. وكانت الإشارة الوحيدة الملفتة للنظر أن الملك قال لولي عهده «أنه يريد أن يطوف موكبه بشوارع عمّان الرئيسية». ولن تكون مسيرة الوكب كلمة مباشرة على الهواء مهما أخذت من الوقت لأنه يريد أن يبتكر «السرتنا البكيرة». ثم أضاف الملك «أنه يريد أن لا يركب معه شقيقه لأن ظروف الأمن..مع دقة الظروف..الخ..الخ..لا يكون الملك وولي عهده هما في نفس السيارة».

وروى الأمير «حسن» لضيفه «مستهزئا» أنه ذُهل من الخطاب الذي وجهه إليه الملك علنا وحتى تهمّاه لم يكن لهما سبب. وقد أدهشه أن الخطاب على أسوته أُعطي لكل وسائل الإعلام قبل أن يقرأه هو، وكان يتوقع على الأقل أن يساله شقيقه فيما يظنه عنه وان يسمع دفاعه.

وعلى سبيل المثال (طبقا لما قاله الأمير «حسن») فهم لم يعترض على طلب الملك أن يكون أحد أبنائه (ابنه الملك) وليا للعهد بعد الأمير «حسن»، وإنما كان مفهوم له الحرج من طرح مسالة إضافة علي هذا المنصر الحيوي بينما الملك مازال على قيد الحياة. وسبق ذلك قسمان للملك أن زالا تماما كان له حق الأمر في ولاية العهد وليس طلب الرأي.

وكانت وجهة نظر الأمير «حسن» أنه على العكس من كل ما قيل كان حريصا على شعور شقيقه رغم أن حياة ولاية البلقه ان الملك في عداد المنتهي.. وكان هناك من طلب منه ترتيب الأمور على هذا الأساس. ولكنه.. من جانبه.. رفض لأنه لم يتصور أن يتصرف على اساس أن شقيقه «ميت» فيما هو على قيد الحياة. لا يزال!

وقال الأمير «حسن» لضيفه إن اصعب ما واجهه في حياته بعد إذاعة خطاب الملك العلني بأسباب عزله، هو كيف يشرح لابنائه ما وقع له دون أن يُرغمهم «إنسانيا وأخلاقيا» على رفع الأحقاد والأسود..

و«للملك» في اعتقاد أسود.

وقال الأمير «حسن» أيضا إن «خلعه من ولاية العهد بطريقة تشبه الاغتيال»، وضعه في حرج شديد إزاء أخوين قلسوفات طويلة (حسب ثلاثين سنة) تحامل عدد كبير من وليا العهد ونائبا الملك.

وقد تعاملوا معه «بوصفه الرسمي» وليس بصفته الشخصية. وبعضهم بسبب طبيعة المسؤوليات الموكولة إليهم التزوا معه إلى درجة أنهم «حسبوا من رجاله». وممن حرج الذي يعيش في «الأمور» أن هو أن الطريقة التي حرج بها، أو عمل بها. وضحت الذين استقبلوا معه جميعا في «خفاء» الشتيبه فيهم أو «على الأقل غير

كان الصبي الهاشمي الذي أصبح ملكا على الأردن، بعد مشاهد درامية متلاحقة بينها شقاء والدته، ومصرع جده، والحجر بالجنون على أبيه، وتزيد عليه ضغوط المشكلة والمأساة في تاريخ الهاشميين. ويتضخم شعوره بالحق الضائع وتزداد معه عقدة الاستهداف

مع الجنرال فرانكو ديكتاتور اسبانيا

بطء» الموثوق بهم.. وهذا يصبه بكثير من عذاب الضمير حيالهم.. وهو يجد نفسه حتى عاجزا عن أن يتصل بهم ولو «بالمندّر».

وكان الأمير «حسن» لضيفه انه عندما سمع أن قلب شقيقه تعبر عليه نتيجة لعملية تصفيق كبيرى ركزت عليه وقت مرضه.. طلب منه أن يطلق النار عليه إذا خالجه الشك في ولائه.. ولكن لا تترك أحدا يفهمنا.. وتدخلت زوجة الأميرة «نور»، في الحديث بين زوجها وضيفه. تنفي ما أسب إليهما من انهما زارت أحد القلسوف الفكية وأجرت فيه إصلاحات وكأنها أصبحت بالفعل ملكة. جلست مع زوجها على العرش.

وقالت الأميرة «نور» إنها مجزوبة أن يقال هذا الكلام لأن الحقيقة كانت شيئا مختلفا وطبقا لرواية الأميرة «نور»، فإنها أبلغت رسميا أن زوجة رئيس الدائرة التي كانت مع زوجها في زيارة لها أمام شهر يوليو ١٩٥١، وكان الذي أطلق عليه الرصاص قلسطينيا.. ضمن مليون فلسطيني أضيفوا إلى رعايه عمان أضاف إلى ملفه ما تبقى من فلسطين.. ولم يكن هذا القلسطيني الذي أطلق الرصاص مدفوعا بالأطباء الهاشمي عصمة كافية لتصرفات ذلك «عبد الله» في فلسطين.

وكان الرصاص المدوي والدم المسفوح عند عتبات المسجد الأقصى بداية وَشْم التاريخ بالحريق على صدر الهاشمي.. ماذا يوقعه الشرف ويسعد لدوره ـ ملكا على الأردن لمدة ست وأربعين سنة؟

[٦]

«الجرافيا» نقل الله على الأرض.. و«التاريخ» نقل الإنسان على الطبيعة».. وبين الاثنين يدير كل إنسان تجربته ـ أو يحاول ـ في متاح عمره وثقافته. وهنا يحين موضع الحديث عن دور الحمير وحكمه في صنع شخصية الملك.

الأن أن اذهب إلى قبره إلا في الليل حتى لا يراني أحد يضايقه وجودي أو يضايقني وجوده».

وأي ملك ينتهي عند الخروج عن النص بعودة إلى سياقه الأصلي]

.....

ولا كان هدف هذا الحديث كله هو القفز على الحقد فلانه من الاعتراض بأن الهاشميين في بعض الظروف كانوا ضحايا تجربة مشعومة وصنعتهم ـ لكنه من سوء الحظ أن الأمة دفعت ضرائب هذه الظروف. وكذلك دفع الهاشميون..

وإنما كان الملك «حسين بن طلال» نفسه أكثر دافع لضرائب المشكلة الفلسطينية، وقد بدأ «حسين» يدفع وهو صبي في الثانية عشرة من عمره تصادف وقوفه بجوار جده الملك «عبد الله» على أبواب المسجد الأقصى بعد انتهاء صلاة الجمعة في أحد أيام شهر يوليو ١٩٥١، وكان الذي أطلق عليه الرصاص قلسطينيا.. ضمن مليون فلسطيني أضيفوا إلى رعاية عمان أضاف إلى ملفه ما تبقى من فلسطين.. ولم يكن هذا القلسطيني الذي أطلق الرصاص مدفوعا بالأطباء الهاشمي عصمة كافية لتصرفات ذلك «عبد الله» في فلسطين.

وكان الرصاص المدوي والدم المسفوح عند عتبات المسجد الأقصى بداية وَشْم التاريخ بالحريق على صدر الهاشمي.. ماذا يوقعه الشرف ويسعد لدوره ـ ملكا على الأردن لمدة ست وأربعين سنة؟

[٦]

الأن أن اذهب إلى قبره إلا في الليل حتى لا يراني أحد يضايقه وجودي أو يضايقني وجوده».

وأي ملك ينتهي عند الخروج عن النص بعودة إلى سياقه الأصلي]

.....

ولا كان هدف هذا الحديث كله هو القفز على الحقد فلانه من الاعتراض بأن الهاشميين في بعض الظروف كانوا ضحايا تجربة مشعومة وصنعتهم ـ لكنه من سوء الحظ أن الأمة دفعت ضرائب هذه الظروف. وكذلك دفع الهاشميون..

وإنما كان الملك «حسين بن طلال» نفسه أكثر دافع لضرائب المشكلة الفلسطينية، وقد بدأ «حسين» يدفع وهو صبي في الثانية عشرة من عمره تصادف وقوفه بجوار جده الملك «عبد الله» على أبواب المسجد الأقصى بعد انتهاء صلاة الجمعة في أحد أيام شهر يوليو ١٩٥١، وكان الذي أطلق عليه الرصاص قلسطينيا.. ضمن مليون فلسطيني أضيفوا إلى رعاية عمان أضاف إلى ملفه ما تبقى من فلسطين.. ولم يكن هذا القلسطيني الذي أطلق الرصاص مدفوعا بالأطباء الهاشمي عصمة كافية لتصرفات ذلك «عبد الله» في فلسطين.

وكان الرصاص المدوي والدم المسفوح عند عتبات المسجد الأقصى بداية وَشْم التاريخ بالحريق على صدر الهاشمي.. ماذا يوقعه الشرف ويسعد لدوره ـ ملكا على الأردن لمدة ست وأربعين سنة؟

[٦]

الأن أن اذهب إلى قبره إلا في الليل حتى لا يراني أحد يضايقه وجودي أو يضايقني وجوده».

وأي ملك ينتهي عند الخروج عن النص بعودة إلى سياقه الأصلي]

.....

ولا كان هدف هذا الحديث كله هو القفز على الحقد فلانه من الاعتراض بأن الهاشميين في بعض الظروف كانوا ضحايا تجربة مشعومة وصنعتهم ـ لكنه من سوء الحظ أن الأمة دفعت ضرائب هذه الظروف. وكذلك دفع الهاشميون..

وإنما كان الملك «حسين بن طلال» نفسه أكثر دافع لضرائب المشكلة الفلسطينية، وقد بدأ «حسين» يدفع وهو صبي في الثانية عشرة من عمره تصادف وقوفه بجوار جده الملك «عبد الله» على أبواب المسجد الأقصى بعد انتهاء صلاة الجمعة في أحد أيام شهر يوليو ١٩٥١، وكان الذي أطلق عليه الرصاص قلسطينيا.. ضمن مليون فلسطيني أضيفوا إلى رعاية عمان أضاف إلى ملفه ما تبقى من فلسطين.. ولم يكن هذا القلسطيني الذي أطلق الرصاص مدفوعا بالأطباء الهاشمي عصمة كافية لتصرفات ذلك «عبد الله» في فلسطين.

وكان الرصاص المدوي والدم المسفوح عند عتبات المسجد الأقصى بداية وَشْم التاريخ بالحريق على صدر الهاشمي.. ماذا يوقعه الشرف ويسعد لدوره ـ ملكا على الأردن لمدة ست وأربعين سنة؟

[٦]

الأن أن اذهب إلى قبره إلا في الليل حتى لا يراني أحد يضايقه وجودي أو يضايقني وجوده».

وأي ملك ينتهي عند الخروج عن النص بعودة إلى سياقه الأصلي]

.....

ولا كان هدف هذا الحديث كله هو القفز على الحقد فلانه من الاعتراض بأن الهاشميين في بعض الظروف كانوا ضحايا تجربة مشعومة وصنعتهم ـ لكنه من سوء الحظ أن الأمة دفعت ضرائب هذه الظروف. وكذلك دفع الهاشميون..

وإنما كان الملك «حسين بن طلال» نفسه أكثر دافع لضرائب المشكلة الفلسطينية، وقد بدأ «حسين» يدفع وهو صبي في الثانية عشرة من عمره تصادف وقوفه بجوار جده الملك «عبد الله» على أبواب المسجد الأقصى بعد انتهاء صلاة الجمعة في أحد أيام شهر يوليو ١٩٥١، وكان الذي أطلق عليه الرصاص قلسطينيا.. ضمن مليون فلسطيني أضيفوا إلى رعاية عمان أضاف إلى ملفه ما تبقى من فلسطين.. ولم يكن هذا القلسطيني الذي أطلق الرصاص مدفوعا بالأطباء الهاشمي عصمة كافية لتصرفات ذلك «عبد الله» في فلسطين.

وكان الرصاص المدوي والدم المسفوح عند عتبات المسجد الأقصى بداية وَشْم التاريخ بالحريق على صدر الهاشمي.. ماذا يوقعه الشرف ويسعد لدوره ـ ملكا على الأردن لمدة ست وأربعين سنة؟

[٦]

يتوقف تماما مع اسرائيل، وان ينتظر الطرف، وهي بغض الوقت لا يشعطي العبود ولا حتى بالرفض.»

٢ـ وعليه ان يجد لنفسه ـ قدر الإمكان ـ اصدقاء من العرب، لان لابد بالفعل بهيهم من الاعداء كذلك.

٣ـ وهي ثالثاً، على الملك ان يعطي بقية مشاعره وعواطفه، ان يكتم مزاياه وسيوسيته، ان يمسك باعصابه واحيانا على حساب كرامته الشخصية، وان يواجه كل الناس وكل الاحداث بابتسامة عريضة، لانه مضطراً لا يملك ترف الغضب، على الاقل إظهار الغضب.

٤ـ

وبعد سنة على الحرش ـ ١٩٥٢ ـ كان الملك ـ فيما يدا لهامه ـ يواجه ما لا طاقة له به:

أولا، حدث سفير بريطانيا في الشرق الاوسط، وشخصيات اسطورية من الدبلوماسية البريطانية تتراجع وتتوارى مواقع السيطرة في المنطقة للامبراطورية الامريكية الصاعدة الى قيادة الغرب وبسرعة المصاروخ.

ثانيا، في هذه الفترة المذهلة الامبراطورية الامريكية تريد قيادة العالم وليس قيادة الغرب فحسب، وليدفعا لقمة دخلت الى صراع عنيف عقائدي وسياسي وعسكري (الى حد ما) مع القوة الاخرى التي خرجت منتصرة معها في الحرب العالمية الثانية وهي الاتحاد السوفيتي.

ثالثا، وفي إطار الصراع بين الكبار (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي) فان الولايات المتحدة تطرح على المنطقة العالم عبارتها ذحت قيادتها ـ وبالفعل فلقد دخلت به الغرب انهاشيئي في الشرق الاوسط، وعليه هو الآن في ثمان ان يقتنار وهي الواقع فلم يكن حق الغرب مع احتوارها عليه، وانما كان مطلوبا منه ان يسارع ويلتحق.

رابعا، لكن هناك تيارات في المنطقة تقاوم المخطط الامريكي الجديد وتعشي منه اكثر من الاستعمار البريطاني القديم، وكان بين هذه التيارات حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا ـ وتيار الناصرية الذي تمثله حركة الضباط الاحرار بالمعنى ـ في مواجهة الاحوال كل الاحزاب الشيوعية التي ناضجت آنذاك ضد الامبريالية ولم تكن قد سمحت لها الظروف ـ في عواصم العالم العربي بعدن استثناء تقريبا.

خامسا، وبالاخذ والتخصيص فقد كانت مصر هي عهد الملك فاروق وقبل وزارة الوفد الأخيرة ـ ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ ـ تعارض هذه المخططات، وكانت المملكة العربية السعودية في جانب مصر وليست الاساسيات عبدة المنطقة فيها الوهابي بالحالي والشعبي بالفيلي، الى آخره.

سادسا، كانت اسرائيل مع فكرة هذا المشروع الامريكي طالما انه سوف يدخلها ـ بطبيعة الحال ـ في شراكة مع الدائم الغربي وقادر بالضرورة فيول اوطانه ايضا وتحميها على اساس الامر الواقع ـ اولا تحقق ذلك، فان اسرائيل تتنل سلفا في قدرتها ان تكون القاعدة الاقليمية الاولى في المنطقة بنفوذها في العالم.

وبطل ملاحظ، وكذلك ما في استعداد الملك فيما بدا فورة الحلوم التي تراكمت خلال تجربة الحرب العالمية الثانية ثم اطلقت بعد انتهاء الحرب لتفرز كل نواحي الحياة الدنيئة في عالم جديد.

.....

.....

سابعا، وتجاة في وقت المناخ الذي تتزاحم فيه الافكار والتيارات والسياسات والجيوش ـ فجأة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في صحراء ثلاث وثلاثين كيلو متراً غرب القاهرة ـ حدال محمد نجيب.

. .

حكمت الجغرافيا ـ وحكم التاريخ ـ وحكم العصر

ثم جاء الدور على الجيوبة الإنسانية لتملك «حسين» تقاطعت بشكل واضح مع الدور الذي قام به «جمال عبد الناصر» في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين.

وفيما يراه لي الملك «حسين» بعقبه (اتماء لقاء في باريس) [٨] انه صباح ١٩٥٥ اصبح بتدبير الاضباب ـ به «جمال عبد الناصر» إلى درجة «به وضع صورته على صلادة بجوار صورته» وكان يلتمني لو انه وضعها على مكتبه لكنه خشي ان تثير عليه من الشاكل ما لا طاقة له به.

وكانت دعوة جمال عبد الناصر ـ هكذا قال الملك ـ إلى مقاومة الاستعمار هي التي جعلته يثور في الاضطام إلى جانب بغداد ضد حلف مشروعا عبارة سنة ١٩٥٣.

وحين عُرض على الرئيس رسمياً ان ينضم إلى الحلف سنة ١٩٥٤ ـ قال الملك لم يكن مضحمسا، وقد زاد الضغط المصري على الملك درجة ان رئيس اركان حرب الامبراطور وجمع والمارشال ـ جيرفاد شميلر ـ قُتل ـ خريف سنة ١٩٥٥ ـ بالذخات في عين الاسد، فاقد فيها حتى يضمن انضمام الاردن.

وعندما فشلت محاولة المارشال ـ تعبار، وسلطت محاولة شكر الاردن إلى حلف بغداد، تصايق الملك «حسين» إلا ان بعض النماس اعتبروا فشل تعبلر، فشالاله (للملك) ـ وكان ذلك من وجهة نظره ـ اقتراباً على الحلف ـ اساء إلى مشاعره وظنه، ومن المحتمل ان هذا الاشتراه على الملك كان من العوامل التي أثرت الملك على اندفاعة قصد بها ان يستعيد لنفسه ما خسره ـ حقاً، وغلطاً.

ومكذا وجد الملك نفسه يقترب من مجموعة من ضباط جمعية تحاهد معهم على ـ تحرير الاراضة الأردنية ، يعتبر «جلوب» باشا» وتناهد سيطرة الحكم الوطني في الاردن على قواته المسلحة، وهو أن تلك كانت خطوة ثانية الخطوة الاولى قبل ذلك بثلاثين شهرا عن طريق إختطار الكولونيل «جيمس سويني» الملحق العسكري الامريكي في سوريا الولايات المتحدة في عمان ولعل «سويني» لم يحاول إخفاء ذلك عن عزمه لان تلك كانت لحظة انتقال الارث الإمبراطوري في المنطقة. وقد عُرف عبض الضباط الوطنيين ذلك الوقت ان الملك تحدث في عزه «تلو» باشا مع الامريكان، لكن الدين عرفوا لم يعتبروا ذلك هي حينه كفرا محبقا إن حركات وطنية عديدة كانت ـ على الاقل ـ على استعداد ان تتعاون على التماقس بين قوتين إمبراطوريتين والتماقد ان الوجه القبيح للسياسة الامريكية لم يكن قد ظهر بعد، ثم ان كثيرين تصوروا ان فرصة تحرير الحرس الامبراطوري البريطاني العادية بدرس امريكي حديث كفيلة بان تفتح الباب الى فرصة وفرصة.

ومن هنا المنطلق فان مغامرة الملك وان بدت مبارئة متسرعة ـ كانت في الوقت نفسه مجازفة محسوبة، وكانت (ويمكنك فيما بعد) من ضبابات ووثائق ! ـ السفارة الامريكية في عمان ـ بما فيها ممثل وكالة المخابرات المركزية الامريكية ـ تخمّست لطرد «جلوب» الان تلك سوف يرفع شعبية الملك ويجعله قادرا على دخول حلف بغداد صحبا بشعبية «طرد جلوب».

ويقول الملك (وهذه الى عودة الى ذلك اللقاء في باريس) ان تيار الحوادث في المنطقة اصباه من طرد «جلوب» (باشا) من الاردن في مارس ١٩٥٦ وحتى تاميم قناة السويس في يوليو ١٩٥٦ تحول الى شلال متدفق يبدد بن يديّ أحاله كل شيء بما في ذلك فكان اذرعي وفي رأي الملك ان ـ عناصر قيس مسئولة ـ حاولت دفع الموقف في بلاد الى اكثر مما تحتمله الحقائق

وروى لنا ـ الشخص كتب عنه ـ ما دار بين الملك والسفير الامريكي ـ يومها ـ في قصر الحسينية بعمان، وكانت ـ كما ذكرت موكلة ـ في يوم ـ مصر في صيف عنيف من اصابعه ـ ثم ضرب بقبضة يده على المنضدة التي بينهما وقال: لن اسمح لاحد بان يتدخل في شئون بلادي، لن اسمح لاحد بان يملي علي ما يجب ان افعله، لن اسمح لاحد بان يعتبر نفسه اكثر وطنية مني، لن اسمح لاحد بان يعتبر نفسه اكثر عروبة مني، لن اسمح لاحد بان يعتبر نفسه اكثر حرصا على مصلحة الاردن مني، لن اسمح لاحد بان يعتبر نفسه اكثر حرصا على مصلحة العرب مني.

وقال السفير: حسنا، سيدي، سوف لا اسمح لاحد بان يعتبر نفسه اكثر وطنية مني، اكثر عروبة مني، اكثر حرصا على مصلحة الاردن مني، اكثر حرصا على مصلحة العرب مني.

وقال الملك: حسنا، سيدي، سوف لا اسمح لاحد بان يعتبر نفسه اكثر وطنية مني، اكثر عروبة مني، اكثر حرصا على مصلحة الاردن مني،

«حسين» أو اعتبر الذل لأبناء عمومته وإخوانه بالعبء «الثقيل» الهاشمي. عليه، فقد كان مطالباً بأن ينصرف، (هكذا طلوعاً عن).

والواقع، انه لم ينصرف وحده وإنما كانت معه أكثر من عشرة أشخاص، وكنت أنا أحدهم. الزعيم الأمريكية (كيرميت روزفلت شخصياً) صورة أخرى وكان المشروع الرئيسي مؤجراً لأطلاق هو الذي سيحدد الذي قبل أن يستقيل أنا فقد مبدأ بعد تدهور في مصر في سبتمبر ١٩٦٦ أن ذلك وقت مناسب حتى يتم دراسة مصر بشكل أعمق. وكانت الخطة هي أن أقيم في مصر لمدة عامين، وأن أتعلم اللغة العربية، وأن أكتب كتاباً عن مصر. وكنت أعتقد أن ذلك سيكون كافياً لكي

تحتمل الشك في حصولها ما حصل فعلا [٦].

وكان مصيرا، علامات أن مقابلة حسن بن رئيس الأركان الأردني الجنرال «خماش»، وبين العميد الأمريكي في الأردن يوم الخميس أول يونيو ١٩٦٧، وفي هذه الأثناء طلب رئيس الأركان الأردني من السفير الأمريكي سرعة نقل المقاتلات الثلاث من طراز «ف ١٠٤» التي وافق عليها ٢٥ طائرة «ونقل بعثة مؤلفة خمس شعبي الإدارة بين الدول العربية وإسرائيل».

وكان «عبد الفتاح رياض» يستطيع أن يقوم محمى هذه البوارقية كما كان عبر غيره، فقط، وكتب في تقريره عن مهمته في الأردن «أن المقاتلات من طراز «ف ١٠٤» لم يكن لهذا أن وجد تكرار سؤاله عنها».

وكانت عرف القائد المصري المذكب لقيادة القوات الأردنية على الجبهة أن الطيران الذي كان مفروضا أن يقف وخطته خرج من الأردن على أساسة التي تسمح فيها مسؤلته!

وتم يتح لـ... عند العميد الطيار «...» بدخش وبطلع على وثائق أخرى إضافية دعمها ما تقوله وبيده.

● أن الملك «حسين» قابل ضباطا إسرائيليين على مستوى عال في الأردن يوم ٢٦ مايو ١٩٦٧ وأنهم ابلغوه بشكل ما عن قواعد دون تفاصيل، وتركوا له مسئولية اختيار وقوله من تحديدات له بالإضطرار.

● (محضر مجلس الوزراء الإسرائيلي يوم ٢ يونيو ١٩٦٧، وقد أطلع عليه وأشار إليه الدكتور، ميكائل برونشر، وهو المؤرخ المعتمد لمجلس الوزراء الإسرائيلي).

● وفي ذلك الإجتماع مع قادة إسرائيليين عن الملك «حسين» أبدى أنه لا يستطيع في حالة نشوب عمليات ان يقف موقفا المتفرج إن هذا سيضعف الدول العربية عليه يمكن أن يطيح بالنظام، وانه من الضروري لسلامته أن يسمح له بهامش واضح يمكنه من مقاومة الضغوط.

وكان الرئيس الإسرائيلي «ليفون جونسون» (وهو المهندس الأول لحرب الستة ١٩٦٧) على استعداد لتقدير موقف الملك، لكن الحكومة الإسرائيلية «اللجنة» (الرئيس جونسون) أبدا تستطيع أن تتفهم وإنما لن حد

وفي جلسة مجلس الوزراء الإسرائيلي بتاريخ ٤ يونيو صرح الجنرال «دايان» بالعبارات الآتية والتي نشرها إسرائيل في مذكرة الحد كما يلي بالنص:

«... على الجبهة المصرية. الهجوم الرئيسي ـ هجوم شامل.

«... على الجبهة السورية. وقف دفاعي إلا إذا وجدت القوات أنها في موقف اندفاع من نفسها

«... على جبهة الأردن يطلب وزير الدفاع عدم إجراء أية مناقشة في مجلس الوزراء فيما يخص الموضوع.

(محضر جلسة مجلس الوزراء الإسرائيلي في ٤ يونيو ـ وقد أطلع عليه الدكتور، ميكائل برونشر، وهو المؤرخ المعتمد لمجلس الوزراء الإسرائيلي).

● وفي ذلك الإجتماع مع قادة إسرائيليين عن الملك «حسين» أبدى أنه لا يستطيع في حالة نشوب عمليات ان يقف موقفا المتفرج إن هذا سيضعف الدول العربية عليه يمكن أن يطيح بالنظام، وانه من الضروري لسلامته أن يسمح له بهامش واضح يمكنه من مقاومة الضغوط

وكان الرئيس الإسرائيلي «ليفون جونسون» (وهو المهندس الأول لحرب الستة ١٩٦٧) على استعداد لتقدير موقف الملك، لكن الحكومة الإسرائيلية «اللجنة» (الرئيس جونسون) أبدا تستطيع أن تتفهم وإنما لن حد

وفي جلسة مجلس الوزراء الإسرائيلي بتاريخ ٤ يونيو صرح الجنرال «دايان» بالعبارات الآتية والتي نشرها إسرائيل في مذكرة الحد كما يلي بالنص:

«... على الجبهة المصرية. الهجوم الرئيسي ـ هجوم شامل.

«... على الجبهة السورية. وقف دفاعي إلا إذا وجدت القوات أنها في موقف اندفاع من نفسها

«... على جبهة الأردن يطلب وزير الدفاع عدم إجراء أية مناقشة في مجلس الوزراء فيما يخص الموضوع.

(محضر جلسة مجلس الوزراء الإسرائيلي في ٤ يونيو ـ وقد أطلع عليه ونال منه «مايكل برينر»)

● أن إسرائيل في الصباح الباكر من يوم ٥ يونيو بعثت برسالة من رئيس الوزراء «ليفي أشكول» حملها كبير مرافبي الهيئة الجنرال «بول» مول، طلبت فيها إلى الملك «حسين» أن يبقى بعيدا، وإذا أن قنطلة موقفه فلابد ان يدفل الملك بحذر. وبالفعل فقد أرسل الملك «حسين» برسالة شكر مشجوعة ووعد بزيارة ورد عليها في الساعة الحادية عشرة والنصف صباح يوم ٥ يونيو، وقد أن تأكد أن الحجوة الجوية ضد مصر تجحت، طلب الجنرال «أوزي نركيس» القائد الإسرائيلي لقوات الجبهة الشرقية إزاء يديه هجوم على الأردن، وقد وطلب «وعاد الجنرال «نركيس» يجدد

[٨]

قد الملك الذي طرح وجوك الطلال والصور إلى جسد وحياه مع الأن» برياني ـ رئيس تحرير جريدة «الواشنطن بوست» ـ بمذكرات تحت عنوان «حياة جيدة، A Good Life».

● وعن برياني ـ ليس صحفيا عاديا في الأوساط المعادة الأمريكية وإنما واحد من أكبر وجوه المهام في الخمسين سنة الأخيرة. فقد كان المحطة «واشنطن بوست» فاز الحملة على الرئيس «ريتشارد مكسون» ـ فضيحة «ووترجيت». وكانت هذه الحملة هي التي أدت إلى أن «مكسون» أن يعتمد على الرئيس إلى أن استقال، فأصبحت في الصدارة الجريدة التي هي الصدارة الأخبار والبوب إلى الرئيس نفسه.

وقال «بن برادلي» في كتابه (وتشر في تعديده كلامه ما نقوم أكثر من محرر رواية) ـ وابتداء من صفحة ٤٢٤ حتى ما بلي بالحرف

«لقد صباح في تشرين الأول ١٩٧٦ جاءني «بوب وودوارد» (أحد أشهر الصحفيين في الواشنطن بوست وقلبها وحتى الآن). وقال لي إنه «عرف من مصادره أن أحد رؤساء الدول في الشرق الأوسط موجود بأسمه على قائمة المرشحات في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية». وقلت له «أن هذه معلومة إخبارية مهمة. بل عليه أن يتأكد».

ويضيف «برادلي» في رواية «بوليوك» أنه سأل وودوارد عن رئيس الدولة المعني إلا أن مصدره أبا كان على اتصال من رئيس دولة واحد في الشرق الأوسط موجود، على قائمة موجودة وكالة المخابرات المركزية».

ويستطرد «برادلي».

«بعد يومين جاءني بوب بقول لي «إنه تأكد من الملك حسين» هو رئيس الدولة المعنية» وكانت هذه المكالمة الأخيرة بيننا. لم يكن لي علاقة شخصية لا علاقة إلا بالمعلومات الرسمية (نادرا) مقرارها طبوق دولار، وهي مرحوزة لمصارف الملك الحاشية. وقد بدأ تعاملها له من سنة ١٩٥٧ ولا تزال مستمرة حتى الآن».

ويقول «برادلي».

«لقي طلبت من بوب أن يؤكد معلوماته بمصدر آخر لأننا لا نستطيع في الواشنطن بوست أن نضع على مصدر واحد في قصة بهذه الدرجة من الحساسية. وبالفعل فإن بوب اتصل بـ «جوي باول» المستشار الصحفي للرئيس الأمريكي الجديد (في ذلك الوقت) وهو «جيمي كارتر» وروى له ما وصل إلى علمه، وطلب تأكيدا أو نفيا».

وفي اليوم التالي «الصباح الباكر ـ اتصل بوب وودوارد» يرغبس تحرير» من برادلي» ليقول له «لقد أبلغوا أولاية هذا الأمير «محمد (٢٥ من صدكرات)» ـ إن رحلوم مرجعيتي مستشار الأمن القومي الرئيس الجديد اتصل به وعاد من يؤيد محرير. أن قائمة هم الرئيس في المكتب البيضاوي في البيت الأبيض» ـ وذهب الرئيس بالفعل إلى لقاء مع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

وبقول «بن برادلي» ـ بالحرف

«لكن الرئيس قال لما سأله أن المصر صحيح» ـ إن الرئيس قال لما سأله أن المصر صحيح» ـ إن ثم أيدي دهشته من أن يروي المخابرات السابق (جوي كيمبتون) حين جاء إليه بعينه في صورة الصواعق والرجبال في الشرق الأوسط مع بداية رئاسته له بدلك له شيئا عن هذه المخابرات» ولا مكرماله» ـ وجرج بوش» رئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في وقت الوفاة) هعدما اتفقا أصبح الرئيس الجديد على أن يعين «جيمس كيمبتون» رئيسا للوكالة.

(كلاهما تعامل معا كأمر عادي وروتيني)».

ثم استطرد الرئيس «كارتر» فقال، «إنه يريد من وقول لما رئاسته أن من سترقوعه يصر الأمر القومي للولايات المتحدة ـ والذي أنه أصدر أمرا بإيقاف دفع المبلغ لتلك حسين».

طلبه في الحياة الثانية عشرة وعشر دقائق. ورفض طلبه مرة ثانية، ثم رفض طلبه مرة ثالثة في الساعة السابعة عشرة والنصف. وبعد ساعتين تماما أي في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، تلقى الجنرال «نركيس» أمرا بالهجوم الشامل لإحتلال الضفة الغربية بما فيها القدس (كان إعراء عبر أمرين اسرائيل أحد من أن نلاوم. وإذا أراد الملك أن يناور مرة ثان إسرائيل لما نهيأ من الطاقة في العمل».

(كتاب «حياة على الحافة» صفحة ٦١٨ ـ ٦١٩ ـ وهو مجموعة المقالة كتبت «حسين» كتبها على لقاءات متعددة معه الصحفي البريطاني «وليام هيكل». وقد نشرت في لندن سنة ١٩٨٩ ضمن مجموعة «موعود مكتوبة»).

● أن الملك «حسين» الذي يرى في نجيب فؤاد الذي «مناضلا من الطراز الأول» ـ وأن هذا مناضلا من الطراز الأول في ميدان قتال حقيقي. وذهب مصر إلى مؤتمر قمة عربي بتأخر الكارثة. وبعد عودته وتضع جماعة الملك حسين، وجاء «عبد الناصر» وطلب إليه استخدام أن يقف لمؤازة على الذين هاجموا فلسطين عليه. وأعلن بصورة تلقائي انهدار مؤتمر القمة، وتشكلت لجنة من أعضاء الحمول سياسة، والثانية عسكرية لمناقشة الحمول التي توصل اليها الملوك والرؤساء بعد عناء، وكانت اللجنة العسكرية تضم كلا من السيد «حسين الشافعي، نائب رئيس الجمهورية، والسيد «علي صبري الأيدن» رئيس وزراء تونس، وكان معهما (عضوا في الوفد المصري كوزير للإعلام ذلك الوقت). وكنت (ضمن هذه اللجنة)

وقلت من الملك لم يحد بحضوره لأنه لا أي واحد من أعضاء اللجنة المختلفة)

وقول «من برادلي» ـ أن الرئيس قال له في نهاية المقابلة ـ إنه لا يستطيع أن يتدخل في الطريقة التي يدير بها (هو بس) صحيفته ـ لكنه وضع الخطائق أمامه وبترك له التقدير النهائي. فهذه مسئولية ملك كما هي مسئولية ملس.

وقول «من برادلي» (صفحة ٤٢٦) ـ أنه بعد اختفاء بمنشاور مع هيئة تحرير الواشنطن بوست قرروا أن مهمتهم هي نشر الصفحة، والباقي سيتولاه.

ثم يقول ـ بالحرف ـ (هكذا)

«في اليوم الذي تقرأ فيه هذه المقالة تلقيت خطابا على ورق البيت الأبيض وبتوقيع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سنة ثمانية على بالحرف

«من برادلي»

اعتقد من سنوكد للمحررت أن المرقيب الأمريكي سيظل بعيدا لمحرصية (سيروس فانس) بقوم مهمته هو بشوق «بوجه الأب» وقوله المهمة على وشك أن تحمله إلى الأردن ـ هو عمر عبد سرنون.

(نص الكلمة التي قدمه الرسالة كتفضيل من قارئ وليس من رئيس أو وليات المتحدة)

جيمي كرتر

وهكذا من سنة ١٩٧٠ مريد وقول ـ بل يؤكد ما هو في الفترة من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٠ كان سيرا سنة مستمرة من وكالة المخبرات مركزية أمريكية وكانت تلك المعلومات من أعلى شهادت الملك حسين سنة ١٩٧٠ والمصر الرئيسة المصرية السريرة سنة ١٩٧٠ والحرب في اليمن سنة ١٩٦٢ ومعظمة سنة ١٩٦٧ ثم حرب أكتوبر ١٩٧٣.

والرجل الذي يقدم شهادته هنا هو رئيس الولايات المتحدة نفسه ذلك لوقت وهو «جيمي كارتر». ومن المفارقات ان كل واحدا من موكب الرؤساء السابقين الذين صاحبوا الرئيس الحالي ـ بيل كلينتون، في الوقوف أمام جثمان الملك «حسين».

وفي مناسبات سطلت ـ مرتين أو لثلاثا. سألت المذكرة وصريحا عن حدود علاقاته بالولايات المتحدة وإسرائيل. وكان واضحا من لهجته سؤالي أنني لا أعتمد له على ظواهر العلاقات وإنما عن بواطنها. وكان الملك في كل مرة يجيب ملاحظة.

مرة واحدة ـ لم تتكرر لا قبل ولا بعد ـ تحدث الملك عن هؤلاء هو نفسي عنها

كان ذلك أثناء مؤتمر قمة القاهرة في سبتمبر ١٩٧٠، وكان الصدام الدامي بين جيش الملك «حسين» وفصائل من المقاومة الفلسطينية قد طحن الأردن إلى ميدان قتال حقيقي. وذعت مصر إلى مؤتمر قمة عربي تدارك الكارثة. وبعد سرد، وتضع جماعة الملك حسين، وجاء «عبد الناصر» وطلب إليه استخدام أن يقف لمؤازة على الذين هاجموا فلسطين عليه. وأعلن بصورة تلقائي انهدار مؤتمر القمة، وتشكلت لجنتان إحداهما سياسية، والثانية عسكرية لمناقشة الحمول التي توصل اليها الملوك والرؤساء بعد عناء، وكانت اللجنة السياسية تضم كلا من السيد «حسين الشافعي، نائب رئيس الجمهورية، والسيد «علي صبري الأيدن» رئيس وزراء تونس، وكان معهما (عضوا في الوفد المصري كوزير للإعلام ذلك الوقت). وكنت (ضمن هذه اللجنة)

وقلت من الملك لم يحد بحضوره لأنه لا أي واحد من أعضاء اللجنة المختلفة)

وقول «من برادلي» ـ أن الرئيس قال له في نهاية المقابلة ـ إنه لا يستطيع أن يتدخل في الطريقة التي يدير بها (هو بس) صحيفته ـ لكنه وضع الخطائق أمامه وبترك له التقدير النهائي. فهذه مسئولية ملك كما هي مسئولية ملس.

وقول «من برادلي» (صفحة ٤٢٦) ـ أنه بعد اختفاء بمنشاور مع هيئة تحرير الواشنطن بوست قرروا أن مهمتهم هي نشر الصفحة، والباقي سيتولاه.

ثم يقول ـ بالحرف ـ (هكذا)

«في اليوم الذي تقرأ فيه هذه المقالة تلقيت خطابا على ورق البيت الأبيض وبتوقيع رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سنة ثمانية على بالحرف

«من برادلي»

اعتقد من سنوكد للمحررت أن المرقيب الأمريكي سيظل بعيدا لمحرصية (سيروس فانس) بقوم مهمته هو بشوق «بوجه الأب» وقوله المهمة على وشك أن تحمله إلى الأردن ـ هو عمر عبد سرنون.

(نص الكلمة التي قدمه الرسالة كتفضيل من قارئ وليس من رئيس أو وليات المتحدة)

جيمي كرتر

وهكذا من سنة ١٩٧٠ مريد وقول ـ بل يؤكد ما هو في الفترة من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٧٠ كان سيرا سنة مستمرة من وكالة المخبرات مركزية أمريكية وكانت تلك المعلومات من أعلى شهادت الملك حسين سنة ١٩٧٠ والمصر الرئيسة المصرية السريرة سنة ١٩٧٠ والحرب في اليمن سنة ١٩٦٢ ومعظمة سنة ١٩٦٧ ثم حرب أكتوبر ١٩٧٣.

والرجل الذي يقدم شهادته هنا هو رئيس الولايات المتحدة نفسه ذلك لوقت وهو «جيمي كارتر». ومن المفارقات ان كل واحدا من موكب الرؤساء السابقين الذين صاحبوا الرئيس الحالي ـ بيل كلينتون، في الوقوف أمام جثمان الملك «حسين».

وفي مناسبات سطلت ـ مرتين أو لثلاثا. سألت المذكرة وصريحا عن حدود علاقاته بالولايات المتحدة وإسرائيل. وكان واضحا من لهجته سؤالي أنني لا أعتمد له على ظواهر العلاقات وإنما عن بواطنها. وكان الملك في كل مرة يجيب ملاحظة.

مرة واحدة ـ لم تتكرر لا قبل ولا بعد ـ تحدث الملك عن هؤلاء هو نفسي عنها

كان ذلك أثناء مؤتمر قمة القاهرة في سبتمبر ١٩٧٠، وكان الصدام الدامي بين جيش الملك «حسين» وفصائل من المقاومة الفلسطينية قد طحن الأردن إلى ميدان قتال حقيقي. وذعت مصر إلى مؤتمر قمة عربي تدارك الكارثة. وبعد سرد، وتضع جماعة الملك حسين، وجاء «عبد الناصر» وطلب إليه استخدام أن يقف لمؤازة على الذين هاجموا فلسطين عليه. وأعلن بصورة تلقائي انهدار مؤتمر القمة، وتشكلت لجنتان إحداهما سياسية، والثانية عسكرية لمناقشة الحمول التي توصل اليها الملوك والرؤساء بعد عناء، وكانت اللجنة السياسية تضم كلا من السيد «حسين الشافعي، نائب رئيس الجمهورية، والسيد «علي صبري الأيدن» رئيس وزراء تونس، وكان معهما (عضوا في الوفد المصري كوزير للإعلام ذلك الوقت). وكنت (ضمن هذه اللجنة)

مسئولًا عن التنسيق مع الملحد الآخر العسكري، وكان يقيرى فيهما الفريد محمد محمد صادق، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية.

واقتضى الأمر أن يلتقي النجديان مع الملك «حسين» قبل عودته إلى عمّان بعد انتهاء دوره في المؤتمر، وقد كان لديه كثير يواجهه كما

ودعيت لدى الاخير بعشر دقائق في مخدع الملك، وجدته شاعرا مكدرا من الصمع والمرارة. وسمحت لنفسي أن أقول له إن بعض ما راه من زملائه ملوك الدول العربية ورؤساؤها يعكي بعسيره بما سمعوا عنه واحسوا به من علاقات سه مع قوى يعادونها وتعاديهم.

وتحدّثت عن الملك لبيافته ـ أو عن تلقي عمها له ـ إلى مصيره هذه، وأشرتُ إلى الدير يقصيق، وإلى أنها حاولت مدركا أن مشاعره تتضدث وليس حضوره.

اول ما قاله «.. إن هؤلاء الذين يعادون الاخرين ويحاربهم الآخرون، كثيرهم متأفقون، فهم يقولون في العلن عكس ما يبعلون في السر. وهو على عنه، وإذا قرر أن يتكلم فإن نخضم سوف يأم الصمت ربما إلى الأبد.»

ثم انتقل ليقول: «ماذا بقي مني هؤلاء؟ بلدي في حماجة وهم لا يعطون شيئا، وإذا اعطوا فبقدر قطرة. وبلدي محتاج لكثير جدا، وليس فيهم من يستطيع أن يبعث حديا إلى حجل أو يطلق رصاصة في اشتاء.»

وصعك الملك على كلامه وهو يقول: «إنا كان يبعهم من ينتصور أني انصرف في سياسه الأردن من موقف يظك ترك الاختيار فيه «يكذب». إنني أعرف أن هدف من يتظهر حركة ، غير مسئولة، أقوم بها ثم يتخذها ربعه لابتلاع البلد كله، وساعتها سأصبح أسوأ ملوك بيانات تأييد وبرقيات الأردن إلى حبيث ذهبت فسأكون قبله. هل هذا ما أسبدا يريده مني ؟» (وقد كان بعض الاسماء).

ولاحظت أن الملك لم يتوقف في حديثه معنا وخلال الأسبوعين من الذين كان مقررا أن يقابلهم قبل سفره (رئيس وزراء تونس ـ وكاتب رئيس الجمهورية المصرية ـ ورئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية) ـ وإنما استمر مكورا ما كان يقول، ومن أولها:

فصل بعد ابعاد: وكعت أتحدث عنه مع الملك «خوان كارلوس» ملك اسبانيا، روى لي كيف شرح له الملك «حسين» ذات مرة موقفه.

كان الملك «حسين» مع الملك «خوان كارلوس» يتبضران مباراة مصارعة ثيران مهمة في مدينة «اشبيلية» ، وبعد انتهاء المباراة راح الملك «خوان كارلوس» يشرح أصيله أسلوب مصارع الثيران في مواجهة ثور هائج يهاجمه، لأنه أدخلها في ملكه الأخير، وأخذ الملك اسبانيا حينئذ حتى تسمع تعليق صديقه ملك الأردن الذي قال له:

«إنني أعرف ما تتحدث عنه، وإنا أخيّره كل يوم في المنطقة التي أعيش فيها، وحاني أحطر على حال المصارع الذي تتحدث عنه. فهو في الحالي يواجه ثورا واحدا، وإذا عندي كل يوم في المطقه عشرة ثيران على الأقل، وكلها هائجة، وكلها تهجم، وكلها مواجهات يمكن أن تؤدي إلى القتل

ومصارعك الاسباني لديه مساعدون يحاولون مساعدته في الثيران، وأما أنا فلي خطة واحدي، ولحياتي تجيء إلى السمون والحراب من وراء ظهري!

وسألني الملك «خوان كارلوس»:

ـ وما هي خطتك يا «حسين»؟

فوقفت، وأخذت أمثل دور الثور، وكانت الغرفة واسعة، وكان الملك «خوان كارلوس» يقف في وسطها، وأخذت أجري نحوه من كل ركن فيها، وأنا أتخيّله ثورا، وأنا عندي كل يوم في المطقه عشرة ثيران على الأقل، وكلها هائجة، وكلها تهجم، وكلها مواجهات يمكن أن تؤدي إلى القتل

وصارعت الثور الذي أتخيّله، وأنا أتجنّبه كل مرة حتى أصل إلى الملك «خوان كارلوس» وأقول له:

ـ هذه هي خطتي يا صاحب الجلالة!

ووددت على الملك، وكان في مكتبه في قصر «زرزويلا»، إن الصورة قديمة وناقصة

الأعذار يصعب استعراضها لآخرين مهما بلغ حجم الخوانة أو الضعف، وكان كلاهما - الخوانة والضعف - مسألة في جنازة الملك «حسين» رسالة موجهة إلى كل من يهمه الأمر وليه الاستعداد والقدرة؟!

١- وحتى إذا استطاع أحد أن يدلنا الفراغ الذي تركه الملك «حسين»، فقد كان للأردن - كما هو الآن ودون حاجة إلى تجربة - يوم يمكنه القيام به إذا وجد الجهد الجديد فيه جرأة الخيال وجسارة القبول بالمخاطرة.

وهذا هو معنى مسار هذا الحديث تستحق الوقوف عندها!

معلقة تستحق الوقوف عندها لأن معظم اطريق وراءها - إذا صدقت معلومات أولية منزلات تصنائع إلى تاكيد - سوف يصل بأقاره في مستقبل المنطقة إلى بعيد على خرائط الصحراوي وخرائط اشتاريخ وخرائط السياسة فيها - ليرسم عليها أنواعا وخطوطا وعلامات مستجدة.

وطبقا لمعلومات أولية فإن هناك «سيناريو» - كما يقولون - تجري كاتنانه الآن لمستقبل اشرق الاوسط في مطالع القرن الواحد والعشرين. وهذا «السيناريو» توقش (مرة أخرى) في واشنطن ولندن في الاسابيع الأخيرة من حياة الملك «حسين»، وبالتحديد في الفترة التي خرج فيها الملك من مستشفى «مايو كلينك» في شهر ديسمبر الماضي وقضى أكثر من أسبوعين بين واشنطن ولندن - والكل - بما فيهم وفي مقدمته - عارف انه للشهور الأخيرة قبل نزول استار!

ان السيناريو - كما اسلفت - جرت مناقشته - لكن غير انواصح هو ما زال كما أشرت - لم تاخذ اعتماده بعد المناقشة - ذلك ان الملك رفم المستشفى كانت لديه تحفظات على بنيان «السيناريو» وعلى سياقه (وربما كان تاون هذه التحفظات قائمة بعد في عُمّان. وربما عند تعبير!)

كان «السيناريو» الذي توقش - ولايزال - في واشنطن ولندن هو المحور التالي:

١- ان الأردن - في الغالب - لم لا يكون له دور إضافي فيما يسمى بعملية سلام الشرق الاوسط، وذلك سوف يخلق فيه وعن حوله فراغات يمكن أن تكون لها مخاطر.

٢- ان بؤرة التوتر في الشرق الاوسط التي انتقلت سابقا من شواطئ البحر الابيض والبحر الاحمر إلى الخليج - تنتقل الآن من الخليج إلى ما فوقه، أي إلى حدود الاتحاد السوفيتي السابق، وتحديد تشمل منطقة التوتر الكبير القادم مستقبل العراق (وايران)؟ - ومناطق الاكراد (وتركيا)؟ وافغانستان (ومعتدة منها إلى كازاخستان وعبر القوقاز وحتى إلى كوسوفو على اطراف البلقان).

٣- إن الاستعداد لمتطلعات المحتملة والمتجرة لمؤرة التوتر الجديدة يقتضي الخلاص من النظام الحالي في العراق، وهذا النظام حتى هذه اللحظة لا يريد ان يذهب - ومع انه ممك «التحسار الاقتصادي الحاد والعلميات العسكرية» ان يكون «العذاب الصحراء» إلى «لعلب الصحراء»، ثم بالقارات الحوية المسيرة (إلى الآن - فإن هذا لم ينفذ).

بعد. والحل الذي يراه معظم الاستراتيجيين هو وجود قوة عسكرية قريبة على الارض قادرة على التدخل بسرعة ما في لحظة تستدعيه فيها الاجواء بحدث داخلي يتصادف وقوعه أو يمكن ترتيبه!

٤- وليس هناك من لديه في المنطقة مثل هذه القوة العسكرية القادرة على التدخل للحسم في العراق الا الأردن. ذلك ان دول الخليج المعنية قبل غيرها بالتغيير في بغداد لا مقدرة عسكرية لها على العمل في ميدان قتال حقيقي وكل هذا الخيار معروضا على الملك «حسين» وكان فيه ما يلبي احلاما قديمة لدى (سواء من طموحه الشخصي أو من اعتقاد انه الوريث الشرعي للهاشميين في بغداد). لكن الملك وان تحمس احيانا لتردد في اللحظات الحرجة تذكر أن لوضع الاقليم المحيط به وقلة في مواردها بعض الحدود القريبين من حدوده.

"وكان بين يدي «السيناريو» المقترح تُصوّر بري بأضفاء الشرعية والطمانينة على أي قرارض قد اتخذ في هذا السيناريو عن طريق وجود الأردن للانضمام إلى مجلس التعاون الخليجي - حصوصا وقد تتقلت القرارات بشكوك لدى بعض الشيوخ - في سوقف الملك «حسين» انداء قرب الكويت - والامل أن يقوم خلفه له في عهد جديد بما هو مطلوب ضمن شرعية خليجية توفره له في ظل توقت معادلة المادية والسياسية والعنوية (مما في ذلك محزون صعدات عسكرية كانت تحجت بعض رسميها)! - ان الملك - حسين - لم يكن قادرا على التأقلم مع مثل هذا الدور، وكان يمن تحفظات انه يرى أن يعرف بالتحديد ما يحق للأردن أن يوقعه في هذا «الدور السيدريو» (وان كان يستطيع فيص عرش العراق لو فاجعه ان اينكله) - علما بان اسرائيل كانت تلح باستعداد لاعطاء صوء اخضر لهذه الفكرة (باحتمال انها تستطيع تصفير مئات قوف من الفطسطينيين إلى شمال العراق).

«إن الهرب من الموت، وطلب الحياة حياة
وإن الحرية هي شجرة الخلد، وسقيها قطرات من الدم المهشوف، والإسارة هي شجرة الزقوم،
وسقيها أنهار من دم المخالق المخايق.

الكواكبي

«أكثر الناس متفقون على ما يظنون أنهم مختلفون فيه، فإن لكل شيء جهتين جهة مدح، وجهة ذم، فإما أن تساووا، أو تكبر إحداهما الأخرى. فإن كان الأول فلا معنى للاختلاف، وإن كان الثاني، وجب على المختلفين أن يعترف كل منهما لصاحبه ببعض الحق، لا أن يكون كل منهما في سلسلة الاختلاف في طرفها الأخير.

مصطفى لطفي المنفلوطي

أغريقية مؤكد أن يهمه أمدرس ان الحضارة والتكنولوجيا لم تمركا في العالم الثالث الا وقد صدرت على السطح وما تحت السطح فمعظمه لا يزال حمت كان قس قرون من ارسال في مساعد القلق والاقتصال والمحر والاسحار في ملاحم الإبادة وموأجهها المادمة!

والقهم مطلوب قبل الحكم - واسحرار

لقد مخطر مالي احيانا ان القهم ضروري قبل الحب الثالثة - ولكن ليس معدد. لان الرادة في القهم قد سجح بالاحكاك في حدث تتسع الحدود!

ومن هو حسني المحسر ان استشر زاك فنهيم قدرة - وأنا قدرة على توقع انسحح بعلمنيه وعشرة - ولا عشرة مانعه في معض الحجم حتى من توقعه قدرة!

والاعتران ليس عند المستشر، وانما عند الموضوع ذاته، بمقدر ما عن التاريخ الله مهلته الله!

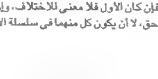

الهوامش

١) نشرت الاهرام في ٩٠ يونيو ١٩٩٠ خبرا مؤداه ان الملك حسين يعاني من سرطان في الدم، وانه سيتوجه إلى مستشفى «مايو كلينك» في مينيسوتا بالولايات المتحدة لاجراء فحوص طبية.

٢) نشر مركز محمد حسنين هيكل للدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام في ١٩ مايو ١٩٩٠ تقريرا عن الوضع الاقتصادي في مصر، تحت عنوان «مصر على حافة كارثة» وقد أعدته لجنة من كبار الاقتصاديين في مصر برئاسة الدكتور عبد الرزاق عدي، وزير التخطيط والتعاون الدولي الاسبق.

٣) نشرت مجلة «المصور» في ٢٥ مايو ١٩٩٠ حديثا مع الرئيس مبارك، وكان من بين ما قاله: «لا يمكن أن نسمح بأن يتحول مصر إلى مجتمع استهلاكي، يعتمد على الاستيراد من الخارج في كل شيء حتى الإبرة والدبوس».

٤) نشرت مجلة «المصور» في ٢٥ مايو ١٩٩٠ تقريرا عن مصر، جاء فيه: «إن مصر تستورد سنويا ما قيمته ٩ مليارات دولار، بينما لا يزيد ما تصدره عن ٣ مليارات دولار، وهذا يعني أن هناك عجزا في الميزان التجاري قيمته ٦ مليارات دولار».

٥) نشرت مجلة «المصور» في ٢٥ مايو ١٩٩٠ تقريرا عن الديون الخارجية لمصر، جاء فيه: «إن مصر مدينة بمبلغ ٤٠ مليار دولار، وهذا المبلغ يعادل ٣ أضعاف الدخل القومي لمصر، وهو ما يعادل ٣ أضعاف الناتج القومي لمصر».

٦) نشرت مجلة «المصور» في ٢٥ مايو ١٩٩٠ تقريرا عن الأوضاع الاقتصادية في مصر، جاء فيه: «إن مصر تستورد سنويا ما قيمته ٩ مليارات دولار، بينما لا يزيد ما تصدره عن ٣ مليارات دولار، وهذا يعني أن هناك عجزا في الميزان التجاري قيمته ٦ مليارات دولار».

٧) نشرت مجلة «المصور» في ٢٥ مايو ١٩٩٠ تقريرا عن الديون الخارجية لمصر، جاء فيه: «إن مصر مدينة بمبلغ ٤٠ مليار دولار، وهذا المبلغ يعادل ٣ أضعاف الدخل القومي لمصر، وهو ما يعادل ٣ أضعاف الناتج القومي لمصر».

٨) نشرت مجلة «المصور» في ٢٥ مايو ١٩٩٠ تقريرا عن الأوضاع الاقتصادية في مصر، جاء فيه: «إن مصر تستورد سنويا ما قيمته ٩ مليارات دولار، بينما لا يزيد ما تصدره عن ٣ مليارات دولار، وهذا يعني أن هناك عجزا في الميزان التجاري قيمته ٦ مليارات دولار».

٩) نشرت مجلة «المصور» في ٢٥ مايو ١٩٩٠ تقريرا عن الديون الخارجية لمصر، جاء فيه: «إن مصر مدينة بمبلغ ٤٠ مليار دولار، وهذا المبلغ يعادل ٣ أضعاف الدخل القومي لمصر، وهو ما يعادل ٣ أضعاف الناتج القومي لمصر».

١٠) نشرت مجلة «المصور» في ٢٥ مايو ١٩٩٠ تقريرا عن الأوضاع الاقتصادية في مصر، جاء فيه: «إن مصر تستورد سنويا ما قيمته ٩ مليارات دولار، بينما لا يزيد ما تصدره عن ٣ مليارات دولار، وهذا يعني أن هناك عجزا في الميزان التجاري قيمته ٦ مليارات دولار».

كانت ميول كيسنجر الواقعية المتشددة، وتركيزه على الأمر الواقع وتوازن القوى، تدفعه إلى تجاهل قضايا العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، والأخلاق. وكانت مثل هذه الأمور ثانوية، بل ولاصلة لها بـ «التوازن»، و«النظام»، و«الاستقرار الدولي». والوثائق التي رفعت عنها السرية برهان ساطع على جهود كيسنجر لتنفيذ دبلوماسيته بغض النظر عما تتكبده الدول الصغيرة، كما أنه لم يجد حرجا في الكذب والغش من أجل مصلحة بلاده

اللعـــــب علـــى حســـــاب

فـــواز جـــرجـــس

■ ■ نقدم الكتاب - لأول مرة - نصوصا مطبوعة، ورفعت عنها السرية لمحادثات هنري كيسنجر العديدة مع قادة الصين والاتحاد السوفيتي عدما كان مساعداً خاصاً لرئيس شئون الأمن القومي وبعد ذلك كوزير للخارجية، في عهد كل من ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد. وتكتسب هذه الوثائق التي رفعت السرية عنها مؤخراً قدراً غير عادي من الأهمية، نتيجة للضوء الذي تلقيه على سلوك الشخصيات التاريخية الكبرى ونظاءلاتها الدبلوماسية خلال مرحلة شديدة الأهمية من تاريخ الحرب الباردة. وهي المرحلة التي سعت فيها إدارة نيكسون إلى تحقيق الوفاق الدولي - أي القضاء على التوترات القائمة مع عدوها القوي الاتحاد السوفيتي، وإعادة العلاقات الودية مع حليفها القديم جمهورية الصين الشعبية. وهذه السنوات ذات الأثر المهم - الممتدة من ١٩٧١ حتى خروج كيسنجر من وزارة الخارجية في سنة ١٩٧٦ - تغطي، بالإضافة إلى دبلوماسية القوى الكبرى، أحداثاً

القنبلية مهمة من بينها الحرب العربية الإسرائيلية في أكتوبر ١٩٧٣، ودبلوماسية كيسنجر المكوكية بين القاهرة وتل أبيب ودمشق وغيرها من العواصم العربية والشرق أوسطية، والنطر العربي على تصدير البترول. ورد فعل كيسنجر ومحاولته إجبار الدول العربية المنتجة للبترول على إنهاء الحظر، وخطة كيسنجر الاستراتيجية لإبعاد الاتحاد السوفيتي عن دبلوماسية الشرق الأوسط وفرض الهيمنة الأمريكية على المنطقة.

والمؤكد أن اهتمام كيسنجر بالشرق الأوسط لم يكن نابعاً من أي فهم مشترك أو تعاطف مع الأطراف المحلية، (على أسوأ من أنه قلل بنظر دونما إلى إسرائيل على أنها حليف متميز)، وإنما من اهتمامه بالنظام والإستقرار العالميين. بعبارة أخرى، لم يكن كيسنجر مهتماً بالشرق الأوسط في حد ذاته، ولكن باحتمال أن تقلب المنطقة الميزان الدولي وتعكر صفو العلاقات بين القوى الكبرى. ومع بكن كيسنجر يكن لثوار العالم الثالث والنزعة القومية في الدول الصغيرة سوى الازدراء. ولقد عبر صراحة عن مشاعره: قناعة أعمالهم الثالث، مما لديهم من إحساس بسيط بالمسئولية نحو الدوار العالمي الشامل» يمكن أن «يبتزوا» احدى القوتين الأعظم و للسبعة - أو حتى يهددون السلام - مستغلين تناقضها.

وربما كان أفضل ما يوضح ازدراء كيسنجر للدول الصغيرة هو ما حدث خلال مواجهة كلامية جرت سنة ١٩٦٩ مع وزير خارجية شيلي جابرييل فالديس، الذي جرؤ على أن يعطي درساً لنيكسون في تعقد العلاقات بين الولايات المتحدة ودول أمريكا اللاتينية، ومع

The Kissinger Transcripts, The Top Secret Talks with Beijing & Moscow. (محاضر كيسنجر، المحادثات فائقة السرية مع بكين وموسكو)

William Burr (editor)
New York. The New Press.1999

يتردد بعضهم في أن يرد على الرجل بإهانة يشرحها قاذفيس الذي يشير إلى أن كيسنجر ما يقوله

مسيري الرير لقد قذفت خاصاً عربيه بك، تابع إلى هذا المنصب من أمريكا الأفريقية، عبر ثر هذا ليس صحيحاً فعلاً بالأمر من محصور أن شيء ما ستاريبع لم يصنع دخل في الجنوب أن محور التاريخ بدأ في موسكو، ويتجه إلى بيون، ثم يمتد شرقاً وغرباً، وبعد ذلك يتجه إلى «كوريا» من محدث في الجنوب لا أهمية له، فإنت تصبح وقتك.

وتتصح الفكر كيسنجر أكثر ما تتضح في كتابه The World Restored، أو وقوم دراسة عن الدبلوماسية الأوروبية في القرن التاسع عشر ومنزلة القوى في أعقاب انتصاره الحرب النابليونيوبية التي استمرت من ١٨٠٠ حتى ١٨١٤ والتي كيسنجر يعتقد أن النظام وقتئذ «توازناً دقيقاً»، يقوم على فرض القوى المشاركين من الدول الأقوى فعلياً». وكان كيسنجر يرى أن الاستقرار هو هدف الدولتين

الحرب !

الأساسي وكان يعتقد أن من الـ أجل على كل الدول أن تتعون في الحفاظ على التوازن. وفي تجنب الأطراف الحاسمة التي تعمل من أن تحدث اضطراباً في «الميزان الأخلاقي» العالمي. وأخيراً الحفاظ والحقوق الأساسية، وكانت مثل هذه الأمور ثانوية. وقال لا يصلح أبداً بالتوازن.. ، وقال: «الاستقرار الدولي». فقد تصبح كيسنجر بمسائل حقوق الإنسان والعدالة على سبيل «الدبلوماسية المثالية» ، الخاصة به ، والتي كانت تركز على السعي إلى توجيه وتشكيل العلاقات مع الاتحاد السوفيتي والصين، فأبيه مصلحة الولايات المتحدة والواقع أن الدولتين اللتين رأهما تعتبر السرية نحد بمقابلة برهان ساطع على جهود كيسنجر لتنفيذ الدبلوماسية المثلثة بغض النظر عن تنكدده الدول الصغيرة، أو حتى الاهتمام بالأخلاق وحقوق الإنسان والحقيقة.

إذا كان هناك وقت لتساءل سياسي عام في الدبلوماسية الدولية: أهو الاتحاد السوفيتي أو الصين وكانت تتمتكاك التي تقوم على الاحتمال، وفروره، وانتقاضي من أجل تعزيز قصد الصين وحسب، بل هو مواجهة كذك مع اليابان، واستهلكم السام وقواتكم الحوية والبحرية» ورغم أن الولتاق نبن أن القاده الصينيين، مولو نسي توتج وشو إين لاي ومنج شاوبويج، كانوا يخشون السوفييت ويذاوا الجهد لمنع أي هجوم سوفيتي محتمل على بلادهم، فقد بدا لهم بعتقدون أن كيسنجر حاول الصلاح بهم. وفي يقين هذا الواقع الطريق المسدود الذي وصلت إليه العلاقات الصينية الأمريكية خلال عامي ١٩٧٤ و١٩٧٥ وكانت تناول كيسنجر لدبلوماسية الثلوى الخطيي، الذي يقوم على التلاعب، فجأته من الناحية الجيوبولتيكية على الذى القصير. وكان ما يهمهم هو مدى كفاءة وقدة القوى لديه

شخص ذكي وليست المعرفة. ... ومختال إلى حد كبير. وكدليل على مفوذ كيسنجر وغروره، نقل بوزيرتي عنه قوله:

«هناك شخصان فقط يمكنهما ـ بصيغة أجازة محددة في لحظة بعينها بخصوص موقف لازمات المتحدة مثل هذه الأزمة ـ وهما الرئيس نيكسون وكيسنجر.

وهو ذلك كان بوزيرتي يعتقد أن النهائي له شيء من الأساس: فقد كان كيسنجر «وضع ثابت» في البيت الأبيض، وكان هو صاحب «التأثير المسيطر على الرئيس في مجال السياسة الخارجية».

والأمر لاكزار إشارة فيما يتعلق بنقل الوثائق السرية هو أنها تكشف عن محاولات كيسنجر لإدارة العلاقات الشيوعيين الاتحاد السوفتي والصين ـ احدهما عدو الآخر. ويكمن في جوهر استراتيجية بيكسون / كيسنجر

الخاصة بالحرب الباردة. لم بالوقاق. السعي من أجل توازن يقوم على اقتناص الصيني السوفيتي. والتلاعب مع موسكو. والذيل المستمر نحو بكين. بينما يسعى لضمان أن أياً من القوتين الشيوعيتين لن تصبح على علاقة وثيقة بحلفاء امريكا في آسيا وأوروبا. وقد اتضح من قبل واشنطن نجوبكن في محاولة كيسنجر لتحسين العلاقات مع الصين، وتعميقها، والمشاركة في المعلومات الاستخبارية. وفتح خط سلكي لتحذير الصينيين في حال حدوث تحركات طارئة وحتى بعد أن بدأ الوفاق الأمريكي السوفيتي راسخاً بعد ١٩٧٢. تبين الوثائق أن كيسنجر حث الصينيين من احتمال حدوث هجوم سوفيتي في منتصف السبعينيات. كما أنه في مسألة إقامة تحالف «ضمني» مع بكين، بالرغم بطبيعة الحال في جهم التهديد السوفيتي لصين.

ومع ذلك لم ينضم الاتحاد الصيني ـ بتكتيكات كيسنجر، حمض أوضحوا له أن موسكو كانت تمثل تهديداً أو لنجش أكثر من بيدونيا للأمم. فعلى سبيل المثال، أبلغ بكين رئيس الوزراء الصيني شواوجو دين كيسنجر في اجتماع في سنة ١٩٧٤ أن «القوة العسكرية السوفيتية في الشرق ليست موجهة ضد الصين وحسب، بل هي موجهة كذلك ضد اليابان، واستهلكم السام وقواتكم الحوية والبحرية» ورغم أن الوثائق تبين أن القاده الصينيين، مولو تسي توتج وشو إين لاي ومنج شاوبويج، كانوا يخشون السوفييت ويذاوا الجهد لمنع أي هجوم سوفيتي محتمل على بلادهم، فقد بدا لهم يعتقدون أن كيسنجر حاول الصلاح بهم. وفي يقين هذا الواقع الطريق المسدود الذي وصلت إليه العلاقات الصينية الأمريكية خلال عامي ١٩٧٤ و١٩٧٥

وتأت تناول كيسنجر لدبلوماسية الثلوى الخطيي، الذي يقوم على التلاعب، فجأته من الناحية الجيوبولتيكية على الذى القصير. وكان ما يهمهم هو مدى كفاءة وقدة القوى لديه

الاستراتيجية الأمريكية آنذاك الحرب وبعدها بسكل بالغ الوضوح.

وتكمن أسباب قرب كيسنجر من صدام حسين في حاجته إلى دعمهم لاستكمال محاصرة السوفييت في الشرق الأوسط. وكان كيسنجر يرغب في ضمان استمرار الصدمة بين العراق والمعارضة الكمبلكية عن طريق معاقبة بن الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة من المعطفة. وفي لحظة مع الرئيس جيرالد فورد والسكرتير الأمريكي هنري كيسنجر في ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣، أبلغهم كيسنجر أن السوفييت حولوا إلى العراق أسلحة إفراج الأمريكان ماشجعه بالتدخل من جانب واحد ما لم تجبر إسرائيل على احترام وقف إطلاق النار. وجرى الحوار على النحو التالي:

[قال كيسنجر مازحاً] إن السوفييت «حاولوا الإطاء بنظامهم في الليلة الماضية». فإنه قال إنه لم يتوقع [أن سيستمادما هو مايسمى الأسلحة بمهامي نزيل ليلة. فحين أنا هناك كيسنجر وفورد وشليسنجر في البيت الأبيض السوفييتي يقدر الإمكان. هل شكو سوف تحتلون... مع هذه الأهداف احتلاف عميقا [صمت]. لم يقدر السفير الصيني لدى واشنطن سكوت كيسنجر وفورد بقوله: «لقيس بالضرورة». وسخر كيسنجر قائلاً: «لكننا سوف متتبعهم بعض الطرق تصويتاتكم».

يكمن كيسنجر الاتحاد السوفييتي بمثابة رسالة «عديلة في لقياء، بحرفي فيها من أساء إلى أشقاء على الفور على إرسال قوة مشتركة معهم إلى الشرق الأوسط وإرغام سوفييتية خالصة». وأضاف كيسنجر أنه لم يكن مستعد، على حد تعبيره، لإرسال قوات سوف متتبعهم بعض الطرق السوفييتية. وقال كيسنجر إن الاتحاد السوفييتي يقدر الإمكان. هل شكو سوف تحتلون... مع هذه الأهداف اختلاف عميقا [صمت]. لم يقدر السفير الصيني لدى واشنطن سكوت كيسنجر وفورد بقوله: «لقيس بالضرورة». وسخر كيسنجر قائلاً: «لكننا سوف متتبعهم بعض الطرق السوفييتية. وقال كيسنجر إن الاتحاد السوفييتي يقدر الإمكان. هل شكو سوف تحتلون... مع هذه الأهداف اختلاف عميقا [صمت]. لم يقدر السفير الصيني لدى واشنطن سكوت كيسنجر وفورد بقوله: «لقيس بالضرورة». وسخر كيسنجر قائلاً: «لكننا سوف متتبعهم بعض الطرق السوفييتية.

وكان الرئيس السادات يعي هذه الحقيقة ولم يسرد في طرد الخبراء العسكريين السوفييت من مصر وإلغاء دور السادات بدور القوة المسلحة واستعادة قدرتها على تحرير ميزان القوى في الصراع العربي الإسرائيلي تحريراً كبيراً. ومع أن السادات كان مدركاً تماماً في تقييمه للقدرات والنوايا السوفييتية، فهو لم يدخل مجيارانه في الحد الأقصى قبل طرد الخبراء العسكريين الروس من مصر.

وما كان عليه كيسنجر من صلف، وما كان يتمتع به من مهارة الفوز في المفاوضة، فقد تحاول التأثير على القادة الصينيين بادعائه أن السبب في تراجع السوفييت عن المواجهة العسكرية هو أنهم «ماهزموه». وهنا تساءل سفير الصين لدى واشنطن، هوانغ زن، عما إن كان «فورد» وكان كيسنجر صريحاً هذه المرة حين قال «المصريون هم الذين انهزموه في الأساس». وعليه فقد انهزم الروس». وبدئ كيسنجر يراه على الروس والعرب كما ولا يطيبون وفي إطلاق الهالة بالحاح سياسي تعبير الموقف العسكري لصلحة إسرائيل. وعندما لم يقتنع هوانغ بن كيسنجر، طلب منه تقييم الموقف السياسي والعسكري في الشرق الأوسط. وهنا قال كيسنجر في مطبق سيتعمد كلمة من الموضوعية والتواضع [ ] يرغبون في تعطيل الاتحاد السوفييتي مثل بهزيمة استراتيجية صحيحة وهنا هو الصيني في محاولتهم حماية ملايين طلبة الشاة حتى الآن بقبله الاتحاد السوفييتي استدلاله [العرب] معظم الدعات التي استمع إليها من على القمة الرئيس [ ] من ماكتابهم الخصين عن انتصار العسكرية من الاتحاد السوفييتي. أما إذا كانوا يريدون في تعليق تلميح سلوم سيف بأحد، فإنهم يتعاملون مع الولايات المتحدة ولا أنهما نسبة للحرب صوف سوف عصم [ ] في تخطيط بقدم ديموسلمي وهو، عليه فإنما نسبة [ ] بوضع جديد يسمح بالحد من الفوز السياسي السوفيتي.

ما قاله كيسنجر يمثل مجملاً من ناحيتين، لإوهامه أنه لم يلق أي من السوفييت أو العرب «هزيمة استراتيجية ضخمة في حرب ١٩٧٣ على العكس من ذلك، فقد حقق المصريون

والسوريون نجاحاً عسكرياً تحريراً في ١٩٧٣، رغم الأخطاء التكتيكية التي ارتكبت بهم في نهاية الحرب. وينبغي على كيسنجر تفسه، وهو الخبير الاستراتيجي، أن يعرف ذلك. الأمر الثاني هو أن خوف الولايات المتحدة ما كان لتنشط في سعيدنا إلقاع إسرائيل بمعدوجود احتلال الأراضي العربية لولا حرب أكتوبر التي شنتها مصر وسوريا، حمث كسرت الأوضاع الجديدة للقوات على المصرح المصرح الإسرائيلي. فضلاً عن أنه فيما بين ١٩٧٠ و١٩٧٣ فإن الرئيس السادات سعى سعياً حثيثاً للوصول إلى اتفاق سلمي مع إسرائيل. إلا أن مبادرات السادات لم تلق آذاناً صاغية في واشنطن ولم تعبر فقد فشل الإسرائيليون والشعلن ولم تعبر فقد فشل الإسرائيليون والشعلن ونتيجة لذلك، وازدادت شهيتهم بعد حرب ١٩٧٦ ولم يشرح الإسرائيليون عن مسارهم ليضغطوا على إسرائيل كي تستجيب للسادات. وكان ما حقق أكبر قدر من الصدمة هو أن نيكسون وكيسنجر لم يبديا أي رد فعل إزاء السادات المهم بطرد الخبراء العسكريين السوفييت من مصر سنة ١٩٧٢

٣

إن القيادة الأمريكية تحترم حسم القوة. فبعد ١٩٦٧ تم تدعال بجدية من ما يقوله العرب وهو أن تفسير هذه حكاية حلمة أن تشارك بفاعلية في دفع إسرائيل نحو تسوية عادلة. وكانت حرب ١٩٧٣ بمثابة صدمة أقامت كلاً من البداية الولايات المتحدة وإسرائيل. وإن هذا السبق ما كيسنجر وتلوماسية الحظوظ خارق والدبلوماسية الملوكية، فهو توفق الأعمال القتالية بين إسرائيل وجارتيها العربيات.

ويستحق رد هوانغ المسهب على كيسنجر أن نقرره هنا بالكامل، لما يلقيه من ضوء على استراتيجية الصين نحو الشرق الأوسط. وتاماتها، ليس فقط بسبب الأحداث والتعليقات، بل كذلك بالحدل والمصالحة الذي سيتلو ذلك.

هوانغ: ولكن هناك اختلافاً أساسياً بين التقديرات هنا فإنه أرى الأمور من منظور أي

وكان الرئيس السادات يعي هذه الحقيقة ولم يسرد في طرد الخبراء العسكريين السوفييت من مصر وإلغاء دور السادات بدور القوة المسلحة واستعادة قدرتها على تحرير ميزان القوى في الصراع العربي الإسرائيلي تحريراً كبيراً. ومع أن السادات كان مدركاً تماماً في تقييمه للقدرات والنوايا السوفييتية، فهو لم يدخل مجيارانه في الحد الأقصى قبل طرد الخبراء العسكريين الروس من مصر.

وما كان عليه كيسنجر من صلف، وما كان يتمتع به من مهارة الفوز في المفاوضة، فقد تحاول التأثير على القادة الصينيين بادعائه أن السبب في تراجع السوفييت عن المواجهة العسكرية هو أنهم «ماهزموه». وهنا تساءل سفير الصين لدى واشنطن، هوانغ زن، عما إن كان «فورد» وكان كيسنجر صريحاً هذه المرة حين قال «المصريون هم الذين انهزموه في الأساس. وعليه فقد انهزم الروس». وبدئ كيسنجر يراه على الروس والعرب كما ولا يطيبون وفي إطلاق الهالة بالحاح سياسي تعبير الموقف العسكري لصلحة إسرائيل. وعندما لم يقتنع هوانغ بن كيسنجر، طلب منه تقييم الموقف السياسي والعسكري في الشرق الأوسط. وهنا قال كيسنجر في مطبق سيتعمد كلمة من الموضوعية والتواضع [ ] يرغبون في تعطيل الاتحاد السوفييتي مثل بهزيمة استراتيجية صحيحة وهنا هو الصيني في محاولتهم حماية ملايين طلبة الشاة حتى الآن بقبله الاتحاد السوفييتي استدلاله [العرب] معظم الدعات التي استمع إليها من على القمة الرئيس [ ] من ماكتابهم الخصين عن انتصار العسكرية من الاتحاد السوفييتي. أما إذا كانوا يريدون في تعليق تلميح سلوم سيف بأحد، فإنهم يتعاملون مع الولايات المتحدة ولا أنهما نسبة للحرب صوف سوف عصم [ ] في تخطيط بقدم ديموسلمي وهو، عليه فإنما نسبة [ ] بوضع جديد يسمح بالحد من الفوز السياسي السوفيتي.

ما قاله كيسنجر يمثل مجملاً من ناحيتين، لإوهامه أنه لم يلق أي من السوفييت أو العرب «هزيمة استراتيجية ضخمة في حرب ١٩٧٣ على العكس من ذلك، فقد حقق المصريون

والسوريون نجاحاً عسكرياً تحريراً في ١٩٧٣، رغم الأخطاء التكتيكية التي ارتكبت بهم في نهاية الحرب. وينبغي على كيسنجر تفسه، وهو الخبير الاستراتيجي، أن يعرف ذلك. الأمر الثاني هو أن خوف الولايات المتحدة ما كان لتنشط في سعيدنا إلقاع إسرائيل بمعدوجود احتلال الأراضي العربية لولا حرب أكتوبر التي شنتها مصر وسوريا، حمث كسرت الأوضاع الجديدة للقوات على المصرح المصرح الإسرائيلي. فضلاً عن أنه فيما بين ١٩٧٠ و١٩٧٣ فإن الرئيس السادات سعى سعياً حثيثاً للوصول إلى اتفاق سلمي مع إسرائيل. إلا أن مبادرات السادات لم تلق آذاناً صاغية في واشنطن ولم تعبر فقد فشل الإسرائيليون والشعلن ونتيجة لذلك، وازدادت شهيتهم بعد حرب ١٩٧٦ ولم يشرح الإسرائيليون عن مسارهم ليضغطوا على إسرائيل كي تستجيب للسادات. وكان ما حقق أكبر قدر من الصدمة هو أن نيكسون وكيسنجر لم يبديا أي رد فعل إزاء السادات المهم بطرد الخبراء العسكريين السوفييت من مصر سنة ١٩٧٢

٣

إن القيادة الأمريكية تحترم حسم القوة. فبعد ١٩٦٧ تم تدعال بجدية من ما يقوله العرب وهو أن تفسير هذه حكاية حلمة أن تشارك بفاعلية في دفع إسرائيل نحو تسوية عادلة. وكانت حرب ١٩٧٣ بمثابة صدمة أقامت كلاً من البداية الولايات المتحدة وإسرائيل. وإن هذا السبق ما كيسنجر وتلوماسية الحظوظ خارق والدبلوماسية الملوكية، فهو توفق الأعمال القتالية بين إسرائيل وجارتيها العربيات.

ويستحق رد هوانغ المسهب على كيسنجر أن نقرره هنا بالكامل، لما يلقيه من ضوء على استراتيجية الصين نحو الشرق الأوسط. وتاماتها، ليس فقط بسبب الأحداث والتعليقات، بل كذلك بالحدل والمصالحة الذي سيتلو ذلك.

هوانغ: ولكن هناك اختلافاً أساسياً بين التقديرات هنا فإنه أرى الأمور من منظور أي

بعد ١٩٧٣ كان كيسنجر يعرف المأزق العربي تمام المعرفة وعندما طالبه نائب رئيس الوزراء الصيني دنج شياو بنج بالتعجيل في عملية بسكرية أن العرب لا يفرقون بين شعر الملاهم وبين السياسة الخارجية. «إلا أن الزعيم الصيني لم تعجبه هذه الإشارة وطالبه بألا يهون من شأن العرب

الحاسي عادل وأيها ليس عادلاً؛ ونحن مر نحكك انه يبدأ ترى بعد أهمية السلاح، دون من يستخدمون هذا السلاح لكن أهمية

وتزور الشعب العربي عانى في العقود الماضية للأسف من الهيمنة عمثل قوى عالمية البريطانية على فلسطين سنة ١٩٤٧ وعندما أنهت إسرائيل أصبحت هناك دولتان واحدة في فلسطين وأخرى هي إسرائيل - بدعم من القوى العالمية. وشنت إسرائيل هجمات على الدول العربية، وطرد العرب الذين كانوا في المنطقة الفلسطينية وعددهم نحو خمسة ملايين. ليصبحوا لاجئاً سوى وطوال هذه الفترة كانوا العربية يسيئ العرب والفلسطينيون بعيد عن بيوتهم مضطرين للعيش في معسكرات اللاجئين. وبعد حرب ١٩٦٧ شعر معسكرات اللاجئين بالهدنة وهذا هو السبب في معاناة الشعب العربي معاناة شديدة في حرب ١٩٦٧ صحيح أن السوفييت أعطوهم السلاح ولكنهم لم يرسلوا لهم جيوشهم بمستعلوب. فكل ما عليهم هو السيطرة عليهم وفي ظل تلك الظروف لم يكن بإمكان الشعب العربي بالطبع أن يهدد من بيدي معظمه وفي مواجهة استمرار إسرائيل، حارب العرب دفاعاً عن أنفسهم، كما أوضح بنائب الوزير هي كلمته أمام مجلس الأمن. إذ قال إن العرب يكرهون الحرب كثيراً بسبباً شديدة. وقد أرغموا العلم المتحرر متحررين شرعي الصين. وعلى جبهة الجولان، وهذا أيضاً ما يقوله إن العرب إن الإسرائيلية سوف تنسحب كاملاً من الجولان. وإنهم لا يريدون أكثر من ذلك. كما أن العرب الفلسطينيين كانوا مستعدين بطولياً لإرادات وحدة الشعب وقوته. وليست لدى فكرة واضحة عن الوقت الحالي.

إن موقف الشعب العربي فيه قوة وفي هذه القوات أو داك قد تكون هناك ضعف كبير. غير أني لا أشارك التقييم الذي يقول بأنهم سيؤدي ضعف على الدنيا تام من الجانب صاحب الحق في الذي سيتشعر في نهاية الأمر والذا أن الأراضي تم لهم لاصطياد، والذي الحقوق المشروعة للعرب الفلسطينيين لم تتم تسويتهما. فلن يكون هناك سلام وفيما يتعلق بما فعله الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، فأنا أعتبر هذا الرأي بشكل صريح وفي النهاية، سوف ينتصر العرب بكل تأكيد.

كيسنجر: نحن لسنا معدنين للعرب. وهذا الأساسي هو التعدي للقول السوفيتي. كما أحديثك من قبل ونحن نقدس بجدية شديدة من قبل مائب الوزير في تيويورك. وسوف نرى ما سوف تتخذ سياسة جديدة تجاه العرب وما أرسلك الرأي على أنهم يعتبر من أجهاة من تسوف الماضية وفي وجه بارزا بسبب.

هوانغ: أردت فقط شرح هذه الأمور. ولن أحرص فيما هو أكثر من ذلك إنما أصدقاء قدامى يجب أن لما وتحدث بطل معظلة، ولكننا أصدقاء قدامى وأنا تعرف أنما متعاطفون مع قضية الشعب العربي

كيسنجر: ونحن لا نطلب منكم التخلي عن هذا

هوانغ: ونحن قدأ في السابق إننا سنة نضد الشعب اليهودي؛ ممن معارضين للصهيونية والعدوان الصهيوني وهذا ما يقوله العرب كذلك

وعلاوة على ذلك، فأنا نفسي يعتبري جديداً. لأومن بالنظرية التي تقول إن السلاح يحسم كل شيء. فلك أنه لو كان السلاح لكثر يحسم، فما كان للثورة الصينية أن تنتصر ولا حقق حروج واشنطن انتصاره وأخيرن كذلك؟

وفي اجتماع لاحق عقد في بكين يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٣، أثرت القيادة الصينية استفزاز من أقوالها وسياسة الخارجية تجاه الشرق الأوسط. فقد أبلغ هانغ كيسنجر أنه يعتبر أن الصين تريد من الولايات المتحدة أن تبذل قصارى جهدها للحصول على الطموحات العربية، فإن إحتواء الاتحاد السوفيتي لا بد أن تكون له

الأولوية؛ نحن من ناحية استعدادنا العديد من الدول العربية عندها السوبر استراتيجية من ناحية أخرى وحسب رؤوسنا أوباما الذي أعلن أنه سيعلن عن أول بنك شرق أوسطي، إذا يبقى لي أن أقول شكراً فرق واضح بين الكلام الإنشائي والواقع. الأمر الثاني هو أن كيسنجر كان صاحب معركة كبيرة اتذكرني مع الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، كيسنجر كان يعتقد أن الحرب عليه ضعيف بدون الدعم السياسي والعسكري الضخم الذي يتلقونها من موسكو، صحيح أنها تدعم الحوثيين ولكن المقصود إيران وحزب الله في لبنان، وحينما إلم الإخوان لا يوجد لهما في الشرق الأوسط، فعلاقات القوى في اليمن تحدد من الخاسر ومن المنتصر في نهاية المطاف. وإذا وثق من أن كيسنجر كان يعني ذلك تماماً.

لقد اتفق ما قاله ماوو مع ما قاله كيسنجر فمن الواضح أن الصين كانت ترى أن أحد من الخطر السوفيتي كانت له أولوية كبيرة على جدول سياساتها الخارجية بفوق أية اعتبارات أخرى، على نطاق أعرض، ونتيجه التناقض المثلث والخصوم من العملاقين الشيوعيين، يجبر كيسنجر في ذلك الوقت على الأخذ بعين الاعتبار وليأسس بذلك الاختبار الأمريكي في المنطقة ويركز، وكنت على من اللوتين الشيوعيين، أن تنقل في الأخرى، يقرر بفوق عدم فقدتها إلى الولايات المتحدة. وفوق كيسنجر هذا التناقض، إذا فيه مصلحة بلاده، وفقت الدول الصغيرة، وسيما الدول العربية ـ فصلاً بأهلاً لكونها بدائل في لعبة سياسة الشوق الكبرى.

ونخصوص المحادثات التي دارت وبي كيسنجر والقادة الصينيين تكشف عن أمور أكثر من تلك التي تكشفها مناقشاته مع القادة الروس. والأكتفاف يرجع إلى أن كيسنجر كان يسعى السياسات والاستراتيجية مع الصينيين بغرض الحصول على دعمهم التكتيكي ضد السوفييت. إلا أن ذلك لا يعني أن محادثات كيسنجر مع القادة السوفييت لم تكن مهمة، وفي حالة الشرق الأوسط، كانت محادثات كيسنجر مع سفير روسيا لدى الولايات المتحدة أناتولي دوبرينن، وغيره من الشخصيات، تسم بالتوتر والمراوغة. ومع أن السوفييت والأمريكيين كانوا مشاركين في الوفاق وكانوا يسعون إلى التعاون مع بعضهم البعض على حينات مختلفة، فقد كان السوفييت يسعون من استراتيجية كيسنجر الخاصة خلال حرب ١٩٧٣ ومنذ تلك الحين دبلوماسية الخطوة خطوة التي استبعدهم قصداً من جهوده لتسهيل انسحاب القوات الإسرائيلية من قناة السويس والتفاوض على فك الاشتباك الإسرائيلي السوري في هضبة الجولان.

ومن المفارقات أن السوفييت شعروا بأنهم لا حول لهم ولا قوة أمام هجوم بشتافي الكثير على مجريات الأحداث، وهو ما يعترف المصريين والسوريين، وخاصة الرئيس السادات، كانوا يفضلون التعامل مع الأمريكيين دون اشراك السوفييت في الأمر والواقع أن السادات توجب للأمريكان أنه لا يرغب في قيام السوفييت بدور فعال في المفاوضات. واعتبرت بريجينيف الحدود السوفيتي على حافاته الجنوبية السابقة، وفي اجتماع عاصف في الكرملين يوم ٢٦ مارس ١٩٧٤، وجه بريجينف اللوم لكيسنجر واعترض بشده على جهود الراعية إلى استبعاد الاتحاد السوفيتي من مفاوضات الشرق الأوسط. وزير كيسنجر وان الظاد السوفييت اتهموا بتحالل روز نوير جميل وبمحاولة استبعاد السوفييت تماماً من المفاوضات. واصر بريجينيف كذلك على أن الولايات المتحدة والمحادثات السورية الإسرائيلية الوشيكة إلى حنيف لن يتسنى لسوفييت المشاركة.

وتعلق برأيه بعض بها كيسنجر أن السفير الأمريكي سيعمد إلى فرض فكرة عن طبيعة الاجتماع إلى اجتماعي الرأي ثلاث سنوات وحد مع وزير خارجية موسكو هو أحمد الاعتقاد أن تعني عقلية مع القدرة السوفيت وتقليدا على نفسي من القواعد أيهم في حالة من العميق التسيد بشأن رأي في المفاوضات قال الاشتباك ويراقب رئيسا وهو ذلك وقفي كيسنجر محادثات بريجينيف وعلى الرئيس السورية الإسرائيلية وقبل نضال في الحفل يؤتمر جنيف واعترف كيسنجر سلوموسو الصعب لقاء وحدة الولايات العمود وزير يشعر بصورة إشراكه لبريجينيف أو افتراضاته الأساسية. ذلك أنه توسع يسعل بصفة شخصية على المفاوضات وموقف كان دور موسكو ماهيتي في الحين الأجوال.

ولم يستطع بريجينيف بطبيعة الفعل عدم الموضوع الشرق الأوسط في اليوم التالي. كما

في أكتوبر ١٩٧٤ حذر بريجينيف كيسنجر من أنه لايمكن تحقيق السلام في الشرق الأوسط دون تسوية حقيقية للمشكلة.. وقال له: لقد بدأت رحلاتك.. ولعبت على الدول كي تفرق بينها، وتجاهلك للمصالح العربية يضع الأساس لانفجار أسوأ مما وقع في أكتوبر.

هي رؤى دقيقة معدلة فقد انتقل كيسنجر عد بريجينيف على أن الموقف خطير في لسوق الأوسط وأن الأمريكان يعتقدون أن عليه أن يعمل بسرعة لتجنب الصدام عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ وأشار بعض المساعدة الأمريكان إلى حرب ١٩٧٣ على أنها نموذج لبل موسكو التي المغامرة وسوء استغلالها لتبديد الوضوح بالوفاق، كما دعوا إلى إعادة تقدير اعتدالات الأمريكية السوفييت وأكد بريجينيف لكيسنجر عد أنه من دعم على عقد مستوى بالموجود لمصري السوري على اسرائيل.

وبرنجينيف عبر عن ثم كان علم وقتها أنه سيتطلب حرب حتمية في لسوق ولم يكن هناك سياسات عن هذه عبرت في بات الحرب على الشرق الأوسط، حتى يتحرر كثير عقد يرث كيسنجر من بعض الصعوبة في رئيس الصين في تحقيق مصالح الحلب، وحاية بريجينيف، وحتى تأكيد دعوته التي تتطلع إلى منطقة حيادية إذا كان ضعيفون صدام من اسرائيل وكل الدول العربية مصلحة حاسمة، وقال كل صيغان في هذه المنطقة «متطلبان». وأنهما عن تنسق معرفتهما السياسية، وأهم المشكلة الوحيدة تكمن في كيسنجر لم يكن يعتزم في يوم من الأيام تنسيق الدبلوماسية مع السوفييت. والواقع أن استراتيجيته كانت تقوم على استبعاد السوفييت من المنطقة إن أمكن ذلك وبصراحة تامة لم يقل كيسنجر الحقيقة عندما برجينيف بقدم السوفييت إلى مفاوضات السلام على الجبهة المصرية والسورية في فبراير ١٩٧٤ استقبال كيسنجر واسع جداً في أول زيارة رئيساً وفي أكتوبر زار كيسنجر موسكو وأجرى محادثات مع القيادة السوفيتية ومن جديد كان الشرق الأوسط واحدة من المناطق المثيرة للخلاف التي سيطرت على المحادثات الأمريكية السوفيتية ونظر برجينيف كيسنجر استخباعها عبء الحاصد قبل سبعة أشهر وصمصحه بأنه «لا يمكن أن يكون هناك سلام في لشرق الأوسط دون وجود حقيقية لتسليمة» وأصاف برجينيف أن التسوية الحقيقية ينبغي أن تكون في إطار الاحترام الحق بحس الحقوق المشروعة لكل دول المنطقة. بما فيها إسرائيل وحذر برجينيف من أن «الوقف ينحو منحى مختلفاً، لقد مدأت رحلاتك ولعبت على الدول كي تفرق بينها» وتجاهل حاسبكم تماماً مصالح دقائق في تلك المنطقة». وحذر الزعيم السوفيتي كيسنجر من أنه يتجاهلك المصالح العربية أو تجاهلها يضع الأساس لانفجار أسوأ مما وقع في أكتوبر». كما أكد على أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يمكنهما من خلال التنسيق الاستراتيجي استغلال نفوذهما في الضغط على الأطراف المحلية وتحقيق السلام الدائم في الشرق الأوسط.

وكشف الحوار بين بريجينيف وكيسنجر

وكانت قوة كبيرة من الجيش قد قدرت على توجيه ٢٥ ضربة جوية خلال ساعة واحدة فقط من بداية الهجوم، وهو ما يعتبر رقما قياسيا في تاريخ الحرب الإسرائيلية على الفلسطينيين، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه الضربات الجوية استهدفت مواقع للمقاومة الفلسطينية في المخيم، وأن الهدف من هذه العملية هو القضاء على البنية التحتية للإرهاب في المخيم، وهو ما يعني أن الجيش الإسرائيلي يعتبر المخيم بأكمله هدفا للعمليات العسكرية، وليس مجرد مجموعة من المقاومين الذين يختبئون في المخيم.

وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية تأتي في إطار الرد على العملية الفدائية التي نفذها شاب فلسطيني في ٢٧ مارس في مدينة نتانيا الإسرائيلية، وأدت إلى مقتل ٢٠ إسرائيليا وجرح ١٤٠ آخرين، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية هي الأكبر منذ عملية السور الواقي، وأنها تهدف إلى القضاء على البنية التحتية للإرهاب في المخيم، وهو ما يعني أن الجيش الإسرائيلي يعتبر المخيم بأكمله هدفا للعمليات العسكرية، وليس مجرد مجموعة من المقاومين الذين يختبئون في المخيم.

وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية تأتي في إطار الرد على العملية الفدائية التي نفذها شاب فلسطيني في ٢٧ مارس في مدينة نتانيا الإسرائيلية، وأدت إلى مقتل ٢٠ إسرائيليا وجرح ١٤٠ آخرين، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية هي الأكبر منذ عملية السور الواقي، وأنها تهدف إلى القضاء على البنية التحتية للإرهاب في المخيم، وهو ما يعني أن الجيش الإسرائيلي يعتبر المخيم بأكمله هدفا للعمليات العسكرية، وليس مجرد مجموعة من المقاومين الذين يختبئون في المخيم.

وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية تأتي في إطار الرد على العملية الفدائية التي نفذها شاب فلسطيني في ٢٧ مارس في مدينة نتانيا الإسرائيلية، وأدت إلى مقتل ٢٠ إسرائيليا وجرح ١٤٠ آخرين، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية هي الأكبر منذ عملية السور الواقي، وأنها تهدف إلى القضاء على البنية التحتية للإرهاب في المخيم، وهو ما يعني أن الجيش الإسرائيلي يعتبر المخيم بأكمله هدفا للعمليات العسكرية، وليس مجرد مجموعة من المقاومين الذين يختبئون في المخيم.

وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية تأتي في إطار الرد على العملية الفدائية التي نفذها شاب فلسطيني في ٢٧ مارس في مدينة نتانيا الإسرائيلية، وأدت إلى مقتل ٢٠ إسرائيليا وجرح ١٤٠ آخرين، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية هي الأكبر منذ عملية السور الواقي، وأنها تهدف إلى القضاء على البنية التحتية للإرهاب في المخيم، وهو ما يعني أن الجيش الإسرائيلي يعتبر المخيم بأكمله هدفا للعمليات العسكرية، وليس مجرد مجموعة من المقاومين الذين يختبئون في المخيم.

وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية تأتي في إطار الرد على العملية الفدائية التي نفذها شاب فلسطيني في ٢٧ مارس في مدينة نتانيا الإسرائيلية، وأدت إلى مقتل ٢٠ إسرائيليا وجرح ١٤٠ آخرين، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية هي الأكبر منذ عملية السور الواقي، وأنها تهدف إلى القضاء على البنية التحتية للإرهاب في المخيم، وهو ما يعني أن الجيش الإسرائيلي يعتبر المخيم بأكمله هدفا للعمليات العسكرية، وليس مجرد مجموعة من المقاومين الذين يختبئون في المخيم.

وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية تأتي في إطار الرد على العملية الفدائية التي نفذها شاب فلسطيني في ٢٧ مارس في مدينة نتانيا الإسرائيلية، وأدت إلى مقتل ٢٠ إسرائيليا وجرح ١٤٠ آخرين، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية هي الأكبر منذ عملية السور الواقي، وأنها تهدف إلى القضاء على البنية التحتية للإرهاب في المخيم، وهو ما يعني أن الجيش الإسرائيلي يعتبر المخيم بأكمله هدفا للعمليات العسكرية، وليس مجرد مجموعة من المقاومين الذين يختبئون في المخيم.

وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية تأتي في إطار الرد على العملية الفدائية التي نفذها شاب فلسطيني في ٢٧ مارس في مدينة نتانيا الإسرائيلية، وأدت إلى مقتل ٢٠ إسرائيليا وجرح ١٤٠ آخرين، وقد أعلن الجيش الإسرائيلي أن هذه العملية هي الأكبر منذ عملية السور الواقي، وأنها تهدف إلى القضاء على البنية التحتية للإرهاب في المخيم، وهو ما يعني أن الجيش الإسرائيلي يعتبر المخيم بأكمله هدفا للعمليات العسكرية، وليس مجرد مجموعة من المقاومين الذين يختبئون في المخيم.

.. وقراءة أخرى في محاضر كيسنجر

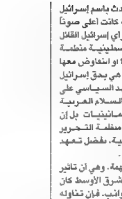

التفاوض مع الشيطان!

محمد الخولي

■ قبل واحد وعشرين عاما والتحديد في يناير عام ١٩٧٧، غادر هنري كيسنجر مكتبه للمرة الأخيرة، في مبنى وزارة الخارجية الأمريكية وبدها كانت تدور الاحتفالات الصاخبة في العاصمة واشنطن بمناسبة تنصيب رئيس جديد اسمه جيمي كارتر. وبينما كان موظفو الخارجية الأمريكية يستعدون لاستقبال وزير جديد، سيأوس فانس، كان الدكتور كيسنجر يعد حقائبه التي حملها معه.

كانت الحقائب مخمة بكميات ضخمة من الوثائق والمذكرات والمستندات. وقد خلع عليها صاحبها صفة «الأوراق الشخصية». لم أطلع إليها فنحا على الأعمال من الوثائق والمذكرات الحكومية والدراسات الرسمية التي قام بإعدادها طيلة فترة وإيته سواء في موقع مستشار الأمن القومي لدى الرئيس ريتشارد نيكسون، في البيت الأبيض، أو فترة توليه المنصب السامي الذي خلفا طوح إليه وهو وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية. ضمت هذان أربعة تحولات جذرية شهدها هذه السبعينيات في سياسة أمريكا الخارجية. وفي ومضارات السياسة الدولية بشكل عام. وهذه المتغيرات الأساسية الأربعة في الوفاق الدولي بين واشنطن وموسكو، واستقلال علاقات أمريكا مع الصين الشعبية. والتوصل إلى مهاية لحرب ڤيتنام مع تحويل سياسات الشرق الأوسط إلى ما يحقق مصالح أمريكا، على حساب الاتحاد السوفيتي، وما يضمن وفاء المشروع الاستيطاني الصهيوني في إسرائيل.

وعلى مدى السنوات التي تعقبت انتهاء الحرب الطالمة الثانية، توالى على مناصب وزير الخارجية وهو الوزير الأول - حسب التقاليد - في حكومة واشنطن سبعة عديدون، لكن يظل كيسنجر بين هؤلاء الوزراء نجما تخطب وده أجهزة الإعلام، المرئية والمقروءة، لتصنع عوامل شبهه.

إنه جاء من صفوف الأكاديميا، واستطاع أن يضع الكثير من رصيده الجامعي كأستاذ علوم السياسة في جامعة «هارفارد» وكدارس متعمق لفن التوازنات السياسية معه عصر الوزير المعساوي الأشهر مترنيخ. وقد استطاع كيسنجر أن يضع هذا كله في خدمة الدبلوماسية الأمريكية.

٢- أنه كان يشكل مركز قوة وطنيا وديناميا سواء من موقعه كمساعد لرئيس الدولة في البيت الأبيض، أو كوزير للخارجية في عهد ريتشارد نيكسون الذي شاءت حظوظه العاثرة أن يسقط في مستنقع فضيحة ووترجيت. وأن يمضي ردحا طويلا من فترة رئاسته الثانية «وهو بطبعه هرجاء» كما يقول المحرر الأمريكي في البيت الأبيض. بينما كان وزير خارجيته هنري كيسنجر مكوكا مشربا «برعم» بطارة ضاعة تحط وتحلق كل عدة ساعات في هذه العاصمة أو تلك.

٣- إن وجوده في منصبه الدبلوماسي الرفيع، تزامن «بضعة سعيدة» بالنسبة للسيد كيسنجر - مع عهد الرئيس المصري أنور السادات، رحمه الله، الذي مدا هري في التعامل معه بمنطق يكاد يقارب الاستهتار إلى أن تحمق في شخصية الرئيس المصري فإذا به يقهر مكائيدها ولم يكن بحاجة إلى أدوات في هذا المضمار سوى لسان أزب بكل دهاء للسادات وتصميم لم أر شبيه له في ذلك نوعيات ولحوظا شتى تحفها الحاظ انتقاما بعناية ولأشك من «بضاعة هارفارد» من قبيل «صبع الشارع» أو «تصبح الحمار» أو «كسر الحواجز العصبية». وديهي أن ترتفع بيرة هذه الشويعات إلى حيث أفول نجم أنريس السادات بعد أن يحتاره الأمريكيون ويتسبب لبلادهم من فرط الإعجاب.. الخ»

وديهي أيضا، أن يمثل ورود خارجية «بريكا فلقابا في المقابل» وسميات جدها عليه الرئيس السادات وهما «عزيزي هنري». ولاعجب أن يصرح الدكتور كيسنجر يوما سأله ڤل يرقص شخصية الملايين: مؤكدا أن السارجح محركه أساسا عوامل «موضوعية أكثر منها شخصية لأن الشخصية ليست هي المهمة - ماذا يدرك من العوامل الشخصية لهذا ورها

.. وقراءة أخرى في محاضر كيسنجر

التفاوض مع الشيطان!

محمد الخولي

■ قبل واحد وعشرين عاما والتحديد في يناير عام ١٩٧٧، غادر هنري كيسنجر مكتبه للمرة الأخيرة، في مبنى وزارة الخارجية الأمريكية وبدها كانت تدور الاحتفالات الصاخبة في العاصمة واشنطن بمناسبة تنصيب رئيس جديد اسمه جيمي كارتر. وبينما كان موظفو الخارجية الأمريكية يستعدون لاستقبال وزير جديد، سايروس فانس، كان الدكتور كيسنجر يعد حقائبه التي حملها معه.

كانت الحقائب مخمة بكميات ضخمة من الوثائق والمذكرات والمستندات. وقد خلع عليها صاحبها صفة «الأوراق الشخصية». لم أطلع إليها فنحا على الأعمال من الوثائق والمذكرات الحكومية والدراسات الرسمية التي قام بإعدادها طيلة فترة وإيته سواء في موقع مستشار الأمن القومي لدى الرئيس ريتشارد نيكسون، في البيت الأبيض، أو فترة توليه المنصب السامي الذي خلفا طوح إليه وهو وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية. ضمت هذان أربعة تحولات جذرية شهدها هذه السبعينيات في سياسة أمريكا الخارجية. وفي ومضارات السياسة الدولية بشكل عام. وهذه المتغيرات الأساسية الأربعة في الوفاق الدولي بين واشنطن وموسكو، واستقلال علاقات أمريكا مع الصين الشعبية. والتوصل إلى مهاية لحرب ڤيتنام مع تحويل سياسات الشرق الأوسط إلى ما يحقق مصالح أمريكا، على حساب الاتحاد السوفيتي، وما يضمن وفاء المشروع الاستيطاني الصهيوني في إسرائيل.

وعلى مدى السنوات التي تعقبت انتهاء الحرب العالمية الثانية، توالى على مناصب وزير الخارجية وهو الوزير الأول - حسب التقاليد - في حكومة واشنطن سبعة عديدون، لكن يظل كيسنجر بين هؤلاء الوزراء نجما تخطب وده أجهزة الإعلام، المرئية والمقروءة، لتصنع عوامل شبهه.

إنه جاء من صفوف الأكاديميا، واستطاع أن يضع الكثير من رصيده الجامعي كأستاذ علوم السياسة في جامعة «هارفارد» وكدارس متعمق لفن التوازنات السياسية معه عصر الوزير المعساوي الأشهر مترنيخ. وقد استطاع كيسنجر أن يضع هذا كله في خدمة الدبلوماسية الأمريكية.

٢- أنه كان يشكل مركز قوة وطنيا وديناميا سواء من موقعه كمساعد لرئيس الدولة في البيت الأبيض، أو كوزير للخارجية في عهد ريتشارد نيكسون الذي شاءت حظوظه العاثرة أن يسقط في مستنقع فضيحة ووترجيت. وأن يمضي ردحا طويلا من فترة رئاسته الثانية «وهو بطبعه هرجاء» كما يقول المحرر الأمريكي في البيت الأبيض. بينما كان وزير خارجيته هنري كيسنجر مكوكا مشربا «برعم» بطارة ضاعة تحط وتحلق كل عدة ساعات في هذه العاصمة أو تلك.

٣- إن وجوده في منصبه الدبلوماسي الرفيع، تزامن «بضعة سعيدة» بالنسبة للسيد كيسنجر - مع عهد الرئيس المصري أنور السادات، رحمه الله، الذي مدا هري في التعامل معه بمنطق يكاد يقارب الاستهتار إلى أن تحمق في شخصية الرئيس المصري فإذا به يقهر مكائيدها ولم يكن بحاجة إلى أدوات في هذا المضمار سوى لسان أزب بكل دهاء للسادات وتصميم لم أر شبيه له في ذلك نوعيات ولحوظا شتى تحفها الحاظ انتقاما بعناية ولأشك من «بضاعة هارفارد» من قبيل «صبع الشارع» أو «تصبح الحمار» أو «كسر الحواجز العصبية». وديهي أن ترتفع بيرة هذه الشويعات إلى حيث أفول نجم أنريس السادات بعد أن يحتاره الأمريكيون ويتسبب لبلادهم من فرط الإعجاب.. الخ»

وديهي أيضا، أن يمثل ورود خارجية «بريكا فلقابا في المقابل» وسميات جدها عليه الرئيس السادات وهما «عزيزي هنري». ولاعجب أن يصرح الدكتور كيسنجر يوما سأله ڤل يرقص شخصية الملايين: مؤكدا أن السارجح محركه أساسا عوامل «موضوعية أكثر منها شخصية لأن الشخصية ليست هي المهمة - ماذا يدرك من العوامل الشخصية لهذا ورها الفاعل والمؤثر في رسم أو تغيير مسارات الأحداث. وقد أدرجا هذا التغير في مدركاته إلى حد عايشه وأسه في تعامله - عند منتصف السبعينيات مع شخصيتين كان من أنور السادات وجدوا ماتير.

والخاصل ان الدكتور هنري كيسنجر مارال يشكل نوعا من المرجعية في مجال السياسة الخارجية الأمريكية. تتطور الأحداث وتتشابك الظروف في العراق أو في الصومال أو على مستوى المحالف الأطلسية (الناتو) أو داخل أروقة الأمم المتحدة فإذا بالمحاميرت تحرص على أن تتنقل إلى الدكتور كيسنجر لتستفيده وتستطلع ما بر عنده من رأه وطول «تنقل» إلى أبرج وهو قائم في مكتبة بيته الباذخ في «سكار سديل» وقلما يأتي هو صيفا إلى الأستريو وهو لا يكذب خبرا بل هو جاهز بوده بآرائه بعرضها بصوته الأجش ذي الرنين العميق العميق. وفي أغلبيته لا تخطئ الأذن الخبرة أنه كثيرا ما تستوعب رطانة أو لكنة أمانية عروبة أن هذه الموجودة تعكس نفسها بالتأكيد على هذا الكفاء وعواه.

«محاضر كيسنجر الصرفية» وقد تم تأريفها ونقلها من متونها الأصلية التي كانت محكمة على شرائط ومعي بدل. أمام أعضاء موظفة بالمصوت والطمة والحرف بعد من اهم المحادثات التي حرت في اعرف الأخير من هذا القرن وتارب بين وزير خارجية أكبر دولة في العالم ومن عند من أبرز زعماء العالم في هذه السبعينيات وفي مقدمتهم ماوتسي توتج وشوأين لاي في الصين، وليونيد برجينيف وأندريه جروميكو وألكسي كوسيجين في الاتحاد السوفيتي، إضافة إلى الرئيس الفرنسي الراحل جورج بومبيدو

ومن المفارقات أن كثيرا من كيسنجر على إبداع حقائبه قل منافساته خلال ولايته الوزارية من مستندات وشرطة ومذكرات ومع والعديد من العقبات والعراقيل أمام الباحثين الراغبين في الاطلاع بعمق على مستندات تلك المرحلة الحافلة بالمتحولات.

ترجمة أحمد محمود

لاسيما ان الرجل أوضح بعده الاطلاع على اى مهما لايعد خمس سنوات كاملة من رحيله عن الدنيا، ثم يكتشف الأمر فى مصادرات علنيه او بخفية سعيدة كما نسميها، عن أن نصوصا سبق نشرها من أشرطة كيسنجر قامت لها وجدت طريقها الى ملفات أخرى فى أروقة المخططات الدبلوماسية بالحارحة الأمريكية وعندما نمر هذا الاكتشاف، إلى علم مستولى الأرشيف القومى المعينداني للولايات المتحده نقط القلوب. مثل كلاب الصيد الدربة، إلى تقصى اثر هذه الشفريفات لمحاضر اللقاءات بين رهامات العالم وبين كيسنجر ومن خلال هذه النصوص تدخلت مادة الكتاب. غير أن كل الحرص الذى أبداه كيسنجر لم يمنع المصادفة من أن تكشف سراً يمكن أن يشكل حرجا شديدا له وربما تنال من نجوميته، «من حيث لايدرى «الدكتور» شيات المفارقات ان تكشف مدى تواطؤه مع بيكتاتور شيلى السابق بينوشيه فى ارتكاب هذه الجريمة البشعة من جرائم ضد حقوق الإنسان فى بلاده.

عقب الانقلاب العسكرى الذى اطاح فيه بالرئيس اليسارى المنتخب سلفادور الليندى عام ١٩٧٤ وربط حسب كيسنجر أن امر تأييده لبينوشيه لن يكشف، ولكن تنشأ قدراه او قدراهما المتعمدة أن تحمل الدبلوماتور العتور إلى مندد وأن يقدم إلى المحاكمة فى نيسامبا وأن يجمع ادلة العام الأسبانى مستندات واوراقا لإدانته والذى حسدت أن الضربة التى كانت موجهة فى الأساس إلى بينوشيه أصابت كيسنجر شخصيا. (عدد ٢٨/٢/١٩٩٩) عن تقرير امريكية (العدد ٢٨/٢/١٩٩٩) عن نص بقولها زاعما) فعلنا حالم «سرى للغاية». وأعلن إدانة فحولها وكشف ـ فصا تقول الصحيفة الإنجليزية لوسى كوسيدار ـ المدى الذى ذهب إليه كيسنجر فى التغطية على مذابح بنوشيه بل وفى ترضيته والتمهد بأن امريكا لن تطالب معاقبتة. فما جثته بداد بل ويتمنى لحكومته كل الخير!

غير أن احديث عن محفوظات أو أرشيف الأمن القومى فى امريكا يوقظ ذيمنا على اصصعيد المصرى او العربى ـ مواجع سنى فهذا الأرشيف ليس مؤسسة «تابعة للحكومة» بل إدارة حكومية فى جصم طبيعى لمجدا إعلان المستندات الرسمية، كما انها، فى الغالب ـ حتيف، بالاتجاه نحو انكتم أو التستر وعدم الكشف عن الوثائق وما فى حكمها من المحاضر والمذكرات وغيرها «السرية» المتعلقة، فى سرية المعلومات حفاظا على الإمن الوطنى أو الاستقرار الاجتماعى أو غيره من المبررات، لكن ها هى مؤسسة أرشيف الأمن القومى فى امريكا ـ وهى عبارة عن مكتبة بحكمية فى العاصمة واشنطن. وقد احتوت على الوثائق الحكومية المفرج عنها او المزوع عنها خاتم السرية وتعتبر بأنها قد استطاعت ان تمتى رشيقا بعتوى على اكبر مجموعة فى العالم تمكها مؤسسة خاصة. من الوثائق والمستندات المفرج عنها

كان هنرى سعف لعبته وحيدا كما قال يوما فى حديث إلى الصحيفة الإيطالية الشهيرة «أوريانا فالانتى» ولكن لم يقل لهبا إنه كان يستمع مؤد اللعبة إذا كان رئيسه ـ نيكسون ـ وهو من أقدر سياسة «مركا المعاصرين غرقا فى نوحال ووترجيت وعبروا» من ثم عن الإعمساك اصطفى بمقالب الأخرين.

ومحاصرة ظاهرات السرية لكيسنجر ترسم بعد بذل صوره معاصرة وحية لكيفية بناء ما يمكن ان نسميه شبكة بدلوماسية سرية مبنية أو مؤسسة خاصة ـ خلفية أو موازيه ـ لمؤسسة السياسة الخارجية الأصلية والمعتمدة والمتخاصمة، من لم ليتولد الدستور وأحكام القانون. وفى الشبكة التى كان يطلق عليه كيسنجر نفسه وهاينرو» الاسم الأخير «القنوات الخلفية» كما فى اتفاق كيسنجر ـ السادات فى بداية السبعينيات على وجود قناة خلفية تستخدم للاتصالات من خلف ظهر المؤسسات المختصة، كما تجسد من حالل تلك السبكه نوع من اختكار المعلومات أو هو الجهود الساسى الذى كان كيسنجر ـ كيسنستار للأمن القومى ـ يفعطه فى إداره دفة الشئون الخارجية سواء فى صراعه ضد سلفه فى وزارة الخارجية وليام روجرز أو ضد خصومه فى مؤسسة الديلوماسية المحترفة، فى الوزاره.

فى هذا القصار يشرح وليام بيب محرر هذا الكتاب كيف كان كيسنجر يعمل جاهدا للحفاظ على سرية هذه الاتصالات (الخلفية) التى كانت تتم وكها من خلف ظهر وزير الخارجية روجرز والذى استبعد به الغضب مثلا عددا فوجئ من بلاده ـ التى يفترض انه يدير سياستها الخارجية قرر ـ او ان كيسنجر هو الذى قرر ـ معادة باكستان فى الاشتعال حربها مع الهند فى شتاء عام ١٩٧١ (المصرب التى اضرجت إلى الوجود دولة بنجلاديش) بعد ان غلقت سياسة واشنطن المعلنة لسنوات عن تأييد الهند من منطلق مساندة استقلال بنجلاديش.

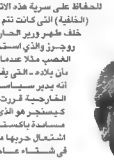

وعلى اعتبار فصوله ذبح الكتاب فى أن يقدم سبجاً حافلا بالمعلومات التاريخية المهمة فى حد ذاتها او من حيث ابها تصحح ردودا معلومات او مفاهيم وتصورات طرحت وشاعا خطأ او تعرضت لسوء الإدراك او خطأ التفسير.

من هنا جاء وصف الكتاب بانه واحد من اهم سجلات الحرب الباردة التى نشرت حتى الآن. على حد تعبير الصحفى الأمريكى «باتريك تايلر». والذى عمل لسنوات عدة مديرا لمكتب «نيويورك تايمز» فى العاصمة الصينية والكتاب ايضا كما يقول الكاتب الامريكى «جيمس هيرشرج» وهو من المهتمين بالتاريخ لحقبة الحرب الباردة، وخاصة فى الجناب النووى منها، يفتح الباب امام تقييم جديد لما وخارج وفعال لسنوات حافلة اضطرت فيها الاحداث وشهدت اتخاذ عدد من قرارات المصير، ولك بعد ملايين من الأرض لو يكن هنا ماض سوى التعويل على مذكرات صانعى تلك الاحداث بكل ما تحتويه من الدوران حول الذات.

..ويبقى ان علاف الكتاب يحمل صورة فوتوغرافية للدكتور كيسنجر بنظارته السميكة الشهيرة وهو فى كامل عافيته وربما نوع الأمل السياسى فى عقد السبعينيات. ولامر ما، ساء الفنان مصمم الغلاف أن يلون النظارة بلون أحمر تطل من ورائه العينان، وهو اللون الذى يخارعه عادة فى مفردات الفنون المرئية للإيحاء بوجود الشيطان! .هل كان الفاده والسابقة والإزعاء الذين عرصت فيه فصول الكتاب معقدون اجتماعاتهم مع «خضر» الباخر الألمانى اليهودى الذى كان نجما من نجوم السياسة الدولية سريع الرحيل؟ ام انهم كانوا ـ فى التحليل الأخير ـ يتأهلون فى شخصية اجتماعاتهم تلك مع الشيطان شخصيا؟! ■

كتاب الزاوية

من شعر إبراهيم ناجى

ظلام

لا تقل لى ذلك نجمٌ قد خبا
يا فؤادى كلُّ شىء ذهبا
ذلك الكوكبُ قد كان لعينى
السماوات وكان الشُّهبا
هذه الأنوارُ ما أضْيَعَهَا
صِرْنَ لى جَنْبى جراحًا وظُبى
كلما أهْدَتْ شعاعًا خَلَّفَتْ
بعده سجنًا ومَدَّتْ حُجُبا

* * *

قلتُ أسْلوكِ وكم من طعنة
بالمُداراة ولكن تهون
فإذا حُبُّكِ يَطْغَى مُزْبِدًا
كَدَفُوقِ السَّيْلِ طُغْيَانُ الجنون
وكذا تمضى حياتى كلُّها
بين يأس ورجاء وظنون
ما على الهجر معينٌ أبَدًا
وعلى النِّسيان لا شىءٌ يُعين

* * *

ذلك الحبُّ الذى قُرِّتُ به
لا أبالى فيه ألوان الملامه
ذلك الشَّطُّ الذى ذُقْتُ به
بعد لجِّ البحر أمْنًا وسلامه
إنَّه مزَّق قلبى قسوةً
وسقانى المُرَّ من كأس الندامه
صار ناراً ودماراً فى دمى
وصراعًا بين قلب وكرامه

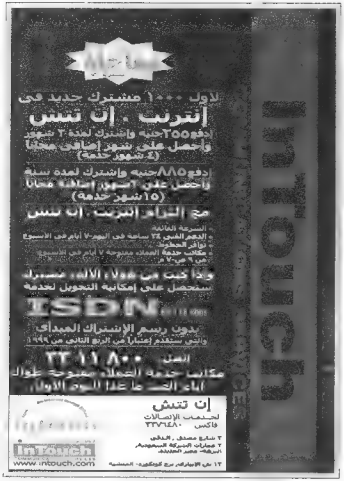

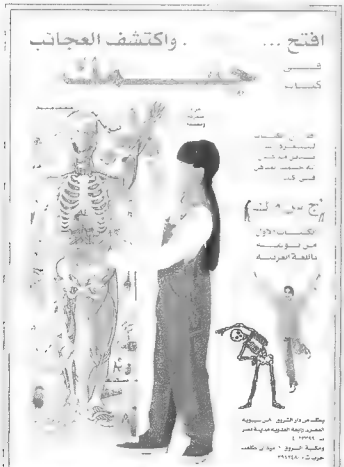

جديد

دار الجيل

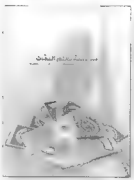

دار الجيل بيروت هاتف ٨٥٣٢٨٩ ، ٨٥٣٢١٧ - ٨٥٥٢٧٣ - فاكس ٨٥٢٤٤٧ ص.ب ٩٢١١ (٩٣٧٧ بيروت - لبنان
دار الجيل ٧ شارع الشدادي - المنطرع من العطبة الجيسل - الجيزة - هاتف ٥٨٢٩٥٩ - فاكس ٥٨٢٠٨٧

« رودنيك أعطى لكل من يقرأ كتابه سببا لكي ينقده، فالكتاب لايد أن يضيقوا بتطاول رودنيك على جميع الرموز الوطنية من رمسيس الثاني الى عبد الناصر..

والإسلاميون لن يعجبهم دفاعه عن طه حسين أو نصر حامد أبو زيد.. كما أن يستريح الحكوميون لإشاراته إلى معاناة القاهرة من انحطاط الذوق وفساد الذمة، والناصريون سيعترضون على وصف ما فعلته الثورة بالمدينة ويسكانها ».

القاهرة مدينة تنتصر على نفسها

«أم الدنيا» في عيون «الخواجة»..

زياد أحمد بهاء الدين

■ نعل اكبر صعوبة تواجه من يسعى لعرض كتاب ماكس رودنك عن مدينة القمر هو كيفية تصنيفه. فعندما رأيت الكتاب معروضا في المكتبات المختلفة، سواء في مصر أو خرجها، تبين لي أن كل واحدة قامت بتصنيفه على نحو مختلف، مما أكد لي حيرتي في محاولة وأن ما دب الاجتهاد مصنوع من هذا المحال. فبعض المكتبات وصعت الكتاب في المكتبة العامة التي تسعى لكي السياحة والسفر، ومكتبات أخرى رأت انه ينتمي إلى كتب التاريخ المصري، وبخاصة العروضي بينما عرضه بعضها الآخر مع كتب الفن والعمار المصري. وقد خطر لي وانني لن أسأل أحد المسؤولين في مكتبة أن يضع الكتاب حيث إلا بين صف جديد، وعجيب.. من الكتب اسمه «كتب الهدايا» عن المعلوم بذلك.

ولكن هذه الحيرة لها ما يبررها في ضوء ما يتصفه بالفعل كتاب «القاهرة: مدينة منتصرة» "Cairo The City Victorious" فهو ليس مؤلفا في وصف القاهرة، ولا يزعم تلخيص تاريخ المدينة بشكل مبسط، وهو ليس دليلا للأثار التي تحتويها، ولا يتضمن قائمة بالمطاعم والملاهي المعصلة، بل يحفر عميق في التاريخ والاجتماع والسياسة والمعمار، وفي عادات وسلوك الناس حتى تجعو يعطي مدينة القاهرة ملمسا وعداها وراثية وصوتا يدور أن يبجح عمل مكتوب في نظه إلى القارئ. والأهم من كل ذلك أن الكتاب ينجح في سرح كل العناصر السابقة من خلال رؤية شاملة تدير لدى القارئ أسئلة أكثر مما تجيب عليها، وتستثير فضوله لكي مما ترصى بالمعرفة، وتبقيه إلى النبك والتأمل والنقد بدلا من أن تجلبه وبلات الفضول. ولذلك فإن كتاب ماكس رودنيك في تقديري ينتمي بجدارة إلى طائفة الكتب الرحلات التي كانت حتى وقت قريب، ولا تزال في أحوال نادرة، تتضمن أرقى كتابات العصر ونحوى تحليلا اجتماعيا وثقافيا وحضاريا بالفعل الكامل. وهذه الطائفة من الكتب كانت أن تختفي تحت وطأة المؤلفات والمطبوعات السياحية التي لا هدف لها سوى تأكيد بقين السائح في مشاهدته السابقة، وطمس الخصوصية الحضارية للمجتمعات المختلفة، وتبسيط الحقائق والمعلومات، وايراز المعلومات التي لا قيمة لها سوى انها ما يسهل استلراد به ذهن السائح واسترجاعه حينما يرغب في ان يروى لاصدقائه أو زملائه بعض مواصر البلد الذي زاره.

ومن هذا فإن ما يجعل لهذا الكتاب قيمة خاصة هو انه يأتي في وقت تعاني القاهرة فيه - على وجه الخصوص - من ظاهرة تراجع الكتب الجيدة في مختلف المجالات أمام المؤلفات السياحية. وهي المؤلفات التي تنظر فقط إلى عشرات الكتب والمطبوعات التي تزخم بها المكتبات عن السياحة في مصر، وبالت صفحاتها لكي يدرك حجم المأساة التي يعاني منها القارئ العاد والمهتم بمعرفة أكثر عمقا عن البلد والكتاب المعروض هنا يأتي بمد طول انطباع لكي يملأ فراغا كبيرا ويكمل مسلسلا من الكتابة عن القاهرة وعن مجتمعها، بدأه كُتاب رومان سافروا إلى مصر قبل انتشار حكم الأسر الفرعونية، وتابعه رحالة وباحثون من عصور الحكم الإسلامي المختلفة، وتشرفنا لغة العلماء والباحثين الذين صحبوا الحملة الفرنسية على مصر أو زاروها لتحت حماية الاحتلال البريطاني، ثم كعنف فصوله الأخيرة المحاضرون الأحداث والوطنيون على حد سواء في عصر الاستقلال.

ولأن الكتاب لا ينفصل عن كاتبه، فإن ما يعطي هذا الكتاب ميزته الفريد وبجعل قراءته أقرب إلى مغامرة الساعرين عصور القاهرة المختلفة وبين أجيالها والعصر، هو أنها هو أن الباحث هنا ليس مجرد عابر سبيل بالقاهرة أو باحث شغوف بها أو قاض مؤقت لها، بل هو جزء منها، وعلى دراية كاملة بخباياها. ولدلك فإن الكتاب يكاد يكون رحلة استكشاف ذات الكاتب من خلال تراكم معرفته بالقاهرة وبالقاهريين ومن خلال طرح الأسئلة التي تحتم أهل البلد مثلما تحير زائريها.

ماكس رودنيك ليس غريبا عن القاهرة. فهو أصلا كاتب مقيم بها وصحفي ومراسل لعدة صحف وجرائد أجنبية منذ سنوات. وقد بدأت علاقته بالقاهرة منذ حضر إليها بصحبة والديه الذين يعملان بالتدريس الجامعي ومصر عاملان. ثم لم يبرح المدينة من وقتها إلا لفترات متقطعة، فتعلم في القاهرة، ونشأت صداقاته مع أبنائها، وعرف مباهج الحياة ومصاعبها في أحيائها، ثم تزوج مصرية وإن كانت من مدينة الإسكندرية، وقد درس تاريخ الشرق الأوسط وفترته بالجامعة الأمريكية في القاهرة، وانشرف قبل عمله بالصحافة في رسم خرائط القاهرة الإسلامية.

ولكن كل ما سبق لا يعني أن الكاتب على الخصوص في عجل على هذا القدر من الطموح والانسجام، فليس كل من سكن القاهرة وتزوج من أهلها وسار في طرقاتها مؤهلا لكتابة وصف مصر فيما يشمل تاريخها ومجتمعها ومعمارها وحضارتها وفنونها وتياراتها السياسية. وهو ذلك، فإن هذا العمل الطموح الى حد مخيف هو ما نقد عليه ماكس رودنيك مسلحا في ذلك بأدوات ومؤهلات إضافية، اهمها فضوله المستمر حتى ما يراه ويسمعه، وقدرته على استخدام أدق التفاصيل من أجل تكوين الصورة الشاملة، وبابه على النوف والحذر عليه من طريق التجول في مرقباتها، والجلوس على مقاهيها، والحديث مع أهلها من كل مكان وطبقة وحرفة. على نحو لا يبرز عليه أو لا يكشرت به هو ممخلم الاحوال أهل البلد وذهم.

هذا الاهتمام الشخصي بتجربة مصبح جوانب العيش في القاهرة أحد ثلاثة أركان أساسية لمنهج الكاتب فيما قدم عرض عمل طموح، إذ حاول في كل فرصة ممكنة أن يعرض على القارئ القاهرة ليس في إطار نظري، وإنما من خلال التجربة الشخصية والمعايشة الحقيقة. فهو لا يصف مثلا معمارا معينا وصفا هندسيا جامدا، وإنما يصف ما يراه المشاهد العيني حينما يقف في الشارع أمام هذا المعمار، وما يقف منه وما حل محله وما يهدد استمراره وهو لا يحكي تاريخا جافا ومجردا عن الحقبة المملوكية أو العرضوبية، وإنما يروي حكايات محددة من خلال ما يقع من زمنهم في القاهرة اليوم. ومن خلال انشغول في الطرقات التي حرت فيها تلك الأحداث ووصف حالها اليوم. وهو كذلك يتابع في كل مرحلة من تاريخ مصر التيارات الفكرية السائدة أو المعارضة ويربطها على نحو ما بالمكان الذي المعاصر على إلى يصف حتى زيارته للسوق الأسبوعية للحيوانات المزليسة في حي الخليفة، لمشهد عن قرب، محبوس في قفصه، منتظرا ويتوقف عند قدر محبوس في قفصه، منتظرا لمشهد عن حياته. ويقارن حالته المزرية بالمشاهد الذي حصل عليه احداه قبل آلاف السنين حينما كان فراعنة مصر لا يزالون يعتبرون الفرد تمثيلا لأحد الآلهة ويكرمونه في حياته وحتى مماته عن طريق استخنيط والدفن الانيق.

ولعل هذا ما يحمل اكتب منتعما في بيئة الآمر في طلاقة كتب الرحلات والسفر لما يتميز به من وصف للمدينة، وتجسمها من خلال منظور اليوم وتعبير ما يراه المرء بالفعل حينما يزورها او يحضن عنب، وليس من رؤية البحث التاريخي أو العمي أو الاجتماعي في حد ذاته.

أما الركن الثاني في ممنج الكتاب، فهو الابتعاد الكامل والمتعمد عن الطالب الأكاديمي، وما يرتبط به من وسائل في السحث والكتابة والعرض. وفي اعتقادي الخاص أن ماكس رودنيك قد تخمن عمدا بهذا اختيار فالمؤلفت الأكاديمية عن مختلف جوانب تاريخ القاهرة ومجتمعها والقضايا السياسية التي تشغلها أكثر من أن تحصى والأهم من ذلك أن ما له قيمة حقيقية ومضافة في هذا البحر من البحث الأكاديمي قليل جدا. وهذه قاهرة ليست منصلة بالكتابة عن القاهرة وحدها، بل صارت جامبا لصيقا من البحث الأكاديمي عموما، حتى أصبح الحديث عن البحث الأكاديمي مرادفا في معظم الأحيان للكتابة الجامدة الرتيبة التي لا يقرؤها سوى المحكمين. والتي تضع عبدا الرؤية الشاملة تحت وطأة التفاصيل. ولعل هذا هو السبب في الانتصار المتزايد الذي يحتاه عدد من أهم الأسماء الأكاديمية في العالم، من مختلف المشارب والتخصصات للكتابة

Cairo: The City Victorious
(القاهرة: المدينة المنتصرة)
Max Rodenbeck
London Picador, 1998

المتعطشة الى تنوعه إلى القارئ العام، والتي تعبر حواجز الخط الواحد الى مناقشة الموضوع الكلية

ولكن اسعد عن التناول الاكاديمي في حالة كتاب القاهرة له اسباب اخرى فالتساع موضوع الكتاب، وحجم المواضيع والقضايا والافكار التي يسعى لتقديمها، لا يسمح للكاتب بالاسترادة بلواعز المنحث الاكاديمي، ولا لتحول عنه الى موسوعة مملا الاف الصفحات وتظل قاصرة عن تحملة موضوعها، ومن جهة اخرى، فان الكاتب لا يلزم نفسه بمجال واحد للبحث، بل يحلط السياسة بالفن، والتاريخ بالمعمار، والعادات بالمعمار، والاسطورة بالواقع وهذا كله سبب القصور في البحث الاكاديمي والعاملين به، لا يجد كفاءا في المفهوم الخاص للبحث العلمي الذي صار يفصل رسم الحدود والفواصل بين المناهج والمجالات المختلفة، ويجزع من تحطي تلك الحواجز، مهما كان في ذلك من ضافة لغنية وص وضوح لتواقع محل البحث وقد ترتب على ايتعاد الكاتب عن المنهج الاكاديمي المتقيدي ان صار لديه قدر من الحرية في اختيار ما يرغب في تناوله من المواضيع وما يرى تجاهله، وهذه حرية ضرورية بالنظر إلى ان الكتاب يتناول مدينة القاهرة عبر العصور ومن مختلف الزوايا وكما يرى فان ايفاصا ان ماكس وتتلك قد اختار شكلا جديدا لتناول موضوعه، وهو تقسيم الكتاب الى عدة فصول، وفي مقابل يتناول موضوع مستقلا تتداخل فيه الرؤى التاريخية والمعمارية والسياسية، دون التقيد بتواعد واضحة تسلسل هذه الفصول واختيارها، وسنعود إلى هذه النقطة مرة اخرى بعد قليل.

اما المركز الثالث من منهج الصنعة الذي اعتمده الكاتب، والذي يتمثل في التركيز على نقل غيابي صور محدد له، فهو انه يوظف على صفحات وعلى القارئ ايضا عدة اسئلة بسيطة ومباشرة، ويكمنها أساسية في فهم قاهرة اليوم، والملمح الأرجح وبتفاعلون، وما الذي يقف في قاهرة اليوم واستمر من تاريخ هذه المدينة ليتعود له الحاضر من بليل، وما الذي يقف في سبيطة بلاشك، والإجابة عليها تبدو للوهلة الأولى سهلة، ولكن التعمق فيها يغمر فصايا اكثر عمقا وتعقدا وباعث عن براعة في رحلة طويلة عبر الحقبة المصرية المعاصرة هذه الانسلة البسيطة والصعبة في آن واحد هي ما تحدد إطار انتماء وما بعطيه وحدته، وهو ما يجبر كل الافكار المتناثرة فيه تسقط في موقعها، وهي ايضا ما يحفل الكتاب اثر الى المحاولة الخاصة للاستكشاف والتفكير الى بشر الكاتب فيها قراءه

ونتعد إلى فصول الكتاب ذاته، وقد سبق القول إنها تتناول مواضيع متفرقة، ولكل منها من منظور مختلف ولكن يضم رؤى مختلفة لا يجمعها سوى اختيار الكاتب لها وتجاربه الشخصية، وحركته الرشيقة بينها.

فيمال فصل عن اللص الذي نشأت وازدادت صل القاهرة الكبرى الحالية، وان خلاله يستعرض الكاتب تاريخ هذه المدن ويصف أنماط الحياة بها، وما تزال تالميزا منها على حياة القاهريين المعاصرين فالبداية كانت مدينة مقيس، عاصمة الحكم الفرعوني منذ وحد الملك مينا قطري مصر قبل ما يقرب من خمسة آلاف عام، وما ترتيط بذلك من بناء تدريجي للامراءات في الصفة الغربية للنيل تلي تصبح المنطقة في نهاية الامر أكبر مقبرة عرفته العالم وقد شيد المصريين مدينة أخرى على الضفة المقابلة للنيل، هي مدينة هليوبوليس، لتكريم وعبادة إله الشمس رع، ولم يبق منها اليوم سوى مسلة يتيمة في حي المطرية بشمال القاهرة. وقد استمرت مقيس هي العاصمة الرئيسية حتى سقوط مصر تحت الحكم الروماني، ثم طهر الدولة البيطمية، فبدا الحكام الجدد يظلون فواتهم إلى الضفة الشرقية للنيل على شكو أدى إلى اضمحلال مكانة مقيس وحكم مصر من حصن بابل الذي شيده الرومان في مكان تحطته اليوم القوم والعام الأثار الضخمة في حي مصر القديمة، فما فتح الجيش الإسلامي مصر بقيادة عمرو بن العاص، راد احكام الجديد، ان يمثل مركز الحكم الى مدينة الإسكندرية، إلا ان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، صرف الأهمية الإستراتيجية لموقع القاهرة الحالية، اعمر على استعمار إدارة البلاد منها، فنشأت في جنوب الضفة الشرقية لبيضا مدينة الفسطاط، قريبا من انقاض حصن بابل، ولغيرا، تطور الأمر مع اختيار أبناء الحكم الفاطمي، ومع نلوع المعمار الإسلامي مرحلة متقدمة من الإتقان، فنساء القاهرة شمال الفسطاط حول سلسلة من المساجد والأضرحة التي مثلت قمة المعمار الإسلامي في دولة المماليك.

والكاتب لا يقتفي فيما يعرض بصحبة رحلة العمر والانتقال من مكان إلى آخر، وإنما يبحث عن تفسير لكل ذلك، ويجده في عناصر متعددة، فهناك الظروف الطبيعية وتفير مجرى النيل وما نبلك من تأثير على المدن، وهناك الحركة المستمرة لمرتز التجارة، وما يتبع ذلك من انتقال للسكان والخدمات، ولكن هناك أيضا ظاهرة ملفتة ومزعجة يشير إليها الكاتب، وهي عدم قدرة أو استعداد كل مرحلة من المراحل السياسية الرئيسية في تاريخ مصر لاحداث ذكرى ما سبقها، بالرغبة في ان يبدا تاريخ مصر من جديد مع كل حاكم جديد، وهكذا لم يبق فعلا بعض الحكام وبقل من مكر الحكم من مكان إلى آخر، بل ذهب بعضهم إلى حد هدم المعابد والقصور والمقابر التي شيدت في العصر القديم للاستفادة بالأحجار والأعمدة والتماثيل الناتجة عن ذلك في بناء رموز الحكم الجديد ولاسف، ان هذه الظاهرة التي بدات منذ معالك الفراعنة تانهم، قد امتدت عبر التاريخ المصري، ولم تفارقه منذ هذا الوقت، وان كان ذلك أحيانا يهدم المباني، وأحيانا أخرى بالتلاعب بالحقائق التاريخية.

وفي الكتاب فصل آخر بعنوان من المولى يتناول قصة المكانة الأثيثية والمعايد والمقابر والمساجد والأضرحة التي شيدها المصريون في القاهرة عبر العصور من قديمة ومتاهم وحتى الآن من خلال هذا الوصف يلتجم موضوع تعامل المصريين مع الموت، وموضوعات تحديد الأهمية والسيطرة على العقل المصري وعلى العادات والمعتقدات الاجتماعية السائدة في مصر الى اليوم فمالوت كان - ولا يزال - لدى المصريين الحقيقة الأكثر رسوخا والمناسبة الاجتماعية الأهم، والمحور الذي دور حوله الحياة وينتظم به المجتمع لذلك فالمكان يعبد طقوس الموت في مقتله، المقابر، ويتوقف طويلا أمام ظاهرة «الموالد» التي يرى فيها امتدادا لحالة الفراعنة للتطرب من الأيقاء العديدة آنذاك من خلال الفراعنة، أولاه الواحد حاليا من خلال الأولياء الصالحين، وميوشير في سياق ذلك إلى ظاهرة أخرى هامة، وهي التخالف الذي لا يزال قائما بين الرؤية الإسلامية الشعبية - بما فيها من طقوس ومواله وذكر وزيارة للأضرحة وتقديس للأولياء - وبين الرؤية الإسلامية الرسمية

« في فصل بعنوان: صوت القاهرة، يصف الكاتب ألوانا مما تصدره المدينة من أصوات بجميع الوسائل. بدءا من صوت أم كلثوم الذي يتابعه الناس في الأسواق الشعبية وفي سيارات الأجرة، إلى الأصوات المزعجة للمحال التجارية... الى ما يصدر في القاهرة من مطبوعات صحفية..»

والمحافظة التي تعتصر كل ما سبق انحرافا وعودة لنوع من الوثنية جاء الإسلام لمحاربتهم والتخلص من سطوتها

أما في فصل بعنوان مجتمع الشراء ومجتمع القرء، فإن الكاتب يصف نماذج التبايين العلمي والثقافي الذي عرفته القاهرة على مر العصور، بما في ذلك المتناقضات التي لا تزال المدينة تعرفها اليوم بين اثراء الفاحش والفقر المدقع وبالكاتب لا يقف فقط عند حد وصف بعض مظاهر الفقر (مهما كانت مكان المقابر، ومجتمع جامعي القمامة، وغيره الرهض الذي يرتكبها من يعانون من أمراض عضالة دون أن تتكون لديهم أي وعي بخطورة ذلك على الذات، وعلى الآخرين، بل يحاول تحليل هذه الظواهر وتفسيرها، وإلقاء الضوء على جذورها التاريخية، وعلى الأسباب التي تجعل من الصعب القضاء عليها، ومن ثم فإن الكاتب يقدم لنا صورة شاملة ومتكاملة لمجتمع الشراء والقرء، ولا يكتفي بالوصف، بل يحاول تحليل الظواهر المختلفة،

الزاوية، نصف الكتاب صفاقة الإذاعة والسمنط المصرية، ويطرح أسئلة هامة عن كيفية استخدام الدولة، بالذات في مرحلة ما بعد الثورة، لوسائل الإعلام الرسمية من أجل تكوين هوية قومية جديدة، وفرض مظاهر التحضر الرسمية. وأخيرا ينتقل إلى تحليل ما يصدر في القاهرة من مطبوعات ومن وسائل صحافة، ومن كتب ومنشورات، وتكيفية تعبير المصريين عن آرائهم في كل هذه الموضوعات، وينتهي من خلال ذلك المناقشات الثقافية التي صارت القاهرة تعرفها اليوم. والتي يرى في محاولة قتل الكاتب نجيب محفوظ رمزا لها وللتراجع في الدور الذي صارت القاهرة تلعبه اليوم في الحياة الثقافية العربية.

هذه بعض فصول الكتاب والتي توضح أن الأسلوب الشامل الذي لا يعتمد منهجا واحدا، لوصف القاهرة هو ما يعطيه قيمة فريدة ويجعله بالفعل من أعمال أدب الرحلات بالمعنى الحقيقي والإكثر رقيا، أي بمعنى العالي في تقديم صورة عن المدينة بشكل متكامل وشخصي. ومن خلال ما يراه أو نراها يعيد قاطعها اليوم، ودون أن يضطر الكاتب إلى تبرير ما يختار الكتابة عنه وما يرى إغفاله.

ورغم تقديري لحرية الكاتب في اختيار ما يراه ملائما ومايتي تركه. إلا أن تقسيم الكتاب إلى فصول يتناول كل منها موضوعا متفصلا قد أغفل - في اعتقادي - جانبا هاما من تحليل الوصف القاهرة اليوم. وكان من الممكن أن يكون إضافة قيمة للكتاب وللمعرفة السائدة عن المدينة المصرية. هذا الفصل الدائم بين عناصر اقتصاد القاهرة المعاصر، والمفصود بذلك ليس تقديم بحث إحصائي جاف، وإنما رسم صورة عن الخصائص مدينة القاهرة بالمعنى الواسع. أي مقدمة تحليلا للمون والحرف التي يمارسها أهلها وسبلة دلك إلى الدخل القومي ويرغم الدخل في المدينة، وحجم الاستثمار والسبع والبطالع التي تدخل القاهرة مقارنة بما يطرح مثلها. وصعود صناعات وخدمات معينة على حساب غيره. وطروف العمل بها وحجم الخدمات التي تحظى بها المعاصمة المصرية ومصيبتها من مجزأبية الدولة في انخدمات الأساسية والمسة المتخطة. وبوقعات المستقبل لتطور المدينة من الناحية الاقتصادية هذه الصورة الاقتصادية الشاملة كان يمكن أن تصبغ إلى الكتاب جاذبيا هاما من هم وتحليل مدينة القاهرة. وهو جانب لا نجد في الكاتب كان قادرا على معالوه باقتدار. مطرا لأنه يمس بعض جوانبه بالفعل وإن كان بشكل عارض. وكان من الممكن أن يتناولها على نحو متكامل يسمح بعدا هاما وناقصا في فهم القاهرة اليوم

ومع ذلك، فمال الكتاب لا يحلو من أوجه للنقد لا يستهان بها. بل يسهل تصور سبب قبل هذا النقد في كل موضع من الكتاب وفي كل موضوع يتطرق إليه، ليس بسبب أخطاء أو آراء معينة، بل بسبب ذات المنهج الذي يبطي الكتاب قيمته الفريدة. إذ إن الاختيارات الشخصية التي يقوم بها الكاتب أيضا معلى أن تكون ما يستحق نقده.

فالباحث التاريخي في مصر الفرعونية مثلا قد تحد في تناوله للتاريخ القديم تسجلا لا يعده ويعبيره تعديا على البحث الأكاديمي الرصين والمتخصص في التاريخ الإسلامي قد يجد تدبيه «سقطات» غير مبررة وانحيازا مخالفا لقيمة للعصر المملوكي والرقي الفني والمعماري فيها على حساب كافة العصور الأخرى. وخبير المعمار قد لا يعجبه تناوله الوصفي لما بقي في القاهرة من معمار وعود الوصفي لما بقي في القاهرة من معمار وعود المشتغلة بالعمران، ويرى فيه اختصارا لتفاصيل فنية كثيرة وهامة. أما الكاتب والمحلل السياسي فقد يضيق ذرعا بتأقد لبعض الرموز الوطنية، خاصة حكام مصر في العصر الحديث. والريح أن الكاتب لن يبعد حسائل السياسة المصرية المعاصرة حقيا من التعليق. وبالإخص فيما يتعلق بما كان النظام لماصري يسعى لاصال لتحقيقه ودعى نجاحه في ذلك.

ومن جهة أخرى. فقد يرى بعض المتخصصين أن في الكتاب بعض المغالاة التي يطلب عليها الوصف الاستشراقي، للمجتمع الإسلامي التقليدي (مثل وصف الموالد الشعبية والأدوات مولد الحسين في الصفحات من ٦٠ إلى ٦٦ والمعلومات الغريبة التي يمارسها أهل القاهرة وزوارها أثناء تلك الماسمات). وقد يعتقد آخرون، مع باقي في الزوماستنبسة عدم تصور الإنتصاص والمشاعر (مثل أصالة الفقير «أبن البلد» من جهة والسلوك «الغربي» لسيدة المجتمع الشربة الذي يشبه ما نراه في المسلسلات التلفزيونية) على تحوما مجزون قيه اشعارا عن الوافع الذي يعرفه كل منهم في هذه الحالة.

وقد لا يعجب الإسلاميين رعاعو على طه شعر عضو وبعر حامد عبد الصمد لا يستريح الحكومين لإشارات، وتصريحه عن معاناة القاهرة من فساد الدعة والحضانة الدوق والتاجرين لوصف ما هملة الثورة مالديه وسائدا والمتكون لتقد للعصر اساسيا عن طلة الثورة باحصار فأن ماض روسف نم يتجنب المسائل الحساسه ولم يسرد في أداء راقه قد تدون للتخصص «ولنوهن يفكر محمد أفندي» وبالتالي فقد، عطى لكل من يقرأ كتابه سببا لكي معقد.

ولكن مثلما أن وجه النقد المذكور وغيرها مما يمكن للقارئ المتخصص أن يوقف عنده قد تكون حقيقية ومبررة من وجهات نظر ضيقة هان الحقيقة بمقى أن قدا نصه ماضر روسد في كتابه لم يزعم أنه «تاريخ» عن القاهرة. ولا أنه دراسة معمارية عنها ولا أنه بحث اجتماعي أو سياسي أو حتى كتاب رحلات بالمعنى التقليدي. بل هي أوصاف متكاملة وغير موضوعية عن الواقع الإجتماعي الراهن لاشخاصه فليس عليه إلا أن يعرض عليها، اما من يرى خلاف ذلك فله حق تقدير الأسباب لكي يسعى لإقناعنا والتمسك بها في كل فرصه

ولا يملك القارئ في نهاية الكتاب إلا يعجب بهذا الحواجة (المصطلح المصري للأجنبي الزائر المقيم) الذي لم يتوفر له الحوض في كل تفاصيل تجربة الحياة القاهرية. بل ويملك يرى في عدسة عارضة للمدينة تدربها في مشاعر الخاصة وفي درجة اصطياد بالعجبة وبالغنها فيما يكفي في الفصول الأولى من الكتاب بالوصف المجرد وغير المكترث. الإن انشغاله بالقضايا اليومية ويمشاكل الحياه في القاهرة يشير بدء مع كل فصل حتى يصل إلى ذروته في فصل بعنوان «الصراع والانصهار» حيث يتناول الحياة السياسية والثقافية في مصر في العقود الأربعة الأخيرة. يكشف المشاهد. «الحواجة» غير المكترث عن وجهه الحقيقي ويحل محل رؤيته السلبية «خطاب سياسي مباشر فيه غضب ورغبة في تغيير الأوضاع. فندرك عندئذ أن «الحواجة» صار «ابن البلد» الذي يرتبط مصيره بها.

خريطة الانتخابات الإسرائيلية القادمة

مروان بشارة

تجرى عدة أسابيع واحدة من أهم الانتخابات لاختيار كنيست جديدة ورئيس جديد للوزراء في إسرائيل. ولا مبالغة كبيرة في وصفه بأنه سباق سيرتسو وأجاب ماسيرا، رمانكور. الانتخابات الأهم في تاريخ الدولة اليهودية. فالطريق على الساحة السياسية (الإسرائيلية) هناك، بعضها يتعرق جوهرة إسرائيل، وبعضها يتعلق بمكانة إسرائيل، وبعضها يتعلق بالوقع الإقليمي لهذه الدولة، والحديث يطول عن هذه الرهانات، وكثير من الرهانات المطروحة في هذه المرحلة تتحاور إسرائيل فقرص نفسه، أو يجب أن يفرض نفسه على ثلاثة اهتمامات جدية فالمخبر اليهودي مثلاً ركز بيبا مظهره أو جمهورية عمالية أو سيرورة سياسة، ودولة على طريق العولمة، أي عبر طريق الليبرالية (مشيرات تشالنج حريات، وسلام)، مرحباً أو تتمدد عندي، مع أحداث غربية معقدة، أيضاً، أو يفكر أن تكون مطروحة على الساحة العربية وبين معبر انفتاحات وإعاقات.

من ماضية أخرى كلمة عدم مغفرة جديدة قديمة في المجتمع السياسي الإسرائيلي على إسرائيل رجل، واسعة سيامين شامبالهو، بيريز، يتوج ملك على سرعين بيريز، يحقق في سواء قبيلة هي ستة حكمه التي مدت وسوات حكمه التي سكانتي عالم يحققه أعداء، ملوك مثل بن جوريون، وموشيه ديان، وإدهاييون مثل منحيم بيجين وإسحاق شامير، وأدهياء سوية مثل شيمون بيريز وحفل رابين. شعاهم إرادو شيماً وتقدموا شخصيات ثورانية، وحاوا ما بعد معملة إسرائيل الجديدة، وبعد مئة عام ستطيع أن نقول أنهم لم يحققوا بعد عرضاً عبيء، ولم تم علم فيما عرضاً عليه ولكن لم تحكم أمريا عبيء والطريق سارات طويلة، وستكون أطول إن قدر مَن سواهم.

ولكن الموضوع يرسمه يحتاج لمعالجة وتحليل من متخصص من داخل إسرائيل يكون ملماً على تفاصيل التطورات السياسية، طالت الكثير، وجهات نظره من مروان بشارة رسم خريطة للساحة السياسية الإسرائيلية عشية الانتخابات وفحص مروان في القاهرة بناء على هذا الطلب، أسبوعاً يناقش ويحلل حتى ستيبر من كتابة المقال المنشور هنا ومروان سترة فلسطيني ولد لوالدين من الضفة الغربية يعيشان في الكويت، أي في عرض حتمتنيا أسرعين عام ١٩٤٨ وأدلة مهو مواطن إسرائيلي ويحمل من البحثين المهمين في علوم السياسة.

التحرير

■■ نوح مصحار لمساعي نتانياهو في انتخابات ١٩٩٦ الإسرائيلية، وعمق لديه حكمه مفادها «هو بكفته انكلب على كل الفاس كل الوقت» وإن حمل الكذب طويل جداً في دولة قوية شعبها عصبي وقلق، ومستعد للتمسك بأية أوهام تصلف عنه غناء الحرب وإن دفع فاتورة السلام ونجح نتانياهو في كف جميع حسابات المؤسسة الإسرائيلية والأمريكية من خلال الفور عبر صرنيح الولايات المتحدة وروريا والعالم العربي شعوبن بيريز.

وإذ جاء انتصاره صدمة لجميع المعنيين بالعملية السلمية والأوساط الإسرائيلية فإن فوزه لم يكن مفاجئاً لمراسم الرئيسية. فقد تقلص سامبالهو سدال شخصية الشرطي بين لترفيين، والعصبي بين العلمانيين، والأصولي بين المتدينين، والراديكالي بين المعتدلين، وشخصية المتهم لضرورة لمعارضات وشخصية الرفضي والعديد من العنصريين والسوفيين والاصوليين ولكن في الأساس، اعتمد نتانياهو على تحالف شيطاني بين المتدينين اليسيين والمطرفين من ماحية والعلمانيين القوميين الاقوتيين من الناحية الثانية وكان ان خرجت جماهير المتدينين بحالتيهتها الساحقة لصوت لنتانياهو إلى جانب غالبية أبناء الشرائح الدنيا والوسطية وغالبية البشرقيين

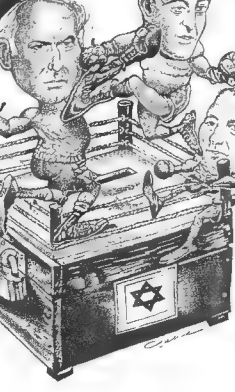

هؤلاء والعسكريين والمستوطنين والتقليديين، كل هؤلاء الذين لم يروا في بزارة اقتصاد السلام ما يهددهم ولم يظنوها تمالياً خصخصة أرض إسرائيل في إطار عملية السلام.

بيرز نتانياهو شعرته الغالبة وبنفقية الإسرائيلي، «الوقت»، الحوتسا وبلهجة ونغة إنجليزية متماسكة ورصيقة أمام الغرب، ونلكنة إسرائيلية محلية متجعرفة أمام الإسرائيليين، واستغل نتانياهو الهبوات الناسفة في شارع بافا وتظاهرات المتدينين في شارع بار إلان في مدينة القدس عشية الانتخابات ليكشف عورات «السلام» وفاط صفح سيرز ومقدم نفسه قائداً قوياً وقولادياً لشعب قلق.

لقد وصل نتانياهو لرئاسة الوزراء من عالم دبلوماسي وسياسي حافل بالدقة والتانية، وكان هبوطه في مدبوول رئيساً لبعثة إسرائيل لدى الأمم المتحدة بعد تعريجة قصيرة في الأسفلت، هبوطاً ماهراً وبنوقيت مثالي وهو خريج سلاح المطبيين النخبوي في الجيش الإسرائيلي فقد تزامن وصوله مع اشتداد موتر الحرب الباردة في الثمانينيات، فدخل في شراكة استراتيجية مع أكثر حكومة أمريكية متطرفة في هذا القرن كان برأسها رونالد ريجان ـ ملك الديماجوجية والشعبوية واشتدين الإعلامي فأعطوها حربا شعواء على ما أطلقوا عليه بوتالبريات العالم الثالث والأنظمة الشيوعية والإرهاب الدولي متمثل تحركات التحرر في العالم.

وفي أعقاب الانحلال ما بعد الحرب الباردة وحرب الخليج الثانية، تصدر بنيامين نتانياهو نائب وزير الخارجية المستعفف (دفيد ليفي) في الغياب وزيره، تصدر إدارة الوفد الإسرائيلي إعلامياً وسياسياً في محادثات مدريد وتعلى على صلاة وتخلف رئيس الوزراء اسحق شامير في استعمال حق وسائل الإعداد الدولية.

وحاول نتانياهو منذ ذلك الحين خفض سقف التوقعات الفلسطينية والعربية بخصوص أي تنازلات إسرائيلية واستهدف نتانياهو بصورة خاصة منظمة التحرير الفلسطينية من مفاوضات مدريد ليعب هجوماته على القيادة الفلسطينية، وهو الذي اشتهر باتهام ياسر عرفات بتهريب الذهب الفلسطيني من صندوق كوفية حول شمعون إسرائيل أو ممها في البحر بدون أن يعرف أحد من أين جاء بتلك الأقلبيات.

كان هو دلك الأداء المتطرف الساخ الذي أعجب اليمين الإسرائيلي والذي دعم نتانياهو وربما لزعامة حزب الليكود بعد خسارة اسحق شامير انتخابات ١٩٩٢ لصالح إسحق رابين واستغل نتانياهو انعطافات اسحمية التي بناها مع الجالية اليهودية المدمكة في نيويورك لجمع الأموال واستعمالها في معركته الداخلية ضد «أمراء» الحزب وقيادته التاريخية لبريح الصراع على زعامة الحزب وبدأ حملة حديدة بخصوص لتطهير الحزب من أقطابه الكبير بعد تحطيم قيادته التقليدية، وبدون أن عيبم الأقوى دون منافس، وما بين ربح نتانياهو لانتخابات الفاصلة سنة ١٩٩٦ ليتربح على تحالف اليمين وجهال الحزب، والدولة.

ولقرارة عامين وصف العام قام نتانياهو بتفريغ العملية السلمية من مضامينها ـ وخاصة الأرض مقابل السلام ـ بدلاً عن معادلة السلام مقابل الأمن وبالعكس. وكذلك عقد قام بتحطيم دور حميع المؤسسات والتركيبات التي بناها حزب العمل في السنين الأربع السابقة والتي اعتمد عليها رابين للوصول إلى اتفاق أوسلو وعلى رأسها الجيش والبرلمان والخارجية. ووجد نتانياهو نفسه بعد عامين وجهاً لوجه في مواجهة واشنطن

وحلفاء إسرائيل الغربيين، وكذلك في مواجهة شركاء إسرائيل العرب في العملية السلمية من ناحية، وفي مواجهة شبح التطرف والراديكالية في معسكره. فقرر انفراجة حل الائتلاف الذي وقع عليه في «واي بلانتيشن» والقبول بانتخابات مبكرة. فقرر انفراجة حل الائتلاف الذي وقع عليه في «واي بلانتيشن» والقبول بانتخابات مبكرة. فقرر انفراجة حل الائتلاف الذي وقع عليه في «واي بلانتيشن» والقبول بانتخابات مبكرة.

وجد نتانياهو نفسه بعد عامين وجها لوجه في مواجهة واشنطن وحلفاء إسرائيل الغربيين، وكذلك في مواجهة شركاء إسرائيل العرب في العملية السلمية. وفي مواجهة شبح التطرف والراديكالية في معسكره. فقرر التراجع عن الائتلاف الذي وقع عليه في «واي بلانتيشن» والقبول بانتخابات مبكرة.

اختار باراك أن يبدأ حملته الانتخابية بمواجهة نتانياهو في جبهة مغايرة.. ألا وهي الاقتصاد.. على أساس أن سياسة نتانياهو أدت إلى إضعاف الاقتصاد الإسرائيلي.. كانت نسبة النمو ٧,١ في المائة سنة ١٩٩٦ فانخفضت سنة ١٩٩٨ إلى ١,٦ في المائة.

أهم ما يميز مورد خاي وتلك الرسالة الفريدة التي وصلته من زعيم العالم الغربي الرئيس كلينتون، والتي تضمنت إشادة بدور وزير الدفاع وموقفه الثابت في خدمة عملية السلام.. وهو ما اعتبره مساعدو نتانياهو إهانة لرئيس الوزراء.

المعصية» هنا دون إلى مراجع في النائج المحلي بالدولار عن العموات الماضية، وكانت نتيجة ذلك ازديادا في البطالة وانتقل هذا إلى أكثر من ١٠ في المائة وفي المدن المتوسطة ومن التطوير إلى أعلى من ذلك بكثير، أو ٢٣٠ ألف عاطل عن العمل.

واستغل باراك تدهور الوضع الاقتصادي في المستمر، فالمضايقين بعد أن كان قد أدرك بطريقه فيقيمه في الثلاث سنوات التي سبقتها استطاعة للهجوم على نتانياهو واتهمه بأنه بفرط بالدولة وباسمها واستقرارها بسبب بصفه الأف من المستوطنين وقلة من أعضاء البرلمان ـ الكنيست ـ الذين يهددون بقلب الائتلاف الحكومي.

وعمل باراك بنصيحة مستشاره الجدد ـ سفاناني هرميتز ـ وهو من مستشاري الرئيس كلينتون في حملاته الانتخابية الماضية المدير الروحي لشعار الانتخابي سنة ١٩٩٤ انه «الاقتصاد يا غبي». في وحه سياسة ادارة هوزج بوش الخسرة ـ بعد الحرب المبارة ـ وفي العراق وفي الدائو واخذ باراك يسدد كذلك على ترجح الخدمات الاجتماعية والصحية وعلى تقديم ميزانيات للتطوير والتعليم والمشاريع الاستحداث من أمريكي. وكدت ميزانيات الدعتيم لصالح الاستيطان والمعاهد الدينية التابعة لشركاء نتانياهو في الائتلاف الحكومي.

واعتصر رئيس الزكاء إلى سائق سه لابد من تجييد طلاب المعاهد الديمية اضافة لحزمي حوات بسراميم وديجيل شور ذا اصوليين في صفوف الجيش حتى يحدموا ولتهم بدلا من صرف اسوذا سراميات غير ذي فائدة في دراستهم في المعاهد.

واعتبر باراك أن سياسة نتانياهو التي ادت إلى تعطيل العملية السلمية قد ادت بالتالي إلى وقف الاستثمارات الدولية بل حتى شروب جزء منها، وهي الوجه الآخر لفشل سياسة نتانياهو الاقتصادية التي اعتمدت أن التوسع في المستوطنات وتعميق الاندماج الجغرافي بين الفلسطينيين والإسرائيليين، مما «يهدىء» الطبيعة اليهودية و«الديمقراطية» لدولة إسرائيل.

وبناءً على ذلك وقع باراك شعاره الانتخابي «نحن هنا وهم هناك» مؤكداً على أهمية «الفصل» بين الشعبين ولكن دون دكر أو حتى التمهيد لفكرة استقلال الشعب الآخر. أي الفصل بين الشعبين بدون سيادة للشعب الآخر على أرضه إلا به دهب ليزعم ويحتز من أن سياسة نتانياهو ستؤدي الى الدولة الفلسطينية.

وحاول باراك أن يكتسح اليهود الشرقيين «من أصل عربي» الكثير من الأنصار (اليهود) من الضائقة الاقتصادية. عن طال ارتفال معشر عن قائمة «جيشر» الشرقية الطعامية والتي تدعي تمثيل الطبقات المتوسطة والفقيرة بين اليهود الشرقيين في قائمة ـ إسرائيل واحدة» التي تشكلها باراك نياب عن حزب العمل ولكنه فشل بسبب كراهية عالمية الشرقيين لممثل «العصرية» والمتوقعة للقيادة حزب العمل الاشتراكية. وكان باراك قد حاول ان يعتبر قبل حوالي السنة، عن مصاصة الدولة للشرقيين في السنوات الأولى للدولة حين كان حزبه حاكماً ولكنه فشل في أن احرك قلوب الشرقيين وراء الطير بلة ان احد رفاق باراك في الحرب وفي الجيش سابقاً ـ اوري أور ـ قد انتقد وهاجم الشرقيين «وقاطعتهم» في مقابلة صحافية عند وضعه أسس مة انار حقيقة الشرقيين على حزب العمل. وتوجت ازمة الثقة هذه حادثة معلل البنود الانتيوبيين على حزبه والذي ادعى ان قيادة حزب العمل قد زورت نتائج الانتخابات الحزبية الاولية من أكثر من ١٠٠ ألف عضو من حزب العمل لصالح المرشحة الروسية وعلى حساب مقعده واختار باراك الساعة الثامنة مساء ليعلن نتائج الانتخابات عام عدسات التلفزيون في وقت الذروة فشار

عن الكنيست سيلو مصالة ممثل الاتحاد العام عندسات استفزوين واتهم أعضاء الحزب بالعنصرية وهو يصرخ في وجه براك انه سيكون عليه أن يعتذر عن مزيد من الوقت للبهود الإسلام. مثلما فعل قبل سنين.

وقام براك بالتعاوض مع حركة «ميماد» الاصولية «المتدينة لصفها» إلى قائمة «إسرائيل واحدة» معمل وعملها. ولكن ذلك لم يهدئ من إستفاذ المتدينين والاصوليين بحزب العمل وقيادته العلمانية. بل ازدادت عدوانية هؤلاء المتدينين وحرائهم لاصولية نحام المؤسسة العلمانية في الدولة «ما في ذلك مليئات الطلبة ومحكمة العدل العليا» والتي ترى تلك الاحزاب انها من ضمن التقاليد والثقافة التي زرعها ويدعمها حزب العمل الصهيوني ورفضت الاحزاب الدينية التي قامت بأسر نظارة قبل سنوات اسوء. مساسا على سياسة وزير الشؤون الدينية الفلسطيني الفاضلة وتحطيها في شؤون الدين. والمجالس الدينية التي يهيمن عليها الاصوليون الاورثوذكس. رفضت السماح لبراك أن يلقى كلمة امام الـ ٢٥٠ الف مظاهر.

وتقدر الاستطلاعات ان مرشح حزب العمل سيحصل فقط لفرة على ٤٠ مقعدا من مجلس الـ ١٢٠ بالمائة من أصوات هذه الانتخابات وأن يحزب الليكود على ٣٠ بالمائة من أصوات هذا الحزب اشرفي الاصولي.

مرشحان على حزب الوسط

على قاعدة هذا الاستطلاب السياسي والاجتماعي بين مؤيدي نتنياهو وبراك وفي ظل ضعف شعبية الاحزاب الدينية وانقسام واسعة لدى المتدينين الذين يرفضون التقليدوين والمتدينين والذين يشكلون غالبية الاسرائيليين. قام الحزب الجديد «الوسط» والذي اسسته مجموعة من رجال الاعمال وعدد من قيادي الليكود والعمل سابقاً. بترشيح وزير الدفاع السابق إسحق مردخاي لرئاسة الوزراء. وهو اول مرة يترشح فيها يهودي شرقي ولم يأت هذا المنصب في إسرائيل. ومردخاي دو اصول كردية. وهو رجل تقليدي وشرقي (٤٤ سنة) في طباعه وأسلوبه. مترزع من صبيغة استثنائية تصطرم بالسين كشير! (٣٧ سنة) وكان اول ما فعله مردخاي فور ترشيحه ان ذهب إلى حائط المبكى ليقرأ نصوصاً من التوراة ومن ثم توجه الى الزعيم الروحي لحركة شاس» عوفاديا يوسف. طلبا لحبته وحصل على بركته.

وبعد ذلك اعلن مردخاي بشكل مفاجئ. وبدون سابق انذار بأنه يترشح لرئاسة الوزراء منافساً لرئيس الوزراء نتنياهو وبراك. وهو ما يعتبر خارجاً عن المألوف في السياسة الإسرائيلية. ولكن لماذا قام مردخاي بهذه الخطوة؟ وما هي أسبابها؟ وما هي دوافعها؟ وما هي أهدافها؟ وما هي حساباتها؟ وما هي تداعياتها؟ وما هي نتائجها؟ وما هي مخاطرها؟ وما هي مكاسبها؟ وما هي خسائرها؟ وما هي مستقبلها؟ وما هي انعكاساتها؟ وما هي تأثيراتها؟ وما هي ردود الفعل عليها؟ وما هي مواقف الأطراف المختلفة منها؟ وما هي مواقف الأحزاب المتباينة منها؟ وما هي مواقف الشخصيات المتعارضة منها؟ وما هي مواقف الكتل المتناقضة منها؟ وما هي مواقف القوى المتصارعة منها؟ وما هي مواقف الأشخاص المتنافسة منها؟ وما هي مواقف الجماعات المتخاصمة منها؟ وما هي مواقف الفصائل المتحاربة منها؟ وما هي مواقف الأعداء المتقاتلة منها؟ وما هي مواقف الخصوم المتصارعة منها؟ وما هي مواقف الأطراف المتحالفة منها؟ وما هي مواقف الأحلاف المتعادية منها؟ وما هي مواقف الدول المتنازعة منها؟ وما هي مواقف الشعوب المتحاربة منها؟ وما هي مواقف الأمم المتقاتلة منها؟ وما هي مواقف الأعراق المتصارعة منها؟ وما هي مواقف الأديان المتخاصمة منها؟ وما هي مواقف الحضارات المتعادية منها؟ وما هي مواقف الثقافات المتحاربة منها؟ وما هي مواقف الأيديولوجيات المتقاتلة منها؟ وما هي مواقف الأفكار المتنازعة منها؟ وما هي مواقف المبادئ المتناقضة منها؟ وما هي مواقف القيم المتعارضة منها؟ وما هي مواقف المعايير المتباينة منها؟ وما هي مواقف المقاييس المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الموازين المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف المكاييل المتباينة منها؟ وما هي مواقف الأوزان المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الأحجام المتباينة منها؟ وما هي مواقف الأشكال المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الألوان المتباينة منها؟ وما هي مواقف الأطعمة المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الأذواق المتباينة منها؟ وما هي مواقف الروائح المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الأصوات المتباينة منها؟ وما هي مواقف الألحان المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الأغاني المتباينة منها؟ وما هي مواقف الأناشيد المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الأشعار المتباينة منها؟ وما هي مواقف القصائد المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الروايات المتباينة منها؟ وما هي مواقف القصص المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الحكايات المتباينة منها؟ وما هي مواقف الأساطير المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الخرافات المتباينة منها؟ وما هي مواقف الأوهام المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الأحلام المتباينة منها؟ وما هي مواقف الكوابيس المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الهواجس المتباينة منها؟ وما هي مواقف الوساوس المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الشكوك المتباينة منها؟ وما هي مواقف الظنون المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الأوهام المتباينة منها؟ وما هي مواقف الأحلام المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الكوابيس المتباينة منها؟ وما هي مواقف الهواجس المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الوساوس المتباينة منها؟ وما هي مواقف الشكوك المتفاوتة منها؟ وما هي مواقف الظنون

شاحاك ذا الهالة مباشرة من نتانياهو في جلسات الحكومة في حين أن موردخاي عانى من تجاهل نتانياهو له وتجحيده لدوره كوزير للدفاع.

إعادة رسم الخارطة الحزبية:

ما سبق، ليس إلا وصفا عاما للحالة الترشيحية لرئاسة الوزراء وما يحيط بها من توجهات عامة وموازين قوى داخلية في المجتمع الإسرائيلي. وهذه لا تتعدى بدون الأخذ بالحسبان العنصرين أساسيين يتفاعلان مع مسألة الترشيح لرئاسة الوزراء ويؤثران فيها الى حد كبير، هما: أولاً، الأحزاب الصغيرة موالفتها وائتلافاتها وثانياً، الإعلام وبالتحديد التلفزيون وتأثيره الأداء الفردي والشخصي وبناء الصورة الجماهيرية لما يمثله كل من المرشحين الذاتية الأولى في الانتخابات الإسرائيلية.

ولكن قبل الخوض في تفاصيل هاتين الظاهرتين الجديدتين على الساحة الانتخابية لابد من بعض الملاحظات على الحزبين الكبيرين الليكود والعمراز، وأهمية دخول حزب الوسط إلى معركة الانتخابات.

لقد فقد ائتلاف العمراز، وخاصة حزب العمل، من الناحية الفكرية والتنظيمية قدراته خلال العقود الثلاثة الأولى على المجتمع وخارطته السياسية والحزبية. وإذا كان حزب العمل قد هيمن في الثلاثين سنة الأولى على الساحة السياسية وعلى نظام الحكم في إسرائيل وتلى هيمنة الليكود في العقدين الثمانينيات والتسعينيات، فإن هذا الوضع قد تغير بشكل واضح في العقد الحالي. فاستنادا الى استطلاعات الرأي لعام ١٩٩٢ - ١٩٩٦، فإن الانتخابات لرئاسة الوزراء والتي طبقت لأول مرة في سنة ١٩٩٢ وما سيلقها من أهمية المجتمع الإسرائيلي في السنوات الأخيرة وخاصة بعد انطواء الاقتصادية التي شهدت إسرائيل مع أواسط التسعينيات، كلها مجتمعة قد قللت من أهمية دور الحزب التقليدي في الحياة السياسية وصعفت تلقيا في أصاح الأحزاب الصغيرة وخاصة منها المتواجدة داخل المجتمع الإسرائيلي، إضافة إلى إعطاء الناخبات الإسرائيلي أو الرعيم الفرد بشخصيته وشبرته وأسلوبه الذي تنقله وسائل الإعلام بشكل وتركيز مباغ فيه على حساب برامج الأحزاب وايديولوجياتها. فقدت أحزاب إسرائيلياً عديداً يعرف برامج هذا الحزب أو ذاك ولا يعرف أن يعبر بينهما، بينما أهل إسرائيلي رأى مليون حول هذا المرشح أو الرعيم أو ذاك. وتذكر على سبيل المثال انه حين حرج بن جوريون أكبر واهم زعيم في تاريخ الإسرائيلي من تاريخ الدولة - عن حزب العمل - ليشكل حزبا جديدا باسم «رافي» لم يصحبه هذا الحزب باستطلاعات التأييد الكافي لأكثر من عشرة مقاعد برلمانية وحينما انشق شمعون بيرز مع مجلة وزعيمة عن حزب العمل وشكل حزب «موليدت» فشل الخروج عن إرادة الحزب الحاكم. أما في بداية التسعينيات فشهدنا على صعيد المثال خيط خرائط حايم رامون أحد المتنمين إلى الصف الثاني في حزب العمل حزب «يحد» ليشوف انتخابات اتحاد العمال الواقع الأكبر من عشرة مقاعد في المجلس الوطني للدولة ويربحها بفارق كبير عن مرشح حزب العمل والليكود يفعل حملته الانتخابية الرنانة وشعاراته الشعبوية وإلى جنب عائلية الأصوات كانت تنتمي تقليدياً إلى الحزبين الكبيرين.

وباختصار، تراجع دور الحزبين الكبيرين في العقد الماضي، وحل محل وزنهما وارثي تنظيمهما في ظل انكتاح المجتمع على قوى الواقع في سوق السياسة الحرة، وأصبح الرجال في ظل الأبرة السوقية للعملية السياسية يسيران باتجاه النمط الأمريكي، الجمهوري مقابل الديموقراطي مع

غالبية الـ ٨٠ بالمائة منهم ابدوا في استطلاعات الرأي تشكيل الحزب عقبة موحدة. ولكن بسبب الاستقطاب بين الشيوعيين والإسلاميين يبدون ذلك سيكون متعذراً.

الفارق الكمي في مرحلة تطور الحالتين وبالمقابل شكلت الدوعيات والحركات الأثنية والدينية والأصولية أحزابا قوية تدخل عالبياً إخلاص الأعضاء، لبرنامج الحزب وقيادته.

وأصبحت تلك الأحزاب المتوسطة تشغل حوالي نصف عدد مقاعد الكنيست في بداية التسعينيات وزادت أهميتها التشكيل أي حكومة ذات أغلبية برلمانية مع مجيء أول انتخابات مباشرة لرئاسة الوزراء انفجر الائتلاف الحزبي الموسع ١٩٩٢ وأول سرة على تبارس الأول. سياسي إيديولوجي لرعيم عالم بقيادة الوزراء «الثاني، شخصي، مبني، وحتى حصاراي لكتله من الخلل الرئاسية.

وكما ذكرنا، فسيبب الانتخابات المباشرة اعتزل كبر كعبر من المناصب لخرائه الكبير مكتفين بالتوجيه لترشحوا لرئاسة الوزراء وارتفعت نسبة التصويت بين هؤلاء الذين لم يجدوا اصدًا في الحزبين الكبيرين الحل. معا أدى في نهاية انتخابات ١٩٩٦ إلى مضاعفة بعض أحزاب الوسط من مقاعدها البرلمانية واقتصت هذه الأحزاب في نهاية واوسط التسعينيات بين تلك البعيدة المحافظة في تزعمها وميولها والتي أرتات إلى تقوية التحالف مع الليكود في معسكر الدين عامة. وتلك التي تركت الباب مفتوحا أما تحالف مع رئيس وزراء مئاوي في من حزب العمل.

وقد حاز موليدات في ما سبا على ٩ مقاعد بنسبة لاتحصل إلى الواحد بالمائة أو ١٦ ألف صوت أكثر من ٥٠ بالمائة الهوية، عكثه من تشكيل تحالف مع كلا المعسكرين اليميني المحافظ والذي يندرج فيه الحزب الوطني الديني ويجودات هنوراه وتسومت وكذلك تلك الأحزاب الوسطية من أمثال يروشليم عطياه وشاس والعمل الثالث.

ولابد من الإشارة هنا، إلى أنه لو جرت الانتخابات البرلمانية دون تلك المباشرة لرئاسة الوزراء كما كان الأمر في السنوات الخمسين الماضية، لتمكن ميرس الذي حصل حزبه على مقاعد أكثر من الليكود في البرلمان السابع عشر والمكون ولكان استطاع أن يجذب اليه رسميا ليكل رعايا، وحتى شاس بسبب وبالطريق الثالث، بحكم أولوية تلك الأحزاب واهتمامها بقضايا معيشية تغيد مؤيديها وقواعدها الجهرية أكثر من اهتمامها بالمارق الإيديولوجي في بيرز وتنتنياهو نفول ذلك وحتى واصون لمعطية التحالف الإيديولوجي والقوى الجارية بين مؤيدي تلك الأحزاب لصالح ائتلاف مع اليمين أكثر منه مع اليسار

مل إن انتخاب نتنياهو رئيسا للوزراء قد سهل على قسادات تلك الأحزاب الانتشام مع الليكود وبالحل معسكر اليمين بقيادة نتنياهو وعلى سبيل المثال حصول مؤيدو حزب يسرائيل بقيادة وليهود الروس عامة في فلبيشيه لإسحق رابين سنة ١٩٩٢ ربما هو من تلذاهما نتائجهم سنة ١٩٩٦. وخلال السنة الدامية حكم شكيل حرب جديد بين المهاجرين الروس، بقودة ميرز مكتب نتنياهو سابقاً، الشعودي وبدماحوجي افيحدور ليبرمان. وباس، وإسرائيل بيتاه، والدفوع أن ينهش ما الحرب من أصوات المهاجرين الروس عامة وان يقدمها لحلفه في الليكود منافس نتنياهو

لقد زاد هذا الأمر محاسرة الخلاف بين زعيم يسرائيل بعاياه ورئيس الوزراء وهو الذي شعر أن نتنياهو مهيمن وخادع. وها هو الآن يحوله بالتحالف مع منافسه السابق ليعرمان لتحطيم قاعدته بين المهاجرين الروس وبالرغم من أن استطلاعات الرأي تقول بأن ليبرمان لن يأخذ من يسرائيل بعاياه وقد ما سيلحق من الأحزاب الأخرى وبضعفها الليكود. فإن ترك عضوي كنيست من الطائفة

مارغو من زلف قال حزب المقال مستعمر في طريق الإصوات المطوف مقعده اسحق ليفي وزير التعليم وشؤؤل يهلوم وزير المواصلات.

وهو الحال مع شاس التي وعدت قيادته القواعد سنة ١٩٩١ بان الحزب لن يكون شريكا في حكومة يوقعها حزب العمل ومن ثم عاد وحثل ائتلافا يقوده اسحق رابين مد اي الى امتعاض القواعد التي زاد تطرفها في بداية التسعينات وخاصة موجود احزب الشرداي اليساري ميزراحي الذي فرض علمانيته على الائتلاف بصورة أدت الى خروج شاس بعد مقرة قصيرة من حكومة رابين وأشارت استطلاعات الرأي الى أن شاس قادرة صوت ٨٥ مائدة من نوزيع المقاعد ساباه سنة ١٩٩٦ سيعطي هذه السمة من حزب الشرداي ما يقابل ترشح العمل يهود ماراك. ولم يساعد قيدته احزب سه ١٩٩٤ انها لم تشجعوا موقفاً من رئاسة الوزراء أملاً في أن يصبحن جزء من مؤيديها ليسيرين حتى شهدت انجراها هامنا في صفوف الحزب لصالح مرشح اليمين

وعلى أنهور حصن نتنياهو هي العالية الساحقة من أصوات المتدينين والصوليين. وليها النظارب والمتدينون بشن نتنياهو للعلماني العمر، وليس بشكل الإعراف الدور الروحية والدينية، والأحزاب الدينية الأصولية المتشددة، كعادة سياسية عامة تصب في صلب تغيير وتطوز المجتمع السياسي لإسرائيلي، وعلى مفتاح عام فلهم سيطرة الليكود على زعام الحكم في العقدين الماضيين وهذه في نات الديناميكة التي سيتقدمها نتانياهو هو مرة أخرى ساس أبرز تجمعية السياسية العام المقبل بالانتخابات. وإذا انقلت الأحزاب الدينية فيما بينهم ان نتنياهو هو الذي مثل تطلعاتها القومية والإيديولوجية سنة ١٩٩٦ فإن الخلافات فيما بينها ليست هامشية. إن إن لتناقص بين كل من شاس والمتدل الدينين بشكل خواني مدس أصوات إسرائيليين وذلك مشكك اليمين في حكومة نتانياهو له تأثير كبير على تصرفات كل واحد من هذين الحزبين وسيكون لتشوف قيادة شاس من احتمال المتدينين استراتيجيين إلى حزب المتعل تأثير كبير على قرار هذا الحزب إما التعمل أكثر في اليمين أو التمرك أكثر فأكثر في الوسط

ولكن على العموم، وكما قلنا فإن مسألة الأوفى واحتمال الخلف قد خلقت ما هو مشترك بين الفهمين المتطرفين والمتدينين الأصوليين وبما هذا التحالف في نهاية السبعينيات على صورة توامة المسيانية الدينية التي تدعو إلى عمل مستحيل من جهل التحسير لجيء «المسيح المنتظر» بعمل في ذلك الاستطعان في «زمن إسرائيل الكامنة»، والمسيانية القومية المتطرفة التي تدعو إلى عودة شعب إسرائيل وأسطيطانه وبناء «دولة من كل ربوع فلسطين أو على أساس احتلام مستحيلة» الأسطة المقدسة وعلى هذه أسحقيه - خلفية قدسية الأراضي وأولوية أسطيطانها حقا لإصوليين اليهود بتسسيون وبتطرفون أكثر فأكثر وأخذ المشددة، كعادة سياسية عامة تصب في صلب تغيير وتطوز المجتمع السياسي لإسرائيلي، وعلى مفتاح عام فلهم سيطرة الليكود على زعام الحكم في العقدين الماضيين وهذه في نات الديناميكة التي سيتقدمها نتانياهو هو مرة أخرى ساس أبرز تجمعية السياسية العام المقبل بالانتخابات. وإذا انقلت الأحزاب الدينية فيما بينهم ان نتنياهو هو الذي مثل تطلعاتها القومية والإيديولوجية سنة ١٩٩٦ فإن الخلافات فيما بينها ليست هامشية. إن إن لتناقص بين كل من شاس والمتدل الدينين بشكل خواني مدس أصوات إسرائيليين وذلك مشكك اليمين في حكومة نتانياهو له تأثير كبير على تصرفات كل واحد من هذين الحزبين وسيكون لتشوف قيادة شاس من احتمال المتدينين استراتيجيين إلى حزب المتعل تأثير كبير على قرار هذا الحزب إما التعمل أكثر في اليمين أو التمرك أكثر فأكثر في الوسط

ولكن على العموم، وكما قلنا فإن مسألة الأوفى واحتمال الخلف قد خلقت ما هو مشترك بين الفهمين المتطرفين والمتدينين الأصوليين وبما هذا التحالف في نهاية السبعينيات على صورة توامة المسيانية الدينية التي تدعو إلى عمل مستحيل من جهل التحسير لجيء «المسيح المنتظر» بعمل في ذلك الاستطعان في «زمن إسرائيل الكامنة»، والمسيانية القومية المتطرفة التي تدعو إلى عودة شعب إسرائيل وأسطيطانه وبناء «دولة من كل ربوع فلسطين أو على أساس احتلام مستحيلة» الأسطة المقدسة وعلى هذه أسحقيه - خلفية قدسية الأراضي وأولوية أسطيطانها حقا لإصوليين اليهود بتسسيون وبتطرفون أكثر فأكثر وأخذ تصدر هؤلاء الصالحين يتقسون اللاهوت ويبررون الأعمال بالصوليين مواقفهم في قضايا الدين والدولة والأرض في الجهين. وهكذا هلة النام على حلف الليكود والمتدل في منوات الماضي وتحالفات وانسحبيات تصاب دينية - تحدث وتوجات بين إسرائيل وبحيى هنوراه من ناحية، وتسومت وموليدت والطريق الثالث من الناحية الثانية.

هذا هو الحلف الذي يعتمد الإرض ليمنحه السياسة ومرجعيته الاقتصادية الأهم والذي يرى فيه الفلسطينيون غرباء وفي الغرب عدداً، وفي الغرب متآمرين على الشعب اليهودي مثلما كان الامر على مدار التاريخ. وهذه هي الرؤية التي مهدت لمستدمين من الاحزاب الدينية «الصهيونية» لاحتلال مستمر ومتنام في مؤسسات الدولة وفي أجهزة الحكم عن طريق اليمين الحكم والذي أتم فيه معاهد دستوري في مدعوم ومعاهد من مواقع الديمية المحتلة.

في هذا الحقل الخصب بالظرف والتوقع والاحتلاق والاصولية والمحافظة سيرمع نتنياهو مرة أخرى أفضل بدرائه ليحدد معا بإرث الاستعمار انتصاراً مشابهاً لذلك الذي حصده سنة ١٩٩٦. وهنا سحاول نتنياهو أن يعوض عن خسارات ليست بقليلة بين صفوف الليكود الاولى. ملل خسارة دان ميريدور وروفي ميلو واسحق موردخاي في حزب الوسط. إضافة إلى خسارة ديفيد ليفي لحزب العمل. وكذلك ترمما حسارة اساتولي شارانسكي وفاخدور كهلاني.

وبالاضافة إلى هذه استقلال وانسحابات عدمي يمس المعارضة استيسانيه. ينظر البعض لشلعما فلنا بمعارضة متفككة قد تضم هؤلاء المعارضين لعملية السلام وعلماء دين بينهن الرئيس الروحي لحركة شاس عوفاديا يوسف وإذا ما ينجح نتنياهو في استقطاب هذه الوجوه، فسان هذه المناورة في هدفها الاساسي هو لتعاوض مع متنامياه مع الخطوط الحمر التي يود اليمين رسمها لحكومته القادمة حتى لا يتسنى لهما ان تحطم مرة أخرى كما (خطان؟) في وأي بالانتيشن وخاصة في مفاوضات الحل النهائي حول قضايا الاستيطان والقدس واللاجئين. إلخ.

وعملياً، إذا دخل بيبي بيحس فعلاً قرار الاولى وخسرها، فان جميع الوضاع ستذهب بدون شك لبنيامين نتنياهو واهل الاخيرين يواجه مشكلة في المراوغة والكذب على بيبي بيجين كما سبق وفعل مع غيره في وستتحلف عذلك مع القائمة اليمينية. التي يحاول تشكيلها بيبين

من البسار ليس فقاش حول نصوص حكومة غالبية مؤيدة ميريتس. لإبقاء باراك واردما لإسقط موردخاي. ولكن هناك شعوراً في اوساط السياسة بأن ميريتس ستضر من تأييدها وستفقد من مناعدها هذه السنة لصالح حزب الوسط والاحزاب اليمين. وكانت الانتخابات الداخلية لميريتس قبل اسابيع قد أخرجت المقعد العربي من قائمة الاسماء المطروحة والتي من المتوقع أن تدخل اسرائل

الصوت العربي:

وهذا نصل إلى قضية حساسة وذيا ابعاد هامة، الأوضى مسالة الصوت العربي. في سنة ١٩٩٢ لدعم العرب إلى الكنيست ٩ نواب من كتلتين اساسيتين وبالدين عربيين هي الاحزاب الصهيونية. وكانت امكنة الاولى قد تشكلت بالتحالف بين التجمع الوطني الديموقراطي بقيادة عزمي بشارة والجبهة الوطنية للسلام والمساواة بقيادة الحزب الشيوعي وحصلت على ٦ مقاعد. والكتلة الثانية القائمة العربية الموحدة تشكلت بتحالف بين القائمة الإسلامية والحزب الديموقراطي العربي بقيادة عبد الوهاب دراوشة وحصلت على أربعة مقاعد.

وانتهت هذه الأحزاب في الأسابيع الماضية من ترتيب بيتها الداخلي استعداداً للانتخابات، فانتخب عزمي بشارة على قيادة

وبالرغم من أن الخارطة السياسية اتقسمت على ثلاث قوائم الاولى قومية والثانية شيوعية والثالثة إسلامية. إلا أن غالبية العرب أو ٨٥ بالمائة منهم قد أيدوا في استطلاعات الرأي التي أجريت لقصر تشكيل قائمة عربية موحدة. ولكن وبسبب الاستقطاب بين الشيوعيين والإسلاميين فإنه يبدو أن هذا سيكون متعذراً.

من الناحية المالية فإن تجربة الصوت العربي لانتخابات رئيس الوزراء أعطته كبرى في الانتخابات الاخيرة. وخاصة أن هناك ثلاثة مرشحين رئيسيين كما ذكرنا وهي حين حوت ٩٤ بالمائة من العرب في الانتخابات السابقة شعمون بيريز. فحل هذا المرشح بسبب عصبيته على أقل من ٤٥ بالمائة من الصوت اليهودي مقابل ٥٥ بالمائة لنتنياهو.

في هذه الانتخابات سيكون للصوت العربي تأثير من حيث الكم والكيف. هذان إذا توحدت غالبية الاصوات العربية وإذا مرشح للرئاسة. ففي سباق المرشحين الثلاثة سيشكل الصوت العربي حوالي ثلث مجموع اصوات كل واحد من المرشحين إن العرب يملون حوالي ١٤ بالمائة من أصحاب الاقتراع. وبالتالي ثلث اصوات باراك أو موردخاي. ولكن هذين المرشحين لم يحظوا الانتساء والاهتمام الكافي بالاصوات العربية. بارك لأنه يعتبر الصوت العربي مضموناً وموردخاي لأنه لا يتوقع التأثير كثيراً في هذه القاعدة وخاصة في هذه الفترة المبكرة من الحملة الانتخابية.

وهنا تبرز فكرة ترشيح عربي لرئاسة الوزراء كتكتيك انتخابي هام للطعن إلى كونه استراتيجية هامة لتوحيد الصف العربي. وأعطت استطلاعات الرأي بين العرب الدكتور عزمي بشارة أولوية بين كافة المرشحين لملء هذه المهمة. وقد أعلن عزمي بشارة بالفعل عن ترشيحه لمنصبه رسمياً لرئاسة الوزراء.

وكانت فكرة العرب قد أيدت استحداثها للتصويت لصالح بطارة لرئاسة الحكومة وسبق لبيارد أن استحسنت حتى قبل الجولة الاولى نظير مؤيدة لاحد مرشحي المعارضة ضمن اتفاق على مبادئ/تأييد/ما في ذلك قضايا المساواة في الدولة وحقوق الفلسطينيين في السيادة في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وحتى يومنا هذا لم يقرر العرب بعد إذا ما كانوا سيؤيدون باراك أو موردخاي. وسيكون لمثل هذا القرار المؤجد أهمية كبرى في إنجاح باراك أو موردخاي في الجولة الأولى وبالتالي اجتمعه في الجولة الثانية. وإذ إن هناك تلقياً عدم مرشح حزب العمل في الانتخابات كما شهدنا في السنوات الماضية. إلا أن فكرة التصويت لموردخاي قد بدأت تأخذ دفعة هامة في الأسابيع الماضية وخاصة بعد الفشل في استطلاعات الرأي القائلة بأن موردخاي هو القادر على الفوز على نتنياهو في الجولة الثانية

استطلاعات الرأي ومرشح رئاسة الوزراء:

هنا مأتي إلى استطلاعات الرأي والتي زادت أهميتها بصوره كبيرة في السنوات الأخيرة وهي كما ذكرنا العامل الثالث المهم في حساب الرهانات على مرشح رئاسة الحكومة إضافة إلى العامل القرى وتركيبة الاحزاب الصغيرة والمتوسطة وموقعها على الخارطة الحزبية في الدلاد.

مجرى إسرائيل بمؤسساتها الإعلامية والدعائية استطلاعات للرأي كل أسبوع إن لم يكن كل يوم. وأكثر ما يلفت في هذه الاستطلاعات إجراءات وتصريحات ومظهر المرشحين عشية كل زلمة وما بعد كل مواجهة داخلية أو خارجية. إن كان ذلك موضوع العنف الداخلي أو موضوع الحدود والدولة أو مواجهه مع الدول العربية أو في جنوب لبنان. الخ وإذ إن المعارضة السياسية في طليعتها قد حسمت أمرها من خلال لجوء الأيديولوجية والجزمة والتولايمة من حيث موقفها من المرشحين الثلاثة. فإن هؤلاء عبر الحاسمين من امرهم هم الذين سيرجحون كفة أحد المرشحين على الآخر كما شهدنا في انتخابات ١٩٩٦، حيث يظهر الاستطلاعات تشير إلى تقدم بيريز على نتنياهو بنسبة ٥٠ ـ ٤٥ في المائة في الأصوات التي إن وصلت يوم الانتخابات فتظهرت ٥١ في المائة لمصلحة بيريز على نتنياهو، وهي التي تعترف بأعلان ٤٩ في المائة لصالح في جميع الاستطلاعات. وكان مزاج الناس سيئاً بسبب مجزرة «قانا» والعبوات الناسفة في لدن الاسرائيلية فلم هؤلاء المترددون الصوت ضمنت لصلحة نتنياهو رجل المعارضة القوى على حساب رجل الدولة «بيريز ـ الضعيف».

الاستطلاعات مثلما على المنحلق السياسي تقول إن مرشحاً في الدلار في الجولة الثانية إن يحصل على نتنياهو. ولذلك يرفع حزب الوسط شعار الفوز فوق كل شعار ويطالبون بدعم الوسط والناخبين التأديبين بدعم مرشحاً. فالهدف الإطاحة بنتنياهو ـ دبير من خلال وحدة الوسطية. ويذهب حزب الوسط أبعد من ذلك ليطلب من إيهود باراك أن يسمح لاستطلاعات أن تحسم أمر المنافسة بينهما لكي يتوجها سوياً منذ الجولة الأولى ضد بنيامين نتنياهو

وحجة المنحلق لا تقل أهمية في راي حزب الوسط الذي يدعي أنه في حالة ربح باراك الجولة الأولى فإنه يربح بالضرورة الأصوات التي ربحها موردخاي من الناخبين اليمينيين والتقليديين ومن هؤلاء السوفيين الذين تركوا العمل لمصلحة الليكود في السنوات الأخيرة. وستذهب هذه الأصوات لصالح نتنياهو. وأما إذا ربح موردخاي الجولة الأولى فإنه سيحافظ على هذه الأصوات التي ستربحها في الجولة الثانية إضافة إلى صوت ذهب لمصلحة دعم نتنياهو

ولكن الاستطلاعات وحدها لم تقلع قيادة حرب العمل والذي يرى في قائمة «اسرائيل واحدة» سر الفوز على نتنياهو وخاصة إذا انضم اليها شخصياً موردخاي وتنظيمياً حزب الوسط. تتوزع أوساط العمل انه يفضل الفلر من الاستطلاعات، فحزب العمل يمتلك قوة كبيرة من الستظيم الحزبي والجهاز الانتخابي والفروع المنعطة في جميع أرجاء البلاد إضافة إلى دعم من هناه الله مسجل في الحزب. وهذه مجملها يفتل لها حزب الوسط حديث العهد. وهو ما يعني أن حزب العمل هو القادر على جذب الأصوات يوم الانتخابات إلى صناديق الاقتراع إن كان ذلك في الجولة الأولى عمر موردخاي ونتنياهو. وفي الجولة الثانية في الأول من سبتمبر/أيلول ـ سر الفوز على نتنياهو وخاصة إذا انضم اليها شخصياً موردخاي وتنظيمياً حزب الوسط. تتوزع أوساط العمل انه يفضل الفلر من الاستطلاعات، فحزب العمل يمتلك قوة كبيرة من الستظيم الحزبي والجهاز الانتخابي والفروع المنعطة في جميع أرجاء البلاد إضافة إلى دعم من هناه الله مسجل في الحزب. وهذه مجملها يفتل لها حزب الوسط حديث العهد. وهو ما يعني أن حزب العمل هو القادر على جذب الأصوات يوم الانتخابات إلى صناديق الاقتراع إن كان ذلك في الجولة الأولى عمر موردخاي ونتنياهو. وفي الجولة الثانية

رفع بارك شعاره الانتخابي «نحن هنا وهم هناك» مؤكداً على أهمية الفصل بين الشعبين، ولكن بدون ذكر أوحتى التمهيد لفكرة استقلال الشعب الآخر، أي بدون سيادة الشعب الآخر على أرضه.

اجتمع الوطني وجاء وراءه الدكتور جمال زحالقة. وكذلك في الجبهة الديموقراطية تحتل زعامة شموعين للوافق الاربعة الاولى. أولهم محمد بركة والمنهم عصام مخول. وجاءت الثالثة بهوية ـ دعاز جوزجانسكي. بالرغم من أن الصوت اليهودي لهذه القائمة ضئيل جداً. وسبين يسرعه ان فيداه هذين العربين قد تنطلب من قدرة الحركة الصهيونية إضافة السيفيتيات. وكذلك فقد انتخب الحزب الديموقراطي العربي ـ طلب الضفاوة ـ على رأس القائمة بعد اعتزال عبد الوهاب مراوشة عن الكنيست. وبدات المعاوضات حال ترتيب الوضع الداخلي بين الأحزاب العربية على إيجاد أفضل وأضمن الصيغ لإيصال الصوت العربي للكنيست

والاتهامات والتخويف، قادر على سحق باراك في الأول من حزيران. هنا وبالرغم من أن نتانياهو - كمديل باراك أصلاً، من ذات الطبقة الحداثوية او صاحبة الحداثوية التي تحتمد الشكل والمضمون على المضامين والفكر، هنا وكمان مستشارا باراك - جيمس كارفيل وحريشزون - قد نصحا باراك بعدم مفارقة نتانياهو وحملوا جوقه على شاشة التلفزيون لأن نتانياهو سيخرج رابحاً لا شك.

انتخابات منصلبة:

تشكل الانتخابات المباشرة لرئاسة الوزراء هذه السنة مفصلاً هاماً في الحياة السياسية الإسرائيلية وبخاصة بعد حسمية السلام. إذ إن الوسط السياسي الإسرائيلي ما زال منقسماً، ولو قليلاً ومتخبراً، لتشكيل حكومة بقيادة باراك أو هرتزوغي - فإن فوز نتانياهو لمعره الثانية سيعيد خلط الأوراق في الساحة السياسية والحزبية الإسرائيلية بصورة جذرية. وسيحطم ليفين الإسرائيلي فرصة العمر لإعادة تشكيل موسسات الدوله والمجتمع على صورته وسيجعل كما تتقيد فعلي للعملية السلمية أو لأي تفاوض سلام يشمل الانسحاب. وسيجرل انتخاب نتانياهو من شم الضفة الغربية على أرضي الواقع الإسرائيلي من خلال أخطبوط الاستيطان الذي سيقسم الضفة نهائياً إلى بوتوستانات ويمنع أية سيادة فلسطينية واحدة على الأراضي المحتلة.

وكذلك سيحقق انتخاب نتانياهو حمط الأوراق السياسية بين الفلسطينيين وفي اكثر من قطر عربي استعداد لمواجهة أي موجة أخر من النظام الإسرائيلي والذي سيقلب أكثر فأكثر من الغالبية

بل إن التناقض بين نتانياهو وبين بيرس من ناحية وباراك وهرتزوغ من الناحية المقابلة سيعيد شبح المواجهة بين معاجيم بحش وإسحق رابين عشية حرب لبنان وشبح حكومة الوحدة الوطنية عشية الانتفاضة بمعنى انه سيضع المنطقة إما أمام حرب جديدة، أو أمام تشكيل حكومة وحدة وطنية قادرة على مواجهة التحديات القادمة من دون أي اعتبار للسلام

وهل من دور للعرب؟!

هذا هو السؤال الذي طرحه على أكثر من صديق وأكثر من مسئول في أكثر من عاصمة عربية وغربية. وأقترض أن هذا هو السؤال الذي يدور في عقول المسئولين الفلسطينيين - ما الذي سيحدث لاوسلو؟ لمفاوضات نتانياهو؟ ولا أستعرض لو كنا قمنا باستغلال رئيس عام ورسمي دولي لكشفها في الغالبية الساحقة أن لم نقل كل العالم بلف عم نتانياهو ولكن شعور هؤلاء من نتانياهو يمكن أن يربح الانتخابات القادمة ويقوض العملية السلمية التي طالما استثمر فيها القليلون من قيمهم المتعلقة

بالنسبة للامريكان، فإن العملية السلمية التي بدأت في مدريد وانطلقت في أوسلو أصبحت نوعاً من النظام الإقليمي الجديد - «باكس امريكانا» ما بعد الحرب الباردة وخرب الخليج الثانية. والسيء للغاية هو المكان الذي تدعم تسوية الخلافات أو تقنين المصالح برعاية امريكية مباشرة - أمنية - والتصادية وديبلوماسية. وباسر عرفات في هذا الإطار يعتبر عاملاً إيجابياً ضمن «باكس

امريكانا» الجديدة. وما نتانياهو فيو ما زال «الولد الغاز».

وبينما استعملت واشنطن ضمانات القروض عشية انتخابات ١٩٩٢، فإنها تحسب المصادر الأمريكية انه لن تستعمل حتى لمساعدة إسرائيل (٢ - ٣ بلايين دولار). والذي خصمت ليه في «واي بلانتيشن» لمعنا لإعادة الانسحاب. واحدث اراره كلينتون توحل تعرير هذه المساعدة في الكونجرس وتحكومة نتانياهو

وبالنسبة للاوروبيين فإن استعمار الصوى الأوروبية المسوكة في العملية العسكرية وفي اقتصاديات السلام، يمكن ان يشهد ردة إلى الوراء وخسارات كبيرة. وهو ما يجعل حريصين على مصير ماسماهو. وهو الذين يعتزون بأن الحفاظ على العهاد التطبيعية لتسجيل إعلان الدولة والحفاظ على الأمر سيمثل عملية التعمير الفعلي.

وكذلك الامر بالنسبة للعرب امدير التقييم مع تعاجيل الإعلان ومع للأن ولا لمعيوات الماسعة والمي «أت»، بنتانياهو عم ١٩٩٦، ولكن ماذا بالنسبة لمعطيات حزب الله ومواجهة للبامامين في اجنوب؟ عماما عن احراج حكومة نتانياهو واحداجتجاج وكشف حرب الله أنه قادر على تحجيم عجيبة نتانياهو والاحدى ساحة تصريحات باراك حول الانسحاب وبزاير عليها والسؤال مرة أخرى، هنا بمكن للعرب ن يفعلوه؟ والجواب لاشيء. إن كان الحديث عن هذه الفترة الحضيرة حتى بوم الانتخابات فلمعلوم العرب اما فعلوا ولمعلوون إنه لم يفعلوا

فإذا قاموا بأي خطوة سياسية او عسكرية فإنهم نتانياهو سيعرف عنا بان العرب قد برهنوا مرة أخرى انهم ليسوا موضع ثقة وانهم غير مستعدين بالسلام وانهم عنيفون

يريدون تحطيم دولة إسرائيل او «التدخل في شئونها الداخلية». وإذا لم يقوموا بأي شيء وتركوا نتانياهو يوسع الاستيطان، وبحصر القدس ويقاوم إعادة الانتشار - وله مثل الانسحاب فإن نتانياهو سيؤكد للإسرائيليين أنه فعلاً حكمه وحكمته استمر الآن وخص الإسرائيليون على الارض والسلام معاً خلال سنتين وبحف السنة من إدارته. وعلى الأخص سحطات نتانياهو الإسرائيلي بدعمه لمواجهة استفزازات اسلاو والمواجهة اقادمه

وعلى العموم فإن استحور الانتخابات الإسرائيلية على المراح السياسي والمحيوي اخرى قد وصل الى درجات جديدة من الإذلال استراتيجية. الغرب تتحور عملياً حول من سيكون رئيس الوزراء الإسرائيلي القادم وليس كيفية التعامل مع أي رئيس وزراء بعض النظر عن هويته وخاصة أن الرئيس الأمريكي يتقلون فيه سيتم على الحادي لمقاومة الحرة الأخضر. لا بقلص بعاصمة بدولة «فلسطينية» لا لدولة الفلسطينية إلا «بسيدة ذ لمكثف والمستوطنات أو الانسحاب منها

ولو، حتى، فإن المرشحون عمى بعض التفصيل في المرحلة الأمطالعة حول معض النسب المئوية منها وهناك من إعادة الانتشار، فإن مسألة الانسحاب الفعلي لم تأت غير واضحة عند أي من المرشحين. ولذلك فإن انتشاب باراك او هرتزغي ربما يخفف من عملية الإحراج التي واجهها شركاء اسرائيل في العملية السلمية، ولكنه لن يحوص عن ضرورة الوصول إلى استراتيجية عربية وحشد جميع الطاقات وإعادة بالانضباط كما أن غياب استراتيجية قومية أو خطوطاً عريضة قومية إسرائيلية وخطوطاً حمراء في التفاوض يلتزم بها كل المرشحين وجميع الحكومات السامة. ■

أنشئ معدات الدفاع...
كفاءة بتكنولوجيا من مدنيين صرفية
celeration
• تمويل المشروعات ومنح التسهيلات الائتمانية
• دراسات الجدوى الاقتصادية
• خدمات امناء الاستثمار وتأسيس الشركات
• اعادة تأهيل الشركات المتعثرة
• الهيكلة وإعادة الجدولة للشركات
• كافة الخدمات الاستشارية والمالية
• خدمة التجارة الخارجية وتمويل عمليات التصدير والاستيراد
• اعمال سجلات الأوراق المالية من خلال الحفظ المركزي
• شراء وبيع وحفظ الأوراق المالية
• كافة خدمات سوق المال
• خدمات البنك الشخصي والحساب الآلي
• احدث تكنولوجيا العمليات المصرفية وشبكات الحاسب الآلي التي توفر لك تعاملاً مع البنك من نقطة واحدة
• فتح اعتمادات مستندية واصدار خطابات الضمان
• فتح الحساب بكافة انواعها وقبول الايداعات
بنك مصر ايران للتنمية
MISR IRAN DEVELOPMENT BANK
فريق عمل متكامل..

هي اثناء الحرب الباردة كانت أسلحة الدمار الشامل هي محور السياسة الخارجية وكان شبح الأسلحة النووية هو الذي خلقه اية قضية كبرى في علاقات التحالف بين أشرطة والحرب وكان هو الوسيط ان تربط بعض دول لاولويات في استراتيجية الامريكية بطريقة أو أخرى محطم تنشوب حرب عالمية ثالثة. واصوف من جدوث صدامات ملايين من الاتراص الامريكية

ولكن مدد انتهاء الحرب الباردة ظهرت موضوعات أخرى لتحل محل المشاغل الاستراتيجية في جدول أعمال السياسة الخارجية. بل ان ذلك الجدول لم يعد يحتل مكانا رئيسيا على شاشة رادار الرأي العام. وفيما عدا المتفرغين المعينين بسياسة الدفاع، لم يعد هناك أمريكيون كثيرون يهتمهم الهوم بسبب أسلحة الدمار الشامل. وبعد كل شيء، فما هو مصدر الارتياح الذي يسعر به الشخص الحادي شنيعة لشياء الحرب الباردة؟ لسياسة شنهوم بل حطن تنشوب حرب، نووية قد أطلق

ومع ذلك فإن أسلحة الدمار الشامل تحتلير الهوم ومصدرا لأشياء أخرى تدعو إلى القلق أكثر مما كان عديه الحال أيام الحرب الباردة من هذه الأشياء أن الأسلحة النووية لم تعد هي مصدر الخوف الوحيد. فقد سرت إلى المقدمة الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ومن هذه الأشياء أن خطر الإبادة الكاملة أصبح أقل، ولكن خطر الدمار الشامل أصبح أكبر، ونظرا لأن الحرب الباردة قد انتهت، وأصبحت المخزونات النووية الأمريكية والروسية أقل مما كانت، تضاءلت احتمالات انضرب المدمر المتبادل بالف الأسلحة ولكن خطر استخدام عدد أقل من أسلحة الدمار الشامل أخذ في التزايد وكثير من الإستراتيجيات والأراء الشائعة للتعامل مع خطار أسلحة الدمار الشامل لم تعد سارية الآن. كما كانت هي الوقت الذي اعتبرت فيه هو سلاح العدو الرئيسي. وأي التفكير الجديد لم يتعلق بعد بصورة واضحة بالقدر الذي كانت عليه مفاهيم الحرب الباردة ونظرية ادرع الموري.

المخاطر الجديدة لم تغب عن بصر الدوائر العسكرية، وأصبحت «مقاومة الانتشار» صناعة منزلية منتشرة في البنتاجون ودوائر المخابرات، وهناك مبادرات عديدة مهمة يجري تنفيذها الآن للتعامل مع هذا الخطر. غير أن بعضا من أهم تداعيات العصر الجديد لم تسجل بعد على جدول الاعمال العام. وهذا بدوره يحد من فعالية السياسيين للقيام بمراجع ملائمة. بل إن المؤسسة العسكرية وجهت اهتمامها أساسا نحو التصدي لأخطار أسلحة الدمار الشامل التي تتعرض لها قوات الولايات المتحدة العاملة في الخارج وليس إلى الخطر الأقرب لحدوث تدمير شامل داخل الولايات المتحدة يؤدي إلى مصرع أعداد كبيرة من المدنيين.

وانطلاقا الأساسية التي ينبغي الانتباه لها بشأن احمالم الجديد للتدمير الشامل هي ما يلي:

أولا: إن الدور الذي تقوم به هذه الأسلحة في المبارعات الدولية آخذ في التغير. فهي لم تعد تمثل الصدود التكنولوجية للحرب، وهي بصورة مطردة ستكون أسلحة الضعفاء من الدول أو الجماعات التي تقوم من الناحية العسكرية باعتبارها قوى من الدرجة الثانية في احسن تقدير كما أن أهمية أنواعها المختلفة قد تتغير وربما تكون الأسلحة البيولوجية الأن مصدرا أشد للقلق. تليها الأسلحة النووية في المقام الثاني، ثم الأسلحة الكيميائية في المقام الثالث بفارق كبير

ثانيا: ان رئيسيزمي سياسة الأمن في فترة الحرب الباردة - الردع وضبط التسلح - لم تعودا الآن كما كانتا في الماضي. فبعض الأخطار المحددة قد لا تكون قابلة للردع، كما أن بعض التسلح قد يكون أقل أهمية من السعي إلى التسلح آثار جانبية تلعي المنافع.

ثالثا: ان بعض التدابير التي مرجح أن تكون قادرة على مواجهة الأخطار بوسائل جديدة لن تلقى ترحيبا حارا. فالإجراء الذي يجب ان تكون له الأن الأولوية العلما هو إجراء طال تجاهله أو مقاومته او السعرة منه. وهو برنامج جوي للدفاع المدني للحد من تأثير أسلحة الدمار الشامل إذا أطلقت داخل الولايات المتحدة. كما أن بعض أكثر التدابير فاعلية لمنع انبعاث داخل الولايات المتحدة ربما تتعارض أيضا مع الحريات المدنية التقليدية

وأخطر الاستنتاجات بالنسبه للسياسة الخارجية هو أن تقليل احتمالات الهجوم داخل الولايات المتحدة ربما يتطلب الانسحاب من المشاركة في بعض النزاعات الخارجية وعن المعارك ان التحركات الأمريكية لضمان الاستقرار الدولي هي المصدر الأول للمخاطر التي تتعرض لها.

وقد كان ذلك صحيحا إلى حد ما أثناء الحرب الباردة، عندما كان الخطر الأساسي من معروض الأراضي الأمريكية للأسلحة النووية، ينبع من الارتباطات الاستراتيجية في أوروبا وأسيا والشرق الأوسط لردع الهجوم على حلفاء الولايات المتحدة. ولكن ذلك الارتباط كان مفترضا في ذلك الحين وجود علاقة مباشرة بين الاستقرار الإقليمي واستمرار وجود الولايات المتحدة. ولم تعد هذه العلاقة واضحة بنفس القدر اليوم، حيث لم تعد هناك دولة عظمى تهدد العالم أو إيديولوجيا غير وطنية يتطلب الأمر احتواءها والنزاعات القائمة هي مجموعة من الإصطرابات الخطيرة ولكنها اضطرابات محلية فقط واليوم فإن الولايات المتحدة، باعتبارها البلد الوحيد الذي يقوم بدور رجل الشرطة في مناطق خارج حدودها، تجعل من نفسها هدفا للدول أو الجماعات التي تحول قوة الولايات المتحدة دون تحقيق تطلعاتها

عندما ولدت الأسلحة النووية كانت تمثل أكثر التغيرات العسكرية ثورية للعالم

والتكنولوجيا والهندسة. ولم تكن تأمل في الحصول عليها غير الدول الكبرى. أما الآن فقد مضى على وجود الأسلحة النووية أكثر من نصف قرن، وعلى وجود الأسلحة الكيميائية والبيولوجية مدة أطول. وهي لا تتقدم في العمر فحسب، بل أصبحت هذه الأسلحة ومن الناحية الإسترايتجية التي تهم أمن الولايات المتحدة، أسلحة بدائية. وبعد أن كانت أرقى الأسلحة العسكرية المتاحة أصبحت هي الأمل الوحيد لما يسمى بالدول الشريرة أو للإرهابيين الذين يريدون أن يتحدوا القوة الأمريكية. لماذا؟ لأن الولايات المتحدة حققت تفوقا هائلا في القوة العسكرية التقليدية، وهو امر لم تكن تأمل أن تحققه في مواجهة الاتحاد السوفييتي.

وقد كشفت حرب الخليج في ١٩٩١ عن التفوق الأمريكي بدرجة أذهلت المتفرجين في الخارج وعلى الرغم من أن الميزانية العسكرية الأمريكية انخفضت، فإن الفجوة بدينا وبين الدول الأخرى لم تتضاءل ومازال الإنفاق العسكري يزيد بأكثر من ثلاثة أضعاف مثيله في أية دولة يمكن أن تكون معادية، وهو يزيد على الميزانية العسكرية لثلاثين دولة من روسيا

انتهى زمن أسلحة الضعفاء.. الخوف الآن من التدمير البيولوجي

هيستريا الحرب ضد مجهول!

ريتشارد بيتس

أصبحت الأسلحة البيولوجية والكيماوية هي الأمل الوحيد لما يسمى بالدول الشريرة أو للإرهابيين الذين يريدون أن يتحدوا القوة الأمريكية وربما تكون الأسلحة البيولوجية الأن مصدرا أشد للقلق، تليها الأسلحة النووية في المقام الثاني، ثم الأسلحة الكيميائية في المقام الثالث بفارق كبير

والصين وإيران والعراق وكوريا الشمالية وكوبا مجتمعة.

ومن المهم أيضا أنه ليس هناك دليل على أن مسئولي الحرفية العسكرية في تلك الدول «يزيد بمعدل يجعلها قادرة على المنافسة»، حتى إذا أنفقت مبالغ أكبر كثيرا على قواتها، واستمرارا في إدراء البعض ثروة في النشئون العسكرية مازالت القوات الأمريكية تحقق استخداما لا مثيل له لأحدث الأسلحة، ولأنظمة الرصد ووجمع المعلومات، ولقوة التنظيمية والقيادية في إدارة هذه التركيبات المعقدة وإدخالها في «أنظمة الأنظمة» التي أصبحت ملامح الفاعلية العسكرية الحديثة. وأصبحت للعقول قوتها بدلك عن عضلات المفكر، وألا تفكر العسكري. وإذا تمكنت دولة معادية من اللحاق بالولايات المتحدة في سباق التسليح، فلس من المتوقع أن يلحق تنظيمها وتلقائيها العسكرية بسباق الكفاءة في الإدارة واستيعاب التكنولوجيا ومهارات القيادة التالية.

وإذا كان من المعتذر على الدول المعادية أن تواجه الولايات المتحدة في ميدان القتال التقليدي، فإن ذلك القتال أصبح بالنسبة للجماعات الأصغر حجما مثل الإرهابيين. وإذا كانت الولايات المتحدة حساسة الحظ، فإن شتى الجماعات التي تؤمن بالعنف والتي لديها مظالم تشكو منها من الحكومة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، سوف تستمر في وضع خطط تستخدم فيها المتفجرات التقليدية. ولم تظهر حتى الآن جماعات إرهابية تسعى إلى إحداث تدمير شامل حقيقي. ولم يؤد إلقاء القنابل أو أخذ الرهائن يوما إلى مهدد أكثر من مئات قليلة من الأرواح. ودعونا نأمل أن تكون هذه القدرة المحدودة راجعة إلى سبب قوي، وليس إلى عجز عدم امتلاك القدرة. وألا نغدو الاستنتاءات الظلية أكثر انتشارا

وليس هناك ما يدعو للاعتقاد على هذا النوع من ضبط النفس. فقد حاول بعض تلك الجماعات بالفعل أن يستخدم أسلحة الدمار الشامل. إلا أن المحاولة أخفقت. فقد «طلقت جماعة» أوم شينرى كيو» اليابانية غاز السارين المدمر للأعصاب في طوكيو في سنة ١٩٩٥ لكنه لم يقتل غير عدد قليل من الأشخاص. ويعتقد بعض الباحثين أن أولئك الذين هاجموا مركز التجارة العالمي في نيويورك في عام ١٩٩٣ لجؤوا لتفجير سيارتهم بدلا من استخدام غاز الأعصاب الذي حصلوا عليه لأنهم كانوا أكثر خبرة في التفجير. (هذا لم يمنعهم من محاولة قتل ٥٠٠٠ شخص). وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة حساسة الحظ، فإن شتى الجماعات التي تؤمن بالعنف ولقي لديها مظالم تشكو منها من الحكومة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، سوف تستمر في وضع خطط تستخدم فيها المتفجرات التقليدية. ولم تظهر حتى الآن جماعات إرهابية تسعى إلى إحداث تدمير شامل حقيقي. ولم يؤد إلقاء القنابل أو أخذ الرهائن يوما إلى مهدد أكثر من مئات قليلة من الأرواح. ودعونا نأمل أن تكون هذه القدرة المحدودة راجعة إلى سبب قوي، وليس إلى عجز عدم امتلاك القدرة. وألا نغدو الاستنتاءات الظلية أكثر انتشارا

وليس هناك ما يدعو للاعتقاد على هذا النوع من ضبط النفس. فقد حاول بعض تلك الجماعات بالفعل أن يستخدم أسلحة الدمار الشامل. إلا أن المحاولة أخفقت. فقد «طلقت جماعة» أوم شينرى كيو» اليابانية غاز السارين المدمر للأعصاب في طوكيو في سنة ١٩٩٥ لكنه لم يقتل غير عدد قليل من الأشخاص. ويعتقد بعض الباحثين أن أولئك الذين هاجموا مركز التجارة العالمي في نيويورك في عام ١٩٩٣ لجؤوا لتفجير سيارتهم بدلا من استخدام غاز الأعصاب الذي حصلوا عليه لأنهم كانوا أكثر خبرة في التفجير. (هذا لم يمنعهم من محاولة قتل ٥٠٠٠ شخص). وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة حساسة الحظ، فإن شتى الجماعات التي تؤمن بالعنف ولقي لديها مظالم تشكو منها من الحكومة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، سوف تستمر في وضع خطط تستخدم فيها المتفجرات التقليدية. ولم تظهر حتى الآن جماعات إرهابية تسعى إلى إحداث تدمير شامل حقيقي. ولم يؤد إلقاء القنابل أو أخذ الرهائن يوما إلى مهدد أكثر من مئات قليلة من الأرواح. ودعونا نأمل أن تكون هذه القدرة المحدودة راجعة إلى سبب قوي، وليس إلى عجز عدم امتلاك القدرة. وألا نغدو الاستنتاءات الظلية أكثر انتشارا

وليس هناك ما يدعو للاعتقاد على هذا النوع من ضبط النفس. فقد حاول بعض تلك الجماعات بالفعل أن يستخدم أسلحة الدمار الشامل. إلا أن المحاولة أخفقت. فقد «طلقت جماعة» أوم شينرى كيو» اليابانية غاز السارين المدمر للأعصاب في طوكيو في سنة ١٩٩٥ لكنه لم يقتل غير عدد قليل من الأشخاص. ويعتقد بعض الباحثين أن أولئك الذين هاجموا مركز التجارة العالمي في نيويورك في عام ١٩٩٣ لجؤوا لتفجير سيارتهم بدلا من استخدام غاز الأعصاب الذي حصلوا عليه لأنهم كانوا أكثر خبرة في التفجير. (هذا لم يمنعهم من محاولة قتل ٥٠٠٠ شخص). وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة حساسة الحظ، فإن شتى الجماعات التي تؤمن بالعنف ولقي لديها مظالم تشكو منها من الحكومة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، سوف تستمر في وضع خطط تستخدم فيها المتفجرات التقليدية. ولم تظهر حتى الآن جماعات إرهابية تسعى إلى إحداث تدمير شامل حقيقي. ولم يؤد إلقاء القنابل أو أخذ الرهائن يوما إلى مهدد أكثر من مئات قليلة من الأرواح. ودعونا نأمل أن تكون هذه القدرة المحدودة راجعة إلى سبب قوي، وليس إلى عجز عدم امتلاك القدرة. وألا نغدو الاستنتاءات الظلية أكثر انتشارا

وليس هناك ما يدعو للاعتقاد على هذا النوع من ضبط النفس. فقد حاول بعض تلك الجماعات بالفعل أن يستخدم أسلحة الدمار الشامل. إلا أن المحاولة أخفقت. فقد «طلقت جماعة» أوم شينرى كيو» اليابانية غاز السارين المدمر للأعصاب في طوكيو في سنة ١٩٩٥ لكنه لم يقتل غير عدد قليل من الأشخاص. ويعتقد بعض الباحثين أن أولئك الذين هاجموا مركز التجارة العالمي في نيويورك في عام ١٩٩٣ لجؤوا لتفجير سيارتهم بدلا من استخدام غاز الأعصاب الذي حصلوا عليه لأنهم كانوا أكثر خبرة في التفجير. (هذا لم يمنعهم من محاولة قتل ٥٠٠٠ شخص). وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة حساسة الحظ، فإن شتى الجماعات التي تؤمن بالعنف ولقي لديها مظالم تشكو منها من الحكومة الأمريكية والمجتمع الأمريكي، سوف تستمر في وضع خطط تستخدم فيها المتفجرات التقليدية. ولم تظهر حتى الآن جماعات إرهابية تسعى إلى إحداث تدمير شامل حقيقي. ولم يؤد إلقاء القنابل أو أخذ الرهائن يوما إلى مهدد أكثر من مئات قليلة من الأرواح. ودعونا نأمل أن تكون هذه القدرة المحدودة راجعة إلى سبب قوي، وليس إلى عجز عدم امتلاك القدرة. وألا نغدو الاستنتاءات الظلية أكثر انتشارا

حمى العقد الماضي. كانت القضية هي الأسلحة النووية. وينبغي الأمر هنا ذلك وكانت الأسلحة الكيميائية تلقى قدرا من الإهتمام من جانب الضبراء، ولكنها لم تكن على قائمة الأولويات لدى رؤساء إدجمهورية أو رؤساء الوزارات

ونسبيت الأسلحة البيولوجية تقريبا بعد ان حظرتها اتفاقية الأسلحة البيولوجية التي أبرمت في سنة ١٩٧٢. وحظيت الأسلحة الكيميائية والبيولوجية بقدر أكبر من الإهتمام خلال التسعينات غير أن التأثوف الذي يجمع تحت مظلة التدمير الشامل يشير قصايا مختلفة. واهم ما يلفت النظر أن الأسلحة البيولوجية حظيت باهتمام أقل من السلاحين الأخرين بالرغم من أنها ربما تمثل أكبر الخطر.

وقد نفذت الأسلحة الكيميائية قدرا أكبر من الإهتمام خلال العقد الماضي. ولاسيما بعد أن استخدمها العراق ضد القوات الإيرانية في حرب ١٩٨٠ – ١٩٨٨ بين العراق وإيران وقد أدت لمقتل الآلاف في عام ١٩٨٨. والأسلحة الكيميائية عموما مدمرة أقل من الأسلحة النووية والتكنولوجيا اللازمة لإنتاجها أشد بساطة. وهناك عدد كبير من الدول التي تنفذ برنامج للأسلحة الكيميائية. غير أن هذه الأسلحة ليست في الواقع من نفس طبقة أسلحة الدمار الشامل الأخرى. بمعنى القدرة على إحداث عدد كبير من الإصابات بين المدنيين بضربة واحدة. ولأحداث عشرات الآف لوفيات مثل تلك التي أحدثتها مثلا عمليات القصف الإستراتيجي الكبرى في الحرب العالمية الثانية. يكون من الصعب لمعاية من ناحية التعبئة وتنفيذ العمليات استخدام الأسلحة الكيميائية بالكميات اللازمة في مناطق واسعة. ومع ذلك فقد وجه اهتمام كبير وبدل جهد كبير من أجل إزالة الأسلحة الكيميائية وقد يكون ذلك أمرا مفيدا، ولكن أثاره الجانبية قد لا تكون كلها حميدة. من ذلك مثلا أن حظر الأسلحة الكيميائية يعني أن يصبح للأسلحة النووية أهمية في الردع تريد عما كان عليه الحال من قبل. وذلك لأن إيرام معاهدة لا يمكن أن يمنع بشكل مؤكد الدول المعادية من صنع الأسلحة الكيميائية. في حين أن الولايات المتحدة تحدث بعد الرئ بالفل.

وفي الماضي كانت الولايات المتحدة تمتع بسهامة الأكثوز الهائلة باستخدام الأسلحة الكيميائية وتلقيها استفقات ماحق في الرد بها إذا قام العدو باستخدامها أولا. ومعاهدة الإسلحة الكيميائية لسنة ١٩٩٣. والتي دخلت حيز إنتاج طلقات 5.0 التي تتكف الواحدة منها مليارين من الدولارات باعتبارها من أسلحة الحرب التقليدية. ولا مكان يوجد في البنتاجون الآن لا لإزال. يهتم بالتكيفية التي تستطيع بها الولايات المتحدة أن تستخدم أسلحة الدمار لمنال أو أغراضها الإستراتيجية

«ما ميقد به المحظوظون أعسكريون هو خيفية إيقاء الأطراف المغاربة بعيدا عن استخدام أسلحة الدمار الشامل باعتبارها وسيلة «غير منطقة». لو حية القوة الامريكية التقليدية. وكيفية حماية القوات ابيرية والبحرية الامريكية في الحارج من الهجوم عليها بأسلحة الدمار الشامل. وهذا الاهتمام له ما يبرره مجرر شك. ولكنه يتطوي على خطر ابتعاد الإهتمام عن الخطر الرئيسي. فليس الخطر الرئيسي هو أن يقوم الأعداء بإلقاء بعض الأسلحة النووية أو الكيميائية على القوات المسلحة الأمريكية أو على السمال الأمريكية. بالرغم من خطورة ذلك. إنما الخطر الحقيقي هو أن يحاولوا استخدامها داخل المدن الأمريكية.

بدور إنتاج طلقات 5.0 التي تتكف الواحدة منها مليارين من الدولارات باعتبارها من أسلحة الحرب التقليدية. ولا مكان يوجد في البنتاجون الآن لا لإزال. يهتم بالتكيفية التي تستطيع بها الولايات المتحدة أن تستخدم أسلحة الدمار لمنال أو أغراضها الإستراتيجية

«ما ميقد به المحظوظون أعسكريون هو خيفية إيقاء الأطراف المغاربة بعيدا عن استخدام أسلحة الدمار الشامل باعتبارها وسيلة «غير منطقة». لو حية القوة الامريكية التقليدية. وكيفية حماية القوات ابيرية والبحرية الامريكية في الحارج من الهجوم عليها بأسلحة الدمار الشامل. وهذا الاهتمام له ما يبرره مجرر شك. ولكنه يتطوي على خطر ابتعاد الإهتمام عن الخطر الرئيسي. فليس الخطر الرئيسي هو أن يقوم الأعداء بإلقاء بعض الأسلحة النووية أو الكيميائية على القوات المسلحة الأمريكية أو على السمال الأمريكية. بالرغم من خطورة ذلك. إنما الخطر الحقيقي هو أن يحاولوا استخدامها داخل المدن الأمريكية.

حيز التنفيذ في أبريل الماضي، تشعر أن كبعر الولايات المتحدة المخزون لديها من هذه الأسلحة، وبذلك ينتهي هذا الخيار. وقد صغات الولايات المتحدة نفس الشيء تجاه الأسلحة البيولوجية منذ أمد طويل، في فترة رئاسة نيكسون وإزالة الأسلحة الكيميائية والسمولوجية الأمريكية يحول دون تطبيق سياسة الاكتون البابانة باستخدام الأسلحة النووية، لأنها تصبح أسلحة الدمار الشامل الوحيدة المتاحة لها الرد بها.

فهل ستتخذ الولايات المتحدة أي استخدام الأسلحة النووية ضد دولة أو جماعة تعتدة ضد حليف أو صديق؟ لقد وضعت الإدارة الأمريكية قائمة تحتوي على سبعة دول، تعتقد الرد بها في حالة وقوع هجوم بأسلحة الدمار الشامل ضدها أو ضد أحد حلفائها. ولن يؤدي الحد من نطاق بدائل الرد المتاحة للاستراتيجية الأمريكية بالضرورة إلى قبل الرد، ممكنه بالفعل أن يزيد من قوته

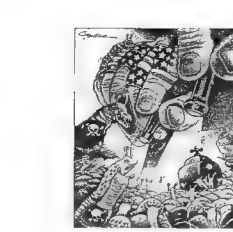

هل ستلجأ الولايات المتحدة إلى استخدام الأسلحة النووية ضد دولة أو جماعة قتلت عدة آلاف من الأمريكيين بمواد كيميائية قاتلة؟

والمثيرة للقلق والمفاجأة الأسلحة الكيميائية أنها تحمل من الأسعب خيارة قتل الأسلحة وأنها مستصغير نصير مضبوطة ولا مقبولة. كما كانت الأسلحة البيولوجية عقول ربع قرن، فإن كانت لها هذه المميزة. مانا سيكون تأثير الحظر على خيارات الرد في الجماعات التي تحتاج إلى نوع من استخدام الدمار الشامل على أي حال، سواء لأغراض الردع أو العدوان أو الانتقام؟ على الأقل سيؤدي الحظر إلى إقناع الحواجز على عدم خيارة الأسلحة البيولوجية، لأنها لن تكون لها عدما من الشرعية، أو أصعب في الحصول عليها أو إخفائها. أو أكثر ضررا من الأسلحة الكيميائية. فإذا كان تأثير الحظر الكيميائي بسيطة كبيرة فسيؤدي إلى زيادة وليس تقليل الحافز في الحظر البيولوجي. فإن لبدولة ستكون خاسرة.

وهناك حقيقة بسيطة تدعو الأمريكيين إلى القلق بشأن الأسلحة البيولوجية أكثر من قلقهم بشأن الأسلحة البيولوجية والكيميائية. وهي أن الأسلحة البيولوجية، على خلاف النووية والكيميائية، تجمع بين القدرة التدميرية القصوى والسهولة النسبية. الحيازة. الأسلحة النووية لها أيضا هالة على القتل. ولكن الحصول عليها ليس سهلا. والأسلحة الكيميائية يسهل الحصول عليها، ولكن ليست لديها تلك القدرة على القتل. أما العناصر البيولوجية فلديها كلتا الصفتين.

وقد أجرى «مكتب تقدير التكنولوجيا» في عام ١٩٩٣ دراسة خلصت إلى أن قيام طائرة واحدة بنقل ١٠٠ كيلوجرام من جراثيم الجمرة الخبيثة - وهي نوع من الجراثيم تتكاثر بسرعة داخل الجسم وتنتج سموما تؤدي إلى تزيف سريع - في ليلة صافية هادئة فوق واشنطن فإنها يمكن أن تقتل ما بين مليون وثلاثة ملايين شخص. بل ما يربو على ٣٠٠ مرة على الخسائر التي يمكن أن تحدثها الطائرة إذا حملت غاز أعصاب مكثفا «غير معطرة» (انظر الصفحة ١).

والأسلحة البيولوجية، شأن الأسلحة الكيميائية ولكن بدرجة أكبر، لها خصوصيات في السيكولوجية الجموع إلى حد كبير من المشاكل المتوقعة في التعامل مع العناصر البيولوجية وحطها. وقد أصبح بعض هذه العناصر متاحا لأغراض البحث العلمي. ولا يتوقع أن تكون الأسلحة الكيميائية هي المحتارة من بين أسلحة الدمار الشامل لدى الجماعات الإرهابية من غير الدول. إذا تحتاج إلى استصارات ضخمة، وإلى بنية تحتية يسهل التعرف عليها، أو ضربها، وإلى معرفة متخصصة مؤكدة من جانب الولايات المتحدة وسوف تجد الجماعة التي لها معلوم وقدرات تقلل أعدادا هائلة من الأمريكيين، ان الوصول إلى حدفها بالمعرة الطبيعية أيسر من الانتظار الدوري.

وفي داخل الينتاجون، زاد القلق من الأسلحة البيولوجية خلال السنوات القليلة الماضية. ولكن ليس هناك اهتمام جدي بهذه المشكلة خارج البنتاجون. ولم يكن ذلك شيئا طبيعيا إذا لم يكن هناك ما يمكن عمله في هذا المجال. إذ أن الحديث العلني في الموضوع يميل بكثير مصدرا لأفكار التي يتناقشها الأعداء. ولكنه يكون شيئا سيئا إذا حال دون اتخاذ خطوات - مثل الدفاع المدني - يمكن أن تقلل من آثار أي من الصور التي والبيولوجية أو البيولوجية

مازالت هناك فترة عتيقة تسبقر على المناقشات المتعلقة بأسلحة الدمار الشامل. ومازال الحديث دور في المؤسسة العسكرية حول «الردع» تلك الكلمة الاستراتيجية التي كانت تستخدم لجميع الأغراض في الحرب الباردة. وكان الردع لا يعني أكثر غير مباشر أقل مما كانت الولايات المتحدة تواجهه أثناء الحرب الباردة.

فمعظم الردع يكون واضحا عندما تكون المسألة هي الحيلولة دون عدوان بدء بالاستفزاز ولا يتسم بالغموض، وعندما يدرك المعتدي أنه المعتدي وليس مدافعا عن النفس، وكان الردع لا يكون مجاة للاقتصاد عليه عندما يرى كل من طرفي النزاع أن الآخر هو المعتدي.

وهذا القول كثيرا ما يكون صحيحا عندما تدخل الولايات المتحدة في منازعات العالم الثالث المختلفة. وفي هذه الحالة قد يرى الجانبي الذي تزعب الولايات المتحدة في ردعه أن يهدد الرغائي في ردعها. ومثل هذه المواقف صعابة للغاية للتحليل في الصعاب.

وبالنسبة للبلد الذي كان في العادة موضوع الردع الأمريكي - أي روسيا - فإن العبء الاستراتيجي قد اختلف. راسا على عقب. لقد أسندنا إلى أغراض التحليل العسكري للسوفييت في المجال التقليدي، كانت الاستراتيجية الأمريكية تعتمد على ذلك الخطر للتصعيد - لأن تكون هي الأولى في استخدام الأسلحة النووية أثناء الحرب - من أجل ردع أي هجوم من جانب الفرق المدرعة السوفييتية. أما الآن فقد تغيرت الأوضاع. فلم يعد هناك ورق لحلف وارسو. ولديي لدى روسيا غير نصف القوات العسكرية لاتحاد السوفييتي أو أقل. وقواتها التكفيدية حاليا في حالة فوضى. في حين يتوسع حلف الأطلنطي في اتجاه الشرق. وموسكو هي التي لديها أكثر دافع للتحويض عن الضعف في المجال التقليدي بزيادة الاعتماد على الضربات النووية. وقد تبنتي الروس في أوائل الثمانينيات سياسة "لا يكونوا البادئين باستخدام الأسلحة النووية ولكنهم تخلوا عن تلك السياسة بعد ضعف قوتهم الذي أعقب نهاية الحرب الباردة.

إن روسيا الآن في حاجة إلى ما يطمئنها لا إلى ما يرعبها. والخطر الرئيسي من أسعة الدمار الشامل الروسية هو التسريب من مخزوناتها الهائلة إلى الجماعات المعادية لأمريكا في مناطق أخرى - ما يسمى مشكلة «الأسلحة النووية السائبة». وما دامت الولايات المتحدة لا تعتزم مهاجمة الروس، فإن زيادة اعتمادهم على القوة النووية لا يعظل مشكلة.

وبالظل، فإن التفوق العسكري الأمريكي في المجال التقليدي يعطي الصين حافزا للتظر في زيادة الاعتماد على إستراتيجية ترهي إلى التصعيد. وقد كانت الصين تتبع منذ أمد طويل سياسة مؤداها ألا تكون هي الدولة البادئة، ولكنها اعتمدت هذه السياسة عندما كانت عقيدتها الإستراتيجية هي «الحرب الشعبية» التي تعتمد على التعبئة العامة والأسلحة ذات المستوى التكنولوجي المنخفض. وقد تعرضت كل عقيدة لهزه شديدة نتيجة للأداء الأمريكي في حرب الخليج.

وقد أيضا ربما تفرض الولايات المتحدة أنه لا توجد مشكلة ما دامت يكون لا تريد غير الردع، والولايات المتحدة لا تنوي أن تهاجم. ولكن ماذا يكون وضع هذه الافتراضات إذا زاد احتمال نشوب حرب حول تايوان؟ وهو نزاع لا يريده أحد، ولكن لا يمكن استبعاده على ضوء التوترات المتزايدة. فإذا قررت الولايات المتحدة أن تردع بكين عن مهاجمة تايوان، فقد يكون المثرات القديم من الحرب الباردة صالحا، ولكن إذا استعصرت واشنطن أن ترك السياسة غامضة، فربما يكون عليها إلى معرفة من الذي يريد الحرب؟ إن الغموض يؤدي إلى اضطراب الرؤية والخطأ في الحساب في وقت الأزمات.

إن المشكلة الأساسية بشأن الردع، هي أنه مازال يعتمد على مجموعة المفاهيم التي استندت إليها سياسة الحرب الباردة التي سوف سليها الاعتماد على الشهديد بالضربة الثانية الانتقامية. لكن الانتظام يتطلب معرفة من الذي قام بالهجوم، والعنوان الذي يقيم الضربات الثانية. وهذان الشرطان لا يمثلان مشكلة عندما يأتي الخطر من حكومة، ولكنهما يصبحان مشكلة إذا كان العدو مجهولا. وهناك اليوم جماعات زما ترغب في مقاتلة الولايات المتحدة بدون الإعلان عن هذا، أي عملية للقتل الجماعي شبيهة بما حدث في عام ١٩٨٨ من إسقاط طائرة بان أمريكان ١٠٣ فوق اسكوتلندا، بواسطة عملاء ليبيين. ويضاف إلى ذلك أن المخابرات التي تعتمد عليها الولايات المتحدة لتحديد أهدافها قد تكون غير جديرة، من الردع إلى المنع، وأغلبية من كان لهم دور في سياسة الأسلحة النووية أثناء الحرب الباردة، اعترضوا بشكل قاطع على تطوير خيارات الضربة الأولى. أما اليوم فعبء هذا من يأخذ بدلك المفاتح القديم. عندما يظهر في الدول «الخروج» أو في الإرهابيين، وبالتالي معظم المسئولين أن يتعكنوا من القيام بعمل حاسم ضد أية جماعة تمتلك أسلحة الدمار الشامل.

وابتداء من مناقوسات الحظر المحدود للتأثير في السنينات، وعبر محادثات تقيد الأسلحة الاستراتيجية ومحادثات خفضها، ومفاوضات الأسلحة النووية متوسطة المدى في السنينيات والثمانينات، كانت معاهدات الحد من التسلح جوهرية في إدارة مخاطر الحرب الدمار الشامل. وقد دارت مناقشات حامية حول ما إذا كانت بعض الاتفاقات المحددة مع موسكو هي في مصلحة الولايات المتحدة أم لا. لأن الجميع كانوا يعتقدون أن النتائج التي ستوصل إليها لها أهميتها. أما اليوم فليس هناك اتفاق في الرأي على أن المعاهدات التي تقطع التسلح لها أهمية كبيرة.

كما أن شركة الولايات المتحدة في الحد من التسلح أيام الحرب الباردة، وهي روسيا، قد تزعت بأولوياتها الكثير من أسلحتها. ولكن على الرغم من أن الصراع المتبادل، فإن الولايات المتحدة قد تمنح أولوية متقدمة لإقناع موسكو بأن تتجه في المزيد من أسلحتها النووية. وقد اختارت إدارة كلينتون أن تتجه توسع حلف شمال الأطلنطي. مما يدفع الروس في الاتجاه المضاد.

على الرغم من كل جوانب النقص المستجدة سيظل الردع من الجوانب المهمة في

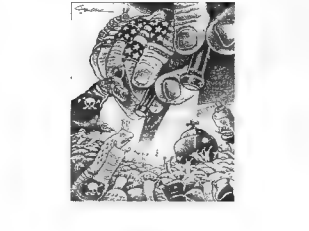

الميزانية العسكرية الأمريكية تزيد على الميزانية العسكرية لكل من روسيا والصين وإيران والعراق وكوريا الشمالية وكوبا مجتمعة

الاستراتيجية.. فرنسا لم تعلن شيئاً كثيراً للمحافظ ما لم تقطع شوطاً كبيراً في طريقها، وأنا أعرف هذا الطريق على الرغم من أنني لا أعرف الأسلحة النووية، وتفوقها في المجال العسكري التقليدي ولكن حينما تكون القدرات غير مضبوطة بشكل ظاهر بصديق المجال لتدابير التصدي إذا مثل الردع

وسارل المحصنون لتطوير القدرة الدفاعية، ومعظمهم من كانوا يؤيدون مبادرة اندماج الاستراتيجي في سنوات ريجان، مشعسكين بأمل أشكال تلك القدرة ملامحة: أي الدفاعات الإيجابية المعتمدة على التكنولوجيا الرفيعة من أجل التصدي للصواريخ البالستية ومازال الاهتمام ضئيلا بالموضوع الذي يجب أن يحظى في الوقت الحالي بالأولوية الأولى؛ وهي الاستعداد للدفاع المدني لمواجهة استخدام أسلحة الدمار الشامل داخل أولايات المتحدة. واندفاع الإيجابي ضد الصواريخ يبطلب استثمارات باهظة، ربما نتيجة أو لا تجلو حالة سيولة، وكلما لا يحقق شيئا غير خطر الذي تواجهه بالفعل، فتدابير الدفاع المدني رخيصة للغاية، ويمكن أن تكون في مواجهة هجوم معلن أكثر فاعلية منها في مواجهة هجوم سوفاجي ولمع المدى.

وكان انتفاض في فترة الحرب الباردة بشأن الدفاع المدني الحيوي بدور حول ما إذا كان هذا الدفاع ممكنا من الناحية التكنولوجية، أو لا، كان يدرر تكاليفه، أو ما إذا كان سيثير السوفييت ويؤدي إلى إشعال سباق محموم بين الأسلحة الدفاعية والهجومية. ولسنا بحاجة للعودة إلى المعارك التي دارت حول مبادرة الدفاع الاستراتيجي لنرى أن أهميتها بالنسبة لخطر أسلحة الدمار الشامل الحالية أهمية ضئيلة. فلن يكون في وسع إيران أو العراق أو كوريا الشمالية أن تطلق قذائف عابرة للقارات إلا بعد سنوات، كما أنه إذا كانت هذه البلدان تتمتع بالدكاء الاستراتيجي أن ترغب في ذلك، وأنجب أن تصبح المعبود من الرؤوس النووية التي يحتمل أن تمتلكها هذه الدول. وخاصة بالنسبة لـ نصلكه من الأسلحة البيولوجية، فإن الوسائل الأخرى لمثلها متاحة وبدرجة أكبر. ومن بدائل الصواريخ عابرة القارات، استخدام الطائرات، والصواريخ التي تطلق من السطح، والوسائل غير التكنيدية مثل التهريب، التي يرجح أنبها أجهزة مخابرات تلك الدول. ولا شك في أن المشاعرين من غير الدول، مثل أولئك الذين هجروا أسلحة من مخازن اتشراف العاشية، سوف يغتارون أوسلائل السرية بالضرورة.

ونظام الدفاع المضاد للصواريخ عابرة القارات، سواء كان يتكلف أقل أو أكثر من مبلغ الستين مليار دولار، الذي أقرها مؤخرا مكتب الميزانية التابع للكونجرس، لن تكون هناك حاجة إليه إلا إذا حيل دولة محمود، وقد يكون هجوما لمواجهة هذه الأسلحة البديلة في الهجوم بل إنه إذا كان الصمت الأكبر لتلقى بتلك أسلحة الدمار الشامل في الولايات المتحدة يرجح إلى الخوف من استخدامها من جانب الدول الشريرة أو الجماعات الإرهابية. فالاحتمال الأكبر إنه في وقت ما، من الأوقات في المدى، سوف تطلق بعض تلك الأسلحة، على الرغم من بذل الجهود لتعويق انتشارها. وحتى ذلك، يجب أن يكون لدى الولايات المتحدة أيضا البديل اللازم للحد من تلك استخدامها. وفي المراحل الأخيرة من الحرب الباردة، كان من الصعب إثارة اهتمام الجمهور بالدفاع المدني فمن هجوم سوفيتي شامل، ممكن أن يؤدي إلى تضحيم الأرقام من الأسلحة النووية، ذات الخيار الطفل إلى التراكمل المأهولة بالسكان

الحرب الباردة هي السبب النفسي الأن في تجنبها. فقد ادت معارضو هذه البرامج على القول بأن الدفاع المدني وهو خطر، لأنه لن يعمل شيئا يذكر للحد من نتائج الهجوم الذي يمكن أن يقضي على مئات المدن. وقد يؤدي إلى شعور كاذب بالأمن، ويمكن أن يكون مزعزعا للاستقرار وحافزا للهجوم في وقت الأزمة وسواء كانت تلك الحجج سليمة في ذلك الحين أو لم تكن، فهي ليست سليمة الآن. ولكن كان هناك في ذلك الوقت والآن أيضا سبب قوي لعدم الرغبة في تطبيق إجراءات الدفاع المدني، وهذا نبذي إلى ارتياح الجمهور، لأنها تقدم رؤيا وليس شيئا وتستطيع الحكومة الإستراتيجية للردع، أو المنع، أو اصطياد الصواريخ، أن تحول دون سقوط مؤكد.

إن في وسع الدفاع المدني أن يحد من الإرهاب، وإنكه لا يستطيع أن يتزل بها إلى الحد الأدنى. ولقد يتمكن بعض الإعداد من تطوير وسائل بديلوجيية لا تتأثر بالقذائف والمضادات الحيوية المتاحة الآن. (غير أنه يمكن تكلف على أصحاب القدرات التقنية الواعدة عن طريق إغلاق الطريق أمام الخيارات الأسهل). ولكن أيهما نسوء: توافس الدمار المدني، أم نحمل مسئولية عدم الحماية؟ ففي اللحظة التي تستخدم فيها أسلحة الدمار الشامل في مكان ما، بطريقة ينتج عنها عشرات الآلاف من الضحايا، ستكون هناك استجابات مصيرية من كل نوع وسكون من بينها بالتأكيد السؤال: "لماذا لم تهيئ الحكومة لهذا الاحتمال؟"

وعندما يؤخذ حاجز استخدام الإرهاب لأسلحة الدمار الشامل مأخذ الجد، سيزداد الاهتمام بتدابير الدفاع الوقائية - وكبرها الوضوح وهو تشتيت جمع المعلومات عن طريق المخابرات، وعدم إشعال تلك، بحدوث فشل محتمل داخل الولايات المتحدة يمكن أن تكون مجالات مختلفة لموقاد الإرهابيين (مثل مؤيدي المتاصمين الفلسطينيين، أو من محطون على إنشاء سيلشيات مطرية، أو المعرفين الذين لهم ارتباطات بإيران والعراق وليبيا). سوف تكون الخلافات حول الحدود الدستورية لإنتهاك الخصوصية، أو حول الحاجة إلى الأمن والطمأنينة، وسادار الحجة بشأن الدمار الشامل قريب احتمال لا اكثار أن يكون من السهل تسوية هذه الخلافات. وهو لم تمرر حتى الآن لأن انقاذ القانون في الولايات المتحدة كان حسن الحظ بقدر غير مبهظ في القدس على الإرهابيين.

فالمجموعة التي اعتقلت في عام ١٩٩٣ لتخطيطها لتفجير قنبلة في نفق لسكوس تصادف أن كانت مصمم في عجوبيها أحد الخبراء في عام ١٩٩٥ والذي القبض على "نيودلي ماكي." لأنه كان يقود سيارته دون ترخيص. وعلى الرغم من الخشونة الإضرار بالحريات "حديثة" سمح النوسع الحكومي في تطبيق المحدث والتنقيب، من مكورا هذه نمكن من بحدث أنا لم يسوافر هذا الحظ أحسن مرة واحدة واصبح من المتعذر معرفة مرتكبي الجرائم والمعتزمين أن جماعة إرهابية سرية متطرفة شدت هجوما بالوسائل البيولوجية ترتب عليه قتل مائة الف شخص. وأعلنت انها ستكرر هذا الهجوم مرة أخرى إذا لم يتم الاستجابة لطالبها (قد لا تكون استطاعت هذا السيناريو كبيرة. ولكن لم يعد في الوسع القول بأنه لا يتجاوز حدود حكايات الخيال العلمي) ومن الصعب أن نستعد في تلك الحالة أن يلجأ النظام القانوني الذي يسوده العزم إلى اتباع خطى الماضي ومعاملة الإمريكيين الذين كعب كما عامل الأمريكيين اليابانيين الذين سيقوا بعد هجوم مارس إلى معسكرات الاعتقال. وربما يكون توسيع نطاق المراقبة الداخلية لتحد من احتمالات موجبة هذه الخيارات هو أهون الشرين.

لبيت هنك من البرامج الرامية إلى الحد من قدرات الإعداء برنامج يستطيع أن يلغي أحدا عالي المخاطر. ومن ثلك المخاطر انه يمكن في ظل سيوية السياسات في عالم ما بعد تجوب الباردة، ان تتعظر الولايات المتحدة في رغبة غير متوقعة مع روسيا أو الصين. وليست هناك قو عدد مشتركة تحول دون تصاعد مرتفع بشأن بوتينطيق، أو بايوان. تشبه بالوقوعات الدين كدمة في المنافسة بين اسولتين الحظيمين منذ أزمنة. للصواريخ الكوبية، وبالمثل، فإن الحرب بين الجماعات الفاشية التي تلقى بالفوج على الولايات المتحدة من مسافة بعيدة تكاد تكون غير قابلة للتصور. بالنسبة لأسلحة الدمار الشامل تتعارض مع المضاط الاستراتيجي الأساسي وتوجه السياسة الخارجية الأمريكية إلى القيام بدور دولي خلال نصف قرن. ماضيا وذلك أن أفضل وسيلة لمنع الشعوب من الاعتقاد من الولايات المتحدة مستولة عن مشاكل ذلك الشعوب هي تجنب المشاركة في شئون مزاعتهم.

وهند اتخاذ سجموع وبيرل هارير، كان هناك تواطؤ في الرأي على أنه إذا لم يدفع الامريكيون ضريبة دماءهم في الأمم ويواجهوا المتاعب الخارجية في مراحلها المبكرة أكثر ثلك المتاعب سيتبعي اليهم ذات صحوة، وكان لابن الولايات المتحدة في الآن الدولة العظمى الوحيدة، ولأن استخدام الدمار الشامل اصبحت متاحة بدرجة أكبر، فإن في الولايات المتحدة. وكان من رأي الكثيرين أن عدد الأشخاص الذين يمكن إقناعهم، سيكون أقل بكثير من عدد الذين يمكن سيكوبون في عداد المقلودين غير أنه في الأوساس ترى جميع الدفاع المدني في سياق عمليات هجوم محدود، ربما تكون باسلحة قليلة وذات قوة منخفضة وحمال العديد من الذابير المسبقة التي يمكن أن مريد القوية من الأسلحة البيولوجية أو النووية أو الكيميائية، أو القذائف على أضرارها. ومن أمثلة ذلك تخزين أو توزيع الأقنعة الواقية وتوفير المعدات والتدريب على إزالة التلوث. والدراسع واسعة النطاق للتطعيم والعلاج السريع بالمضادات الحيوية. وتوسيع والتخطيط لتدابير الحصول في حالة الطوارئ. وتوعية الجمهور وبشأن سرعة التوجه إلى المخابيء. والتحرك السريع للحد من التعرض القذري للأنظار.

وهذه البرامج ان تجعل في الوسع استبعاف الهجوم باسلحة الدمار الشامل، إذا ان عدد كفاية الذابير ليس مبررا لعدم اتخاذ الإجراءات التي يمكن أن تقلل من الوفيات والإصابات. حتى إذا كان الدفاع في أضعاف ضئيلا وستكون هناك فجوة كبيرة تدابير الدفاع المدني، خاصة إذا نظرنا في الاعتبار تنوعا رخيصة للغاية بالمقارنة بالبرامج العسكرية الفعالة أو لتقطة الدفاع بالصواريخ.

إن إحدى المشاكل هي مشكلة القصور الذاتي الفكري. إن أجهزة الدفاع جعلت رجال الاستراتيجية مخابرين على التفكير في عدو لديه آلاف من أسلحة الدمار الشامل وليس في أعداد لديهم عدد ضئيل منها. وعلى أعداد عدة عقود، اثارت مسألة الدفاع الإستراتيجي اهتماما حيارا، ومن لا يرون بدلا عن الاعتماد على الردع، ومن يأملون في إقامة غطاء كوقيي فوق الولايات المتحدة، فأمر على أن يحل محل الردع وليس بين هذه الأفكار المختلفة أعلاه ما يتصدى لأخطار أقرب لأسلحة الدمار الشامل في عالم ما بعد الحرب الباردة الثانية.

والمخاوف في برامج الدفاع المدني في فقرة

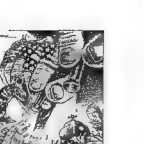

الخطر الرئيسي من أسلحة الدمار الشامل الروسية هو التسرب من مخزوناتها الهائلة إلى الجماعات المعادية لأمريكا في مناطق أخرى

هل تعتبر هذه دعوة إلى العزلة؟ كلا. فقد فات الأوان لتهتك البسط في الدول الخارجية عن طريق التراجع، حتى لو كان ذلك مقبولا - فالجماعات والحكومات التي تشعر بالاغتراب لن تكف عن إلقاء اللوم في مشاكلها على وأشنطن. بالإضافة إلى أن للسياسة الخارجية أهدافا تتجاوز تهتك الحواجز الرامية إلى الإضرار بالولايات المتحدة. وليس من المنطقي أن تقوض عن السعي لتحقيق أهداف أخرى من أجل تقليل خطر غير مؤكد يتعلق بأحضان غير مؤكد. فالأمن ليس شيئا واحدا، والبقاء على قيد الحياة ليس إلا جزءا من الأمن.

لكنه لم يعد من الحكمة افتراض أن المصالح الأمنية المهمة يكمل بعضها بعضا كما كانت الحال في وقت الحرب الباردة. والمصلحة الجوهرية - وهي حماية الوطن الأمريكي من الهجوم - كثيرا ما تتعارض الآن مع النظرة الأكثر اتساعا إلى الأمن ومع الاهتمامات التي تشجع على تعزيز القيم السياسية الأمريكية، والاعتماد الاقتصادي المتبادل، وعرض القيم الاجتماعية الغربية. وضمان الاستقرار في مناطق تتجاوز أوروبا الغربية والأمريكتين

ولا ينطبق لموازنات المتحدة أن تتخلى عن كل مصالحها السياسية الأرجب، ولكن عليها أن تتحرك بحذر في بعض المناطق - وفي مقدمتها الشرق الأوسط - حيث تتصادم المصالح الأرجب مع المطلب الجوهري. وهو منع الدمار الشامل داخل الحدود الأمريكية ■

Foreign Affairs, Vol. 77 No. 1
ترجمة أسعد حليم

التدخل الأمريكي في مناطق المنازعات لم يعد وسيلة لإيجاد نقاط المخاطر بقدر ما هو وسيلة لتحريكها.

قبل سيؤدي تدخل الولايات المتحدة في الأوضاع غير المستقرة المحيطة بالاتحاد السوفيتي السابق إلى تجنب المزاج مع موسكو أم يكون دافعا إليه؟ وهل سيؤدي توسيع حلف الأطلنطي وانتقاله إلى أبواب روسيا إلى رفع الضغط الروسي على أوكرانيا ودول البلطيق أم سيكون باعثا عليه؟

في حالة روسيا والصين، الاحتمال قليل لأن تشرع إحداهما في غزو أوروبا أو آسيا، ولكن يحتمل أن تعملا على عودة مجالات السيادة ومناطق الأمن القديمة عن طريق إعادة ضم تايوان أو الدول الجديدة التي خرجت من الاتحاد السوفيتي السابق. وليس معنى ذلك أن توسيع حلف الأطلنطي أو تأييد استقلال تايوان سيؤدي إلى نشوب حرب نووية، وإنما يعني أنه مهما تفعل السياسة الأمريكية لن يكون مجديا ما دامت هناك حوافز لهذين البلدين للاعتماد على أنظمة الدمار الشامل بسبب الاحتكاك السياسي بينهما وبين واشنطن.

والخطر الأساسي الثاني هو سخط الدول أو الجماعات الدينية والثقافية الأصغر حجما التي ترى أن الولايات المتحدة هي قوة الشر التي تقف في طريق تطلعاتها المشروعة.

ولم يكن وارداً أن يعمد المتطرفون في الشرق الأوسط إلى رسم خطط مثل تدمير مركز التجارة العالمي لولا أنه استقر في الأذهان منذ أمد طويل أن الولايات المتحدة هي السند الأول لإسرائيل وقناصة إيران ولمانظمة العربية المحافظة. ولعها مصدر الهجوم الثقافي على الإسلام. وقد أدى الانتصار في الحرب الباردة إلى تضخيم المشكلة، وأصبح ارتباط الهيمنة العسكرية والثقافية للولايات المتحدة - وهما الخطران الأساسيان اللذان يواجهان المتطرفين الذين يريدون تغيير الأوضاع القائمة - ارتباطا مباشرا بما ينسب إلى الولايات المتحدة من المسئولية عن الإبقاء على النظام العالمي. ولما كانت الولايات المتحدة تلعب دور الشرطي الدولي فإن ذلك يزيد من رقبة القذات الساخطة في توجيه ضربة مضادة إليها.

هل تعتبر هذه دعوة إلى العزلة؟ كلا. فقد فات الأوان لتهتك البسط في الدول الخارجية عن طريق التراجع، حتى لو كان ذلك مقبولا - فالجماعات والحكومات التي تشعر بالاغتراب لن تكف عن إلقاء اللوم في مشاكلها على وأشنطن. بالإضافة إلى أن للسياسة الخارجية أهدافا تتجاوز تهتك الحواجز الرامية إلى الإضرار بالولايات المتحدة. وليس من المنطقي أن تقوض عن السعي لتحقيق أهداف أخرى من أجل تقليل خطر غير مؤكد يتعلق بأحضان غير مؤكد. فالأمن ليس شيئا واحدا، والبقاء على قيد الحياة ليس إلا جزءا من الأمن.

لكنه لم يعد من الحكمة افتراض أن المصالح الأمنية المهمة يكمل بعضها بعضا كما كانت الحال في وقت الحرب الباردة. والمصلحة الجوهرية - وهي حماية الوطن الأمريكي من الهجوم - كثيرا ما تتعارض الآن مع النظرة الأكثر اتساعا إلى الأمن ومع الاهتمامات التي تشجع على تعزيز القيم السياسية الأمريكية، والاعتماد الاقتصادي المتبادل، وعرض القيم الاجتماعية الغربية. وضمان الاستقرار في مناطق تتجاوز أوروبا الغربية والأمريكتين

ولا ينطبق لموازنات المتحدة أن تتخلى عن كل مصالحها السياسية الأرجب، ولكن عليها أن تتحرك بحذر في بعض المناطق - وفي مقدمتها الشرق الأوسط - حيث تتصادم المصالح الأرجب مع المطلب الجوهري. وهو منع الدمار الشامل داخل الحدود الأمريكية ■

Foreign Affairs, Vol. 77 No. 1
ترجمة أسعد حليم

كتاب الزاوية

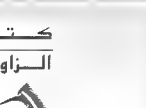

من شعر إبراهيم ناجي

شكوك

يا رامي الهم بدري أين موضعه
مني ويعلم ما داويت من ألم
رميتَ في ساحة موموسة بدم
منفوثة بنذوب الحب والندم
لا يخدعنّك منها وهي صامتة
صمت القبور فراغ الموت والعدم
فكم شفاء جراحات إذا انطبقت
جرح الإباء عليها غير ملتئم
فيم انتقامك من قلب عصفتَ به
لم يبق من موضع فيه لمنتقم
وفيم لدعة سحط من جوى برم
ترمي بجمرته في جوف مضطرم!

أمنية

أفنت

أنتِ إن تؤمني بحبي كفاني
لا غرامي ولا جمالك فاني
أجدب الهجرُ خاطري وخيالي
وأجف الشوى دمي ولساني
فتعالي روّي الظما في عيوني
واجتوني لقطرة من حنان
طال والله في تنائيك ذلي
ووقوفي على ديار الهوان
أي روح أحسه أي سر
في جناحيك كلما ظللاني
أي روح أحسه أي سحر
سكبت في هاته العينان
لكأن الرميم ما تبعثن
وكأن النشور ما تكيان
وكأني محلق في سماء
ومطل منها على الأكوان
مستمرئ بما منحت قوى
أجمع الكون كله في عناق

موسوعة لا غنى عنها للمتخصصين وغير المتخصصين ولصانع القرار العربى مهما كانت اتجاهاته السياسية وللعاملين فى مجالى السياسة والإعلام

موسوعة
اليهود واليهودية والصهيونية

نموذج تفسيرى جديد

تأليف وإشراف : عبد الوهاب محمد المسيرى

بعد أن انفق مؤلفها أكثر من ٢٥ عاماً فى تحريرها ومعه أكثر من ١٠٠ باحث ومؤلف.

يسر دار الشروق أن تقدم لقراء العربية هذه الموسوعة الأولى من نوعها والشاملة لتاريخ اليهود واليهودية والصهيونية

تقع الموسوعة فى ثمانية مجلدات من الحجم الكبير وتضم ٢٣٠٠ مدخل تتناول أبوابها :

- كل جوانب تاريخ العبرانيين.
- تواريخ الجماعات اليهودية بامتداد بلدان العالم وسماتها الأساسية، وهياكلها التنظيمية. وعلاقتها بالصهيونية وإسرائيل.
- أشهر اعلام اليهود وغير اليهود الذين ارتبطوا بتواريخ الجماعات اليهودية.
- تاريخ اليهودية وفرقها، وكتبها الدينية، وطقوسها وشعائرها.
- الحركة الصهيونية ونشأتها. ومدارسها وأعلامها وهياكلها التنظيمية.
- الدولة الصهيونية وسماتها الخاصة، وأعلامها، ومؤسساتها وأزماتها.

تطلب من

دار الشروق

٨ شارع سيبويه المصرى خلف رابعة العدوية مدينة نصر ت ٤٠٢٣٣٩٠
ومكتبة الشروق ١ ميدان طلعت حرب ت ٣٩١٢٤٨٠

■ في ١٧ من يوليو عام ١٩٩٨ نلم روجيه حارودي الخامسة والثمانين، وفي هذه المناسبة أصدر حارودي كتابه السابع والخمسين وعنوانه «أمريكا طليقة: لانحطاط كعب نخبة للثرى والعسكرية، ثقافة موسوعية ورؤية ثاقبة، تعكس حداً عميقة عربضة، طبيلة بالفكر والمعاصف، والعمل والمعارف، جعلت من روجيه حارودي يحق شاهداً على عصره، بل وشاهداً على القرن العشرين.

فقد ولد روجيه حارودي قبل عام من الحرب العالمية الأولى في مارسيليا عام ١٩١٣ وكان نهوه المحاسب قد أصيب في الحرب الأولى وعاد معوقاً واستحق روجيه الصغير مجانية التعليم لهذا السبب، رغم استحقاقه لها لنبوغه المدرسي المبكر. وقد حارب حارودي بدوره في الحرب العالمية الثانية وهو في صفوف المقاومين ولكنه فلل من الجبهة الأوروبية إلى شمال أفريقيا لإرثه «السياسيه واعتقل ٣٢ شهراً، ولم يفرج عنه إلا بعد نزول القوات الأمريكية في شمال أفريقيا. وعمل حارودي في الصحافة بعد الحرب لفترة، صحيفة «ليبيراسيون» لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي، ثم «لاهومانيتيه» الناطقة باسم الحزب الاشتراكي، ومجلة «الأزمنة الحديثة» لجان بول سارتر، وكان مراسلاً لصحيفة «كومبا» في الجزائر، ومديراً لها في باريس، ولكن السلطات الفرنسية أبعدته عن الجزائر، بعد «تتاجه غاضب من رويرت مورفي ممثل امريكا في الجزائر حينذاك، لأن حارودي هاجم في مجلته «ليبريتيه» امريكا لتواطئها في فتح أحضية النازية في أوروبا، وانتقل من الجزائر إلى تونس

وقد روى لنا حارودي مرتين: احراقها من هيئته أيام الحماية، والأولى في رواية من تأليفه، اختار لها بالفعل عنوان «تلمي»، أحد أبطال الأساطير الإغريقية. ثم عاد إلى احتراقاته مباشرة في مقاله كتاب سياسي أصدره عام ١٩٦٨، وذلك العام شهد في باريس أحداث الطلاب وإضراب العمال وسقط المثقفون واستقالة ديجول. وفي السوفييت لمراع وتصاعد أزمته مع قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي، وقد انتهت إلى فصله في أبرابر عام ١٩٧٠

روجيه حارودي
شاهد القرن العشرين*

كـامـل زهـيـري

لقصي عام تلك أسيره «لميلة» ملاحدات والمسيرة العنيفة بالعواطف توقفت أولا - وكثير - عند لحظة أبية «لاحة عند اعتقاله في صفوف الشباب. خلال الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١، وكان حارودي قد انضم إلى «المنظمة الخرش وكانت الحركة الشيوعية عليها في المنطق مشددة. بعد تجربته الرشاشات والاعتقال الشائكة في دلك البوم، وبالرغم من أوامر قومدان المعسكر، وهو فرنسي، محمدا مظاهرة، داخل المعسكر احتفالا - على شرف «عالما من قدامى المتمرضين في الفرقة الدولية الأسبوعية (معسد فرانكو) وأثار عصبيات حفيظة قعد المعسكر هاشتل غصبا وأمر بأسلاء سياسم وطلاق أعلى عليا عالم بعد لأي جيلها فورا وأدرنا ثلاثا وقضينا عصبيا في الحبس انفرادي المعودان أسبوعا في الجوع حتى طي الرفاق بطلاق الرفيق وكانوا حوا من حديرى الحراش وتحت الجنود أن يضطوا على أثرا وحددهم القومدان الخاص سكرباتيه، ولكنهم صروا على رفض و مرات.

ويقول حارودي عن تلك اللحظة التي لم يترتعبا - وما أحسني عليا إلى الآن لا يطفل هؤلاء الضاريين للسلمين. - فقد ارتسم لنا العدم بسبب وجسيم إقامة آراضر القومسان، نقوله ليس من شرف الحراب ولا يطل الرجل المسلح تارة على تعزل.

وأتحدث إلى تجربة تعرض حارودي لموت وهو في المقاومة والعشرين هزت أعماقه هزة وهي كتاه نشبه تجربة الروائي الروسي فيودور بوستويفيسكي عندما عبر عليه حكم بالإعدام. ولبل التنفيذ بدقائق. وصل قرار بالعفو من القيصر

وقد شكك رؤية المؤرخ المحقق للإنسان سراء الحياة في لحظة

فلقد روى روجيه جارودي هذه التجربة العميقة التي هزته، في مقدمة كتابه «حوار الحضارات». قائلا

«وبعد من هذه الشجرة، حدث منذ اعتلاق سراحي في الجزائر، ثم في تونس الدرس الإسلام ثم نشرت عام ١٩٤٥ في الجزائر رسالة أولى، كان عنوانها «السهام الحديدية المائية». تصريحي عن الحضارة العالمية. مصدومت ليبرتيه.

وقد تعذرت تجربة الشعرض للموت ثم الصحاة تجربة أخرى هي أحداث آخر كل له أعضاء مقرى عند جارودي. حين انتقل من الجزائر إلى تونس. وهناك قدم معيد الزيتونة فضل بن عاشور لجمهور غفير، وكان يلزم محاضرته من الفرنسية إلى العربية وانتهت محاضرته عند الحضارة العربية بطرد وإبعاده عن تونس. بأمر «ساست» المقيم العام الفرنسي الذي اتهمه بالدعاية للحاضية لفرنسا.

وكان جارودي قد استند في محاضرته عن «فضل الحضارة العربية» الى حوار وضعه الروائي الفرنسي أناتول فرانس في كتابه «الحياة المزهرة». ويقول أناتول فرانس في حوار خيالي في ذلك الكتاب:

«سأل السيد دوبواء مدام فوربير عن أشام يوم في تاريخ فرنسا. وكانت لا تعرف. فقال لها دوبوا: انه يوم معركة «بواتييه» فقد تراجع العلم والفن والحضارة العربية عام ٧٣٢، أمام الهمجية الفرنجية.

وعقب تلك المحاضرة، أصدر المقيم العام الفرنسي قرار الإبعاد. فقد كان معنوعا في عهد الحماية الفرنسية على تونس نشر الحضارة العربية أو دورها في تاريخ الحضارات الإنسانية.

ولقد ظلت مفاجأة المحقق في الجزائر وحادث الإبعاد عن تونس، وقصة عذاب بواتييه، لانتهاز روجيه جارودي.

فكيف له - كما يقول بعد ذلك في عدة كتب - وقد نال أعلى الدرجات الجامعية وهي الأجرجاسيون في الفلسفة، ولم يحدثه أحد عن حضارة «أخرى» استمرت في التاريخ. وكان لهما فضل نقل الفكر الإغريقي إلى أوروبا عن طريق إسبانيا ومصقية؟

ولماذا تُدرس الفلسفة في عبري وافرق الجامعات الأوروبية بينما القرب يتركز على ذاته، ويفترض ثم يفرض ان ما خلا الحضارة الأوروبية لا شيء، والحضارة الأوروبية كل شيء. بل هي حضارة الإنسانية كلها؟

وسوف ننشد مرارا عند جارودي بعد ذلك في عديد من كتبه: ذلك الوقوف والمقارنة بين معركة بواتييه في قرب أوروبا وهزيمة مارانون بن الأرمنوز والفرس قبل الميلاد. مع الفارق الكبير في المكان والزمان.

وقد نشر روجيه جارودي حتى الآن عشرة كتب عن «حوار الحضارات» لإيمانه بأن الحضارات الأخرى غير الأوروبية، فيها من الكنوز الفكرية والقيم الدينية والاكتشافات العلمية والآثار الفنية، ما يحتاج إلى الدرس والفهم والحوار. وليس الدرس متحليا من أجل المتاحف، أو من فضول الاستشراق والبحث عن الغرائب والطرائف، أو لجرد الهوى ببحث تاريخي موسوعي ينتقصي الأسرار والدقائق كما تفعل الموسوعات ولكنه بحث غايته - كما يجب أن تكون غاية البحث - ان يكتشف الإنسان في كل حضارة إنسانية عبر التاريخ إنسانية الحضارة أي المحث عن «الروح» وه الغايات.

ولين كتبه الستة التي تعرض فيها للثقافات والحضارات، كانت الباكورة عن الحضارة العربية الإسلامية عام ١٩٤٦، ثم كتابه عن «الصين» عام ١٩٧٠، ثم «حوار الحضارات» عام ١٩٧٧، ولكي يصبح الإنسان إنسانا، ودعوة الإسلام» عام ١٩٧٨، ثم «الإسلام يطل في المستقبل» عام ١٩٧٩، و«المسجد قرطبة» الإسلام» ١٩٨٠

وجارودي يتحدث عما أسماه «الفرص الضائعة» أمام الغرب «فلقد أفترى الاصطدام الإنجليزي والإسبيشي والفرنسي، فيما قام به في أرض الإسلام خلال القرن من قرون، الفناء منهجيا لإساءة مسلمة إسهام الحضارة العربية».

ويقول في «حوار الحضارات من ٩٠»

إن ما يطلقون عليه اسم «قرو إسبانيا» لم يكن عبرا عسكريه فلقد كان عند سكان إسبانيا في ذلك الحين رفاه منشورة ملايين نسمة ولم يزد عند الفرنسان العرب في الأرض الإسبانية على سبعين ألفا وإنما لعب التفوق الحضاري دورا حاسما.

وعندما رحل لواعب الفرنسي جوبير للدراسة في جامعة قرطبة، عاد منها وقد تلبع اسم الملعم عليه

إنما تدين المغرب الحربي بكليات الطب العربية الأساسية، وقد كتب مو عليها في طليطلة، وكانت الكتب العربية حول كتب الزراعي الشهير تشوبر وتدرس حتى القرن السادس عشر في مرسيه، وحتى منتصف القرن الثامن عشر في إيطلر

وقد عرفوا العرب فاكتشفوا بعيم به «الشرف عن الجماع العربي عاش حوالي سنة ١١٠٠، توصل إلى حل معادلات الدرجة الثالثة، باستخدام نفس الطريقة التي سيستخدمها «ديكارت» بعد خمسة قرون وبذلك وضع أسس الهندسة التحليلية» وظل كتاب الجبر الكبير الذي الف عصر الخيام ترجم إلى الغربية مرجعا معتمدا حتى عام ١٨٥٧.

وجارودي يتوقف في كتبه مرات عديدة عند دور ابن خلدون والبراني وابن سينا؛ وابن الهيثم وابن النفيس وأحمد بن ماجد والإدريسي وغيرهم. ويقول، في «حوار الحضارات»

بيبعد كمال القرب لا يعرف في علم التاريخ عبر التاريخ، وتسجيل الأعمال جمع لبن خلدون بين علم الاجتماع الشخصية لرجل السياسة والناس النظري، متعدد بين تأثير العالم والمحارب والمفكر والمؤرخ والمراقب الاقتصادي في حياة الشعوب وتدبر ابن خلدون بالمنهج العلمي في التاريخ، وسبق «الكوجيتو» وميكيافيللي. ثم تعبير بروحه التي تبعث روح الظواهر عن الأسبب.

ويقول في سر جود الإسلام

إن الإسلام الحي هو مركز مدّ القرن الثامن. بينما كانت الكنيسة «السيميه قد جمّدت مذهبَ العلم. ففي مجمع لحران عام ١٢١٥ قرر البابا أن ليست الثالث» أن يحرّم على كل طبيب علاج أي مريض مالم يعترف أولا. الى قرب في الأصل هو نتيجة ارتكاب الحطيئة.

ولذلك لم تكن كلية الطب في جامعة

باريس بمثل أي مرفأ في الشاطئ الشرقي للمحيط الأطلسي، علوه من العصور القديمة حتى عام ١٩٢٥ مثل كتاب الرائع (١٩٢٥ ـ ٢٩). الذي نال المعجل الفضي العظمة خلال مسابقة فرنسي، وطبعت منه ارنيون طبعة مكتبة صغيرة عدد نسخها ١٤٩٨ و١٨١٦ وظل ذلك مرجعا معروفا لكل عام حتى تكلوه برمان . وقد ترجم مراجع وكتاب الرائع إلى ثلاثينية عام ١٧٧٩

وطوبيا: في حوار الحضارات :

« وعندما كانت يوبيا صيرا قادرة على مستقبل الفنون الناسخ على معرفة القراءة افتتح الخديفة المأمون في بغداد بمساعدة حيش من الكتاب والترجم مكتبة صغيرة هي دار الحكمة»، وكان يحفه فيها جميع كتاب الحضارات القديمة وكان الحاكم «أحد الخلفاء الأمويين ، مكتبة في قرطبة تحتوي على أكثر من مليون مجلد، منها مجموعة ثمينة من كتاب الحاكم ملك فرنسا المثقف بالحكيم» والتحكيم يصنع العالم» إلا أنه كتاب معارضة قرون

بيد أن العرب لم يقتصروا على إحياء الثقافة القديمة ، وإنما أسسوا إسهام إبداع ضخم في الثقافة العالمية

من كتاب اكتشاف تراثه الكبرى أنهم ترجمة مطبعة مصحوبة «أفضل» دقة علم سمعوا وهم يقومون بعمل ضروري تحاربه أية نصوبة التقنيات والعلوم التي تقدمت قدره كبرى إلى الأمام بتأثيرهم وحلهم حوب البحر واجتياز الصحاري على أن يهتدوا معرفة المجاهيل الفلكية ، وقد بدأ أحد الرواد الأولى في العلم في مدينة بغداد، ومنطق وبحداد، والقاهرة وقرطبة» وفي القرن الثاني عشر تتطلع عرائط الإدريسي من أن الأرض كروية

وقد ازدهرت زراعة مأكرو وتوالى الغرب والشاب أن مؤلفا عربيا تحدث سنة ٨٣٦. أي قبل ماركو بولو ـ ٤٣٠ سنة عن رحلة إلى الصين وصل خلالها إلى سور ـ وون كانتون بل بلغ فيها ساحل بابر إلى كوريا والهابان

وقد وضع مسلم ـ أحمد بن ماجد ـ كتابا عن اللاحة البحرية في المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر الصين»

ويتحدث جاروري أيضا عن ابن سينا المولود في بخارى عام ٩٨٠. وكتابه في الطب الذي ترجمه جيرارد كريمون إلى اللاتينية، وقد ظل ذلك الكتاب حتى عصر النهضة هو موسوعة الطب، لعصاه فكره في تصنيف الأعراض والدراسة المنهجية»

وكذلك الطبي المهندس عالم البصريات، ابن الهيثم، المولود في البصرة عام ٩٦٥، والمتوفي في مصر عام ١٠٣٨، ثم يترده روجر بيكون الذي تعلم في الحامعات الإسلامية في إسبانيا في ظل الجزء الخاص من مؤلفه في رئيسة « رياضة في المنهج التجريبي والعلم الطبيعي»

ويقول جاروري في كتابه «الإسلام يقطن في مدينة طليطلة» (الطبيعة الثروة بالصين» ص ٨٧

«هذه أول الحضارة المركزية الأوروبية. ولابد من ضديدها، فظل ترأس الحضارة العربية الإسلامية حلال عام من أساسي ومتصل وكن ذلك من إسبانيا وصقلية»

وتتذكر الحضارة العربية الإسلامية تحقق بترجمات اللاتينية للأعمال الإبداعية الإسلامية الأصيلة في طليطلة، وقام بترجمتها الإسقف رومون (١١٢٦ ـ ١١٥١) بدعوة من الفونس السادس، كما قام بها ملك صقلية الذي ترجم في عهده كتاب الحيوان لابن سينا، وتعليقات ابن رشد على أرسطو ليصل بها إلى جامعات الغرب.

فعلت هذه الأعمال الحضارة من إسبانيا ومصقلية تحولا، ولذلك مرفقين إن يعتبر أوروبا مركز كل المدارج. فقدان إن التطور الإنساني كل ويرفض أن يعتبر الفترة من القرن السابع إلى القرن الرابع عشر كانت مجرد «ثقب» تفتح أعينه ما كانت تروه. لأن المهمشة الأوروبية لم ترث مباشرة مضامنة الحضارة الإغريقية، والسيحدة ليست امتدادا للحقيقة الهيلينية. ولم تكن سان توماس حقيقة أرسطو. وطبيعة لم وطور العلوم في القرن ١٧ التي توقفت بعد موت فرنسيدس في القرن الثالث قبل الميلاد

وتذكر أن عام ١٩٦٦ جن إثر القاهرة الترجمة كريول رئيس تحرير «الإسلاميه» حريدة الحرب الشيوعي الفرنسي، الحدد الأسبوعي، مع أمين فطرة رئيس تحرير الحد اليومي، وكان الثلاثة في دار الهلال في مكتب أحمد بهاء الدين. على قلت لقارئ.

ن القراء في مصر والساء العربية

يبادر ـ سعيد ـ مايكو ـ روجيه جارودي وقد سحب أن السماء لم تشر على وجه قيمة فيلسوف مسلمان إن روجيه جارودي من الدين كتبوا عن فصل الحضارة العربية. وقد في كشف لي ابن

طفاوي في عام ١٩٩٠

لكن يكتفي إن يمكثر ويرمقني بنظرة استفزاز قلت له: إن من حقي أن أعرف قيمة عملك ولما وأنكر أن يمكن أن يكون هكذا الكبير الدكتور هنري كربان من باريس هي من طفون وأنكر أيضا أن جورج دافي عميد كلية الآداب بجامعة السوربون عام ١٩٥٠ كانت رسالته عن ابن خلدون

يصا

فقال لجون:

ـ وما كتاب جاروري هذا؟

قلت

قال الدكتور كربان:

إن جاروري مفكر كبير بلا شك. ولكن زملاءه يعيبون عليه في الفترة المركزة هذه الاهتمامات التي تأخذ عليه كل قلبه وعقله ووقته.

وبقيت صامتا أنتظر

فقال الدكتور كربان:

إن زملاءه ـ (وضعط كربل على كلمة زملاء) ـ إن زملاءه يعيبون عليه أنه اصبح هذا الإداء بينهم بذخورات الكيمياء اهتماما لا مفهوم له، منذ ذلك الحين.

وقال جاروري على أعضاء اللجنة المركزية ذات يوم، وهو يلهث، ويتصبب عرقا من الفرح:

وقال لهم:

ـ عندي ذبا خطير سوف يهز عالم الفكر وحياة المفكرين!

فأفقت فيه زملاؤه الأعضاء وتربصت به الأنظار انتظارا أو استنكارا.

وقال جاروري:

ـ لقد تعلن الفاتيكان اليوم قرار الغفو عن العالم «الحالية

(وهو الذي أصدرت الكنيسة حرمانه عام ١٦٣٣ بسبب اكتشافاته العلمية التي أثبتت فكرة كوبير نيقوس حول دوران الأرض).

وقد صفقت الحاضرون وقالت لحد الأعضاء في لجنة مناقرة ما معناه:

« ما هو بدري»

وحتى أنهم كتاب موسوعي واسنادا فلسفة وقارئ محترف. لأنه قراكل أعمال ماركس كما وقارئ في عاصي، بقضية على كروتي، وعاش عاما في الاتحاد السوفيتي مدة لأقاومنه، وتحول في لبنا الوسطى وارمينيا وأوذرائيا ودول البلطيق

وحصل على الدكتوراه من باريس في ٢٥ من يونيو عام ١٩٥٣ عن النظرية المادية في المعرفة». وكان أول مرتسي ليحصل ـ «في يونيو ١٩٥٤» ـ من معهد الفلسفة في «كاتدرسه العلوم على درجة الدكتوراه عن الحرية».

وطوال عمل العالم عدة مرات. كان عام ١٩٤٨ في ١٤ دولة في امريكا اللاتينية، من المكسيك إلى بيرو. ومن المرتزيل إلى كوبا. وكان بصحبة الشاعر بول إيلوار. وصديق الشاعر بابلو نيرودا، والرسام سيكو ريفيرا.

وهو كاتب موسوعي الطراز. ففي عام ١٩٤٦. وهو ذهب من مدينة تارن بالقرب من مرسيليه، صطفاه رامسه. كان يطفه إضراب عمال الزجاج، ولكنه يضع مشروع موسوعة المعرفة الفرنسية بمقدمة مرور مائتي عام على موسوعة ديدرو. ويدعو للمشاركة فيها أراجون وإيلوار وبيكاسو وجوليو كوري ولوي وجوفيه وكوبرنيكوبيه وهنري ماتيس.

وقد أمضى عامين ـ وهو في بداية التحليه الشاملة ـ يجوب فارته الانتخابية على دراجته الصحراوية، ينتقل بين عمال المناجم والفلاحين، وليصبح مدرسا للفلسفة. وتلميذ، في نفس الموقع ـ في الصرميين والبيرانان الذي أحدثه وكان جوريس أقبل حرب عام ١٩١٤. وكليرا ما كان يذكر هذا الشعار الذي كتبه حرويس الذي فقد ليطبا بالتاريخ القديم والحديث قائلا:

«لقد كان الشعب في الماضي عن الحدود المقدة. ولا تتفكي من الماضي بالرماد»

وهكذا قال جاروري حمسا عقلا لاستعلاء وإنكار الآخر، وظل من عشاق الحوار، والتواضع الدنيوي المتحد من تجارب الآخرين.

ولقد ثوار دراجته الحزبية التي كان يركبها في شبابه ليدور حول العالم عدة مرات

وليقول جاروري في حوار الحضارات:

ـ إن تحريتي بالعدالة من الذي قادني إلى هذا اليقين. وأوجست على الإدلاء بشهادة على تجربة كوتنية تشعل الكرة الأرضية بأسرها شهادة صنعة بالثراء الإسلامي الذي حملته إلى طفلتا لا عربية وأناس من قسيد، ومن الأصقاع الإسلامية، ومن إفريقيا وأمن امريكا اللاتينية

أنها شهادة تتناول ما حدث معه. وما أضاف لي اكتشفته في كتابه «من الشهادات التي كل إنسان من هؤلاء الناس شهادة الطابع الإنساني

فقد سلطت ضوئي فدى العالم كلها من كليمنجارو إلى هيمالايا ومن سلاسل

أفراح الأنجال .. صورة للترف

شهد التاريخ المصرى القريب من مظاهر العظمة والفخفخة فى إقامة الحفلات فى الاعياد والامراح والمواسم، صوراً قلّما عرفت فى الشرق العربى فى عهود سارت بذكرها الركبان، وكانت اكثر تجلياتها وضوحا فى عهد الخديو إسماعيل، الذى شهدت سنوات حكمه عددا من الاحتفالات الأسطورية ليس فقط فى الاحتفالات التى اقيمت بمناسبة افتتاح قناة السويس، ولكن فى كثير من المناسبات الاخرى التى عكست أبهة الملك: فى الاعياد الدينية والقومية، وفى حفلات الزواج والعرس التى اقيمت لابناء الخديو وبناته.

وفى كتاب قديم طبع بدار الكتب المصرية عام ١٩٢٣ لواضعه إلياس أيوبى، وصف مفصل غير مسبوق للحفلات التى شهدتها مصر فى عهد الخديو إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩). استند كاتبه فيه إلى مصادر عديدة أجنبية وعربية وشهود عيان، ولكنها تقدم سجلا وافيا دقيقا لصورة هذا العصر والحياة الاجتماعية التى شغلت طبقة الحكام والاعيان والشيوخ وكبار الموظفين فيه.. وهذه مشاهد من الكتاب

«المحرر»

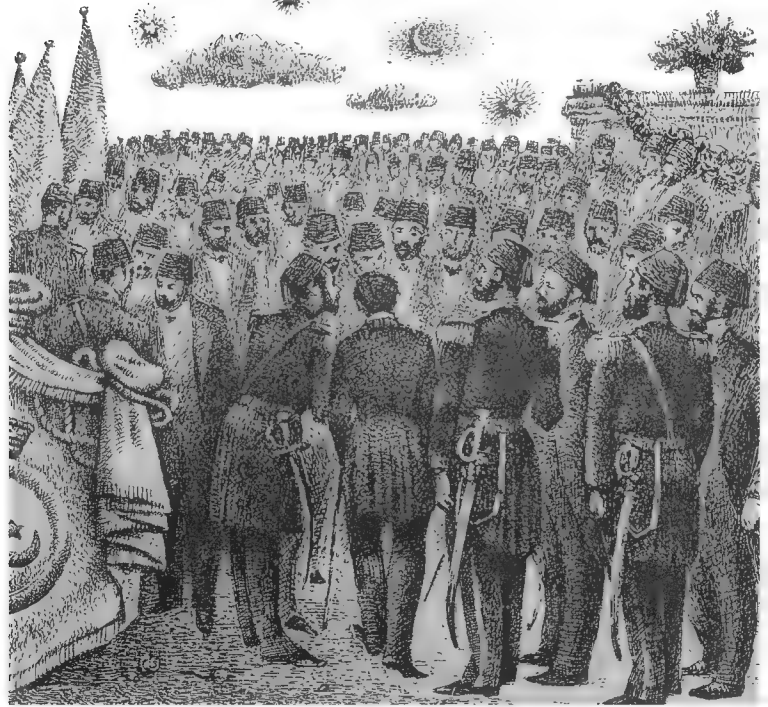

في عهد إسماعيل

رأت مصر على مرّ القرون من مظاهر العظمة ومجالبها، وأبهة الملك وجلاله، ولفخفخة الرسميات وحمالها، ما لا تحسد معه قطراً في الوجود على ما أحرزه من ذلك، ولكنه لم تتوال تحت قبة سمائها الصافية، وعلى ضفاف بيلها السعيد، سلسلة أعوام أخذت تصميها الأوهام من الجمال والمهابة، والمهجة والأبهة، والجمال والفخامة، والاقدار مثل أعوام ملك إسماعيل الستة عشر. فقد كانت حقا هي مخيلة التاريخ لم يتخلق إلا مرة واحدة في دائرة محسور؛ لا تكتمي عن جمال حفلات الفراعنة الأقدمين؛ ولا عن أبهة الاحتفال البطليموسي المهيب بالمجيء برفقات الإسكندر الأكبر من بابل إلى مقرّه الأبدي في الإسكندرية؛ لا تذكرني «الحياة التي لا يفتدى بها» التي قضاها أنطونيوس وكليوباترا، ما بين كانوب وهارو، فعلى ان بعمد السحر والأرض مهما لا تحدثني ناساه احمد بن طولون وحمارويه وموكبهما النسبي. وابتهاجات قراقر قطر الندى بالخليفة العباسي، الملك على ضفاف الدجلة في بعداد لا تحيرني بزهو الاعماد والرسميات في أداء الباطنيين التي لن تنسى ونحلال طلوس اوتعد العلماء الماحبين وخاصة مواكبهم في الأعياد والمواسم. لا تطنطن لي بقفقفة رجوع البندقداري وقلاوون وفرج والناصر وبرلوق والمؤيد وبرسباي وقايتباي إلى عاصمتهم المصرية، عقب انتصارانهم في الشرق وشقهم شوارعها مالفلة والطير ولا تذكرني دخول نوبارت الفاهره على رأس جيشه الظافر من تحت قبه باب انفتوح بين عزف الموسيقات، ودق الطبول، فإن هذا جميعه على ما فيه من بهاء وسطوع، وأخذ بمجامع القلوب، يمحف تماما أمام الأشعة المبهجة إلى صفحات الاسماعيليين عن عبقة الأيام وجلالها وأعيادها في عهد «اسماعيل».

وأما بعد ما نظم لنا «كره عن الأعياد التي أقيمت احتفالاً بقدوم السلطان عبد العزيز، والتور» بأجيت أمير الأسطول البريطاني في البحر الأبيض والإمبراطورة أوجيني

مصر في عهد الخديو إسماعيل من ١٨٦٣ إلى ١٨٧٩
إلياس أيوبي
القاهرة: دار الكتب المصرية ١٩٢٣

إمبراطوره الفرسانيوز، والإمبراطور فرمتز يوسف إمبراطور النمسا والمجر، والبرنس فردريك ولي عهد الدولة البروسية، وزمرة العواظل والأمراء الذين حضروا حفلات فتح «قناة السويس». وقد سطع فيها وحدها ما أبقعه سود برمها من آثار السابقه في اعياد ميلاد من النصف بعد نصف بعد سنة أما وصفه من مظاهر النصباغه التي بذلت في تلك الأعياد للأولاد من الوافدين، فيقال إن صانعي مصنوعاتهم، وأصنارت ساطعتها المدهشة وسيروماب القاهره ورحبها الممتد الحمله، والنصباغة التي كانت تبدو مسخاه لا يعرف حدا، وكان لا يعبر عنه وصف لكل عالم وأديب، ورحل سياسة أو مال كان يقدم راشرا على العاطل المصري الذي الحقاره يعد ما شرحناه من الدعه الاعياد والمراقص الشتائيه الاحده ومخصب مصانع الأنباب، في كل سنة من سني المدة العديد الماضي المقبل، ولا سيما من استقدام المبيد الحاشي الكف طوائف المغنيين والمغنات، وعلى رأسها مواضع الفن وطوقه وملكاته، منذ أنشئت أسواح الفخمة لتستقبل في عاصمتي بلاده، بعد ما تكواه من إقامة حفلات السباق في مصر والإسكندرية على نفقاته لم تعهده القرون الوسطاه مطلقا، وأرى بحفلات لعدد الفيق، في أيام المسلاطين المماليك، وما تكونه على مظهر إسماعيل الخلاب في معرض باريس سنة ١٨٦٧، وفي زيارته المشهدة للنواب الأوروبية لا سيما في سنة ١٨٦٩، وفي احتفالات التي أقامها في القصبة المنيفة بقصر الدوبارة للسلطان عبد العزيز وكبراء دولة بني عثمان، لا نرى ما لم نحتاج إلى التوسع في هذا الباب، لكننا لإيفاء الموضوع حقه، نقول إن أيه المثل وكلاهه تمثلا في أيام إسماعيل علاوة على ما ذكرناه من مظاهرها:

(أولا) في الاعياد والرسميات. (ثانيا) في الأفراح والأعراس. (ثالثا) في المقصور والسباريات وما الشكلت عليه.

بعد ان ماجت بجموعهم الراقصة القاهة الفسيحة، حيث كنت ترى الأنوار المتقطة الألوان المنبعثة عن حلى عقيلات تلك عوين تفترن بسطوع اكتافهن ونحورهن العارية.. بينما الشيوخ المسلمون من عظماء وأعيان وموظفين الالبسون قفازات بيضاء والمتلحفون بوقارهم. ينظرون الى قصعقهن باعين تستغرب أن يقبل على الرقص الكهول

وأما الاعياد .. وهي الإسناعية الكبرى، والهجرية العامة، كعيد وفاء النيل، وتذكار يوم الجلوس السنوي، فبانه كنت ترى فيها العاصمة قائمة قاعدة، تجتاز شوارعها المواكب الفخمة والعربات الفاخرة، والرايات والأشارير، والطبول والزمور وجماعات أصحاب الرتب والهنائيات وبعثات الهيئة السياسية الساطة وسياسيهم المتقالبة، واوسمتهم المظفرة، يقومون على سراي عابدين وزراءات، وحداد، وتكتب تسمع الموسيقات تصدح بأنغامها الشجية في كل حي من الأحياء، وفي المقاهي ومواضع الملاهي، وتجري الشمبانيات الجميلة، أما في ساحة عابدين الفسيحة، وأما بالمناسبة هكان الموقع الذي المتاز من بين تلك الاعياد بإحياء الليالي السابقة لحلوله، أعني بديه : فتمتلئ في الصباح الواسع السرادقات الفخمة المزانة بأطرف الرياش، ويسمعا سرادق الخديو وسرادقات رجال حكومته، وتتلى الصلوات وتقام الأذكار في الجامع والصوالون، وتعم الصوالون الخديوية الطاقة المحورين والمقاعد، فمنذ نهم الاسعفة لملا فيقال ما طاب وأن، وتشمل السوارع والأبطال النارية على اندع الإنقتال وأبهج الأنواع

وأما عيد الجلوس، فإنه كان يمتاز بعرور عظيم الآلاف وبريش، يستعرض وبالبهم، عام شرقة الملك بعابدين بصحبة وحده الجيبين، فتستعرّان سلاسلهم وأساورهم فتحرقهم بلمعانها، وتؤمّ جماهير العالمين من كل مع عميق

ناهيك هذا كل يقام في تلك الأعياد من أنواع، وما يسير من المنكرات، وما يوزع من الصدقات، وتعود به من النعم، ويجاد به من

العطايا، مما من مستخدم في القصور، مهما كان حقيرا إلا وتصرح له الهدايا الضخمة المتنوعة، كالحرير، تصنع القصور والاهلان، والجواري الحسان، والجواهر الثمينة، والجياد الطاهرة، والمتسوطين تهدى صور البلود، أو السيوف المرصعة، والأبنية الفاخرة، والرياش الوثير، والملاءسات تحلى الزلازل من الخواتم والساعات، والملابس والحلويات، فتعت ثرى الأهلون على اختلاف مراتبهم الاجتماعية، ينتظرون طول الأعياد بطمامع متوقعة وآعين مرفوعة، مرتقبا ولي النعم وأي بيته فتجود، فيبدي إسماعيل بذلك وبيئته ما يشبع ذلك المطامع ويلذ تلك العيون[1].

وأما الرسميات، وهمها استقبال الفاصل عند تغريضه، فإن لحض ما كان يستوقف الانتظار فيها العربات الحديوية الضخمة تجرها الخيول المطهمة، تارة سنة، وطورا ثمانية، وكلها تسير في اول واحد، وتحف بها كوكبات الفرسان بسيوف مشرعة تتذهب وبمعقدي الدول التي حبت بستقاليم الخلافي المعصوم وهي في وسط حلقة من وزرائه وكحماته، يأخذ منا ملايسم بالابصار، ويتوج جواهر الماشين المتلألئة على صدورهم الأنوار، فيحدث أن تتساقط الحظ المتكاثرة، ويتصاعد الإدبي كان يصير الأمر الكريم بالإفراج على الوافد بسيف من الصيوف الموصعة المضيئة، وحسان من أحدهما جديد الاصطلاب الخديوية العامره

وأما الأفراح والأعراس، فلا توفي في تقريبها إلى دائرة الإمكان، وهي من الأعياد التي تليت لاختيارا مراوح الإدراء الملائة موفيق وحسين وحسن، أسماء إسماعيل، من الامراء، أسماء عامة بين الهامي باشا من (عباس الأول)، والأمير محمد علي، الحاد عام بعد آخر لحمد باشا من (ابراهيم الأول)، والأمير حميدة، هاذم بيت الأمير محمد علي الصغير من (محمد علي)، مناسرة الملك الصغير، وراوح محتم الأمير قاطعة هاهم بالنصر طوعسن بي من (محمد سعيد)، نلك الاعياد، وقد أقيمت ابتداء من ١٥ يناير سنة ١٨٧٣، دامت أربعين يوما كاملا باعتبار عشرة أيام لكل فرح منها، ولابُزال ذكرها إلى يومنا هذا يبهر تصوّر الذين رأوها وعاشوا أيامها اللامعية

فإن شوارع العاصمة المهمة، وعلى الأخص طريق الأزبكية من القصر العالي مارا والدة إسماعيل، وإلى سراي الجزيرة، طرق حفلات الأعياد المختلفة، وسراي القلبة طرق أولي العهد، ينابت بالنجف والفوانيس المختلفة الألوان على مسافات بضعة آلاف من الكيلومترات، ووضع في نهايتها قلوس سعد مختلفة الألوان، جعلوا في أعلاها طرقات رصعت بالشموع.

فصلت ملايين الأضواء، تتلألأ في الليل كأنما نجوم سعدت فجأة لتلقي الظلام نهارا، أو جعلت المتفرجين يتصورون هذه سنة أسابيع متواصلة. ثم ينتظرون في الليل من منطقة صار الشمال إلى منطقة أخت الطلين من جديد، حيث لا تذيب الشمس من الأفق أشعرا متعددة.

وكانت في أهم الميادين، هنا جولات موسيقية - وأهمها التي اتخذت موقفها في الطرقة بمالي قوس النصر تجاه القصر العالي - وهناك تخوت الآتية - وأهمها تخت عبده الحامولي، بليل الأفراح وبرب الطرب الشرقي على العموم، فأخذت تلك تصدح وتمزف، فاتحدت هذه فتنفذ الأسماع بسائر حديثة الوقوف وبأحدث ترقيمة تجعل سامعيها يتخيلون أنهم انتقلوا الى جنة الخلد البهية، وأنهم يسمعون ترتيلة الملائكة المختارين حول عرش الرحمن

ونصبت في كل جانب للسارح المرتجلة، ليمثل عليها فرقة الفن وجوقات فراكوز، فيحضر من شاء تمثيلها حيثما ويجد إلى منزله مرتاحا مبهجها، ومنذ العصيل في الساحات العمومية، إسبيا جهة القصر العالي، ليلعب عليها «البهلوانيون» أعاجيم المدهشة الجديدة الألعاب، فشخبث بخيوط عالية جدا، ملفوفة عليها أقمشة ملونة تعلوها براعة فاخرة، وتنطلها مئوار ساطعة.

وتربت السطارنج بتنقل غريب، في تلك الجهة خيبها، واخبوا يتعطون كل ليلة حاميا منها، فتدوي طلقاتها في أفاق العاصمة كلها، وتتناثر نجومها وأطلقتها في جميع الأجهة سبت ساعات متوالية، ناشرة فيها أنبياء الأفراح والفرقعة، وداعية الأهالي على اختلاف طبقاتهم إلى الإشتراك فيها

فقي اليوم الخامس عشر من شهر يناير، على ما نقل، بدأ خروج الهدايا المهداة من سموّ

وجلباهه، أوفى مقالوز الهيون، أو فى وهاد حريرة وبين مضايق جبالها، بعد أن هاجت جموعهم الرواقصة القاتمة القصيرة، بمثل الضروح المشوهى من علماء وأعيال وسوقاصين، الأبيسون فارسات بمشاه والملثمون بمؤازهم، يطاردون أى قصمهم فاعس تستعرب أن يقبل على الرقص الخبول، ويتهزأ بهم هرءا ساكنا، بعد أن ماحت بوجوهم الرقاصة القاتمة القصيرة، أو هاجت الحرية شهياتهم إلى الأكل، حتموا حول الموائد الفاخرة المعدودة، حيث أقبل بخدمهم ثيب وارمقاته علاه (جارسون) ورنس ملهاه (ميترودينل)

وفى الساعم عشرمه، بدت أعداد القصر العالى، فصحبت حول الساحة الممتدة أمامه الصوالين والسرادقات وعليها اسماء اصحابها وبين الرقص المعد فى منطقة لاحقه، وقرشت بالطاقس الحسنية الخاصة، وأطول أرباب اليرلحة بقيمون أنعامهم الملطيفة فى وسط تلك الساحة الواسعة، ومن فصنهم يطوان كان يصعد على حبله بحروف ويحرره فوقه، ثم تفرق نحوه على الغرارة وقرات ملفسان للحمور: أحدهما على النعط الحربى، وما قتى مزحما بقاصبه، الراقصين على الأحص فى أشدته الحقيقة الجيدة، والآخر على النعط الشرقى، فى هذى هاتنا بالمقابلين عليه، واقيمت صوالين عدة للقاصل، وقد ماحت بالنحار والحرى للعاده، وسرادق لحفالة الخاصة، علاوة على الصوالين الخاصة الأعيان على نقطتهم لانعسهم، ليقتصوا مشاهدة الاعيار

على أن الرقص وانغاله لم يكونا قاصرين على الخارج، بل ما كان منها فى داخل القصر وفى سرد دور الحريد كان أهم وأشهى منظرا، فقد كانت تصمع (الحفة) التى كانت إذا عتت لتحفل مجزاهم الفاخرة، وستولت على الأسماع برنين صوتها الرخيم، وتتوليع تأشيدتها العذبة، فقد كانت تسفر مشاهد اسبولوجية من الإنجليز يتاتون من صوف الأغناب مايا يخلف الحفول ويدشن الأنام، واستادة الغاص من أهل البارجة والسيماء ياتون من الملاعيب ما يحير الإنسانية الحيران، ويلف لبيبة ساكنات تلك الدور والنشراح عيونهم وأفئدتهم.

وفى ظهر الثالث والعشرين من يناير، خرجت العروس الإمبراطورة أمينة هانم، بصحبة سمو الأمة ثانية من سراى الحلمية، وتوجهت باستحفال عظيم إلى قصر سمو ولى العهد بالقلعة، يتقدمها ويتبعها موكب عزيز مؤلف من ثلاثة آلاف من الخيالة (الأول) الأى ذوى الرماح، وراياتهم المرفرفة من رماحهم خضراء وحمراء، ووزعهم مطعلة بخوذات الدراجون، و(اللنانى) الأى ذوى الدروع، وبروعهم تتمثع عليها الشمس فيتلألأ كل منها كأنه قطعة من المعكس، ويتدلى من خوذاتهم شاعن جميل مصفر وبيض يلعب الهواء به حلو وخوهم، وسلاحهم البهتاشية، و(اللانك) الأى ذوى الزيد، وسلاحهم الحراب أعلى الصليب، ومن وخوذاتهم الصحيره يتدلى صبا قاع على وخوههم من الإمام، وأكتافهم من الورء، وهم فى كسوتهم الغولاذية جامدون، كأنهم قوما من جلمد أو من حديد، فصلة واحدة وأشكال واحدة شاهين شاه وصلاح الدين والظاهر بيبرس وسلزان وراءهم الفرسان، وأعمدة عربات التشريفة يجرها الخيول الشاهانية من الخيول ذات النون الواحد: ليس كالنون والأسهب كالنون، أو أسود كالنيل؛ ويأتى وراءهم جنود عظام حرس فخطوها شرقاب القصب والقشة، بجوارب حريرية تصعد لغاية ركبهم، وبجداثل شهور مستعارة مرشوشة بالبودره، على رؤوسهم، كأنهم ثلعان أحد الطويسات.

الرابع عشر والخامس عشر أو السادس عشر، طول فرنسا، اعيدوا إلى الوجود؛ ويسير مجالهما مشيا على الأقدام خدم الملابس عينه، إذ يقيد على عضاضات أبوابها، وعلى رؤوس الجميع، من خوذتين وخوذ، برانيط واسعة من ذوات الفرون؛ وسار وراء الأميرات، الأخوات بقياس فرنجى وبقلوظات ضيقة فرنجية، يتطلون صوبات خيول فطنة يمركون فيه بكعوبهن؛ وكانت العين ترى فى وسطهم شبحا جميلا وقورا مهيبا: توسعم الآن معما أنه أمين بك أشر المعاليك، وصاحب الوثبة المشهورة على إنه إتما كان رئيس إدارة بيت ولوة الوالدة

وعلى هذا المنعط عينه، وبالهيبة والجلال ذاتيهما، حرجت عروسا الأميرين حسين وحسن إلى قصرى زوجيهما؛ وما الأميرة فاطمة هانم فقد كانت زفتها إلى إبراهيم بك وصف إبدى فى ليلة كبيرة أزهقتها فرجها فى داخل القصر العالى عينه، كما نقلته آنفا عاصمه، فقال:

احتارت المدعوات بستانا فسيحا مثمرا، كم شاهد أزواج من سقوفه غير المهار بلاعب المصابيح المعدده الألوان، وسرى فوق طرقه رخامية نحف بجانبيها الأشجار والمخروطات الفرنجية، فيلقى منظر سراى الوالدة، حتى كان الإفراحات فى انتظارهن، يرسلون إلى قباعة وصفه أنه رياش فاخر، فوجدن هناك جوارى الحريم، وصفهن مرتديات لبباس رجال من المتاظرات: هذا أنا فاعجبوا لى؛ واجتارت وعيناها مطرقتان، صفوم الأغوان على المسيح الحريرى، بين أغباني المغصنات، وأنواقصات تنغم معها.

فحالما وقفت أعين المدعوات متطس وبينما هى تتقدم كبالهما من أنهات الأزمة المضطرة محدوم، بمعيمها وحوارتها، صعدت كواعب كالبدور على كراسى وراءهن، واحدت نشر عليهن خيرات دهيبة، شرفت لتلك المناسبة، فتحلق حولهن رجال ولابسهن أفخم الملابس الفاخرة على سبغتها ما لاحت للمدعوات والجوارى والمواقصات والمغصات، وتألقت كلها بالديباج الساطع والذهب الوهاج وملث فى كل مكان مظهرا وهو البرنقال والتورة؛ وبلرت فوق المالس الفاخمة البراقه

وكانوا قد أقاموا فى نهاية تلك الفاعة، فوق منصة مرتفعه ثلاثة عروش مكسوة بالحرير الأبيض فجلست دولة (الوالدة) على عرش الأسود المالئة المقدد الخصيصة بزوجات الحديو وقريبات الفاصل، وغيرهن من الرينات كبار الزلاة، فبينما من ياكلن ويشربن، جعلت الموسيقى تصدح صدحا مطربا.

ولما انتظر العدد بحضيع المدعوات، دخلت الوالدات والمغيدات وأعزبهن حسب الرتبة فى اليمين الهدايا الفاخرة، من لدن الأميرات وأزواج السلطان أصحاب المقامات الرفيعة فى الحكومة المصرية فتمنين بمديع الهدايات بعد استقبال دولة الأمير (الوالد) والبهادات شكرتهن - وهى عادة «الشوبك» المعروفة بينهن - وهى عادة «الشوبك» المعروفة بينهن

بعد ذلك استحلبت العروس: فأمسك كل من أهانات السيدات المدعوات شمعدانا فيه شموع مختلفة الألوان، واصطفوا من أول السالم حتى الفاعة العظمى، حيث كان هذه المدعوات منتظمة وقرش على الأرض منسوج الرافصات ليمعدن عليه، واصطرفت المدعوات حتى تجلت الأميرة فاطمة هانم تستند على ذراع الأميرة أمينة، وهى فى إبراهة الأميرات الخديوى الكريم، فتقدمت بخطوات بطيئة، ووقفة بعد كل خطوة، كأنما تقول للمتاظرات: هاأنا ذا فاعجبوا لى؛ واجتارت وعيناها مطرقتان، صفوم الأغوان على المسيح الحريرى، بين أغباني المغصنات، وأنواقصات تنغم معها.

فحالما وقفت أعين المدعوات متطس وبينما هى تتقدم كبالهما من أنهات الأزمة المضطرة محدوم، بمعيمها وحوارتها، صعدت كواعب كالبدور على كراسى وراءهن، واحدت نشر عليهن خيرات دهيبة، شرفت لتلك المناسبة، فتحلق حولهن رجال ولابسهن أفخم الملابس الفاخرة على سبغتها ما لاحت للمدعوات والجوارى والمواقصات والمغصات، وتألقت كلها بالديباج الساطع والذهب الوهاج وملث فى كل مكان مظهرا وهو البرنقال والتورة؛ وبلرت فوق المالس الفاخمة البراقه

وكانوا قد أقاموا فى نهاية تلك الفاعة، فوق منصة مرتفعه ثلاثة عروش مكسوة بالحرير الأبيض فجلست دولة (الوالدة) على عرش ابعيمين، والأميرة ذا الحروس على عرش الشمال، وجلست لحروس والى رسما بعد من المابس فصلا ليرعون أحد الجمعه على عرس الوسط وكان الجميع من الحرير، أبيض الفرنسوانى الأعلى شمالا، كله مرصع بالماس أنواع اللؤلؤ والماس، وله ديل طوله خمسة عشر مترا، وعلقت الحوارى وراءه؛ وكان من إكرامات المدعوة وهما بها وبعد من جلست حولهن عرف، عادت إلى حجرتها وأسعد الفرح حتى مطلع الفجر[1]

ومعدودة، تكرم مساعيه ترويج الأمير حسن من الأميرة خديجة (ابن إسماعيل)، ولد الأمير، بمثابة لبداء الأميرة فتحية على محياه، بما يحلها المدرسة التى سماها لأميرات البيت الخديوى، وعدد مولودها من حد مولده، ١٨٩٠، تأهوت الجهاد فى تعصب ثم مضى على ذلك زمن، وهن (إسماعيل) يوما ان يزور تلك المدرسة، ويتفقد حال الطالبات فيها وأنجال آل البيت الخديوى، وهو حضرة صاحب المعالى، فجعل طلبات يتأدبن بآداب مدرسة الاستئذاف الإفلية الآن - ثلاث عدة مصال تحارية تتقدم مسقصات لتوريد كل ما يلزم من فرش وبساتين وتنظلات ورياش لتجار كل من الأمتار الخرس

فلما قدمت، وقام اختيار ملة بانها على مناقصة مثل مسجل المرسناوى، ويعرفه كل من زار مصر القاهرة حتى سنة ١٨٩٢ - لإنها، على جودة المطلوب، فإنها تعارع تعارع عظيما، كانت على رخص فى الإثمان يرغب فيه

ولكن ما هرض ما وقع اختياره عليه على (إسماعيل) سالمه الخديو - أم يتقدم فى هذه المناقصة مثل وصفى بطل؟ - فاحاب الملة باشا: «بعد ما سولى» فقد تقدم، ثمن أخرس، محل مدكور وكان الأثمان التى عرضها مماثلة فيما وتوافق؛ أنها تزيد خمسة وعشرين فى المائة على الأثمان التى يطلبها محل بلسكار، فقال إسماعيل: «ترى مطالبته والتماذج المرفقة بهاء فقدمه على باشا له، فوجد (إسماعيل) أن الأمتار المكتوبة على تلك التماذج تزيد، حقيقة، خمسة وعشرين فى المائة على ما طلبه محل بلسكار، وكأنه وجد من نوع البضاعة واحد عند الاثنين، فصرب مناقصة محل بلسكار بمرسناوى الحائط، وقال لملة باشا: «خل كل ما سجر فى حاجة إليه من محل مدكور، وأدفع له خمسة وعشرين فى المائة فوق ما يطلب؛ فبدا فى عينى ملة باشا مظهر تحارية، فأرغم من أن فعله تخلق بعبارات الإمتثال، فقال إسماعيل له: «يا ملة باشا، إن كانت محال التجارة المصرية لا تصلح ولا تستعد من التجار لوادى، فمن أفراح من مريد أن تستعد ومتفع»

عاعتنعها محل مدكور، وهى تطرق، وراء عاعتنها عن ما قدمه له عاعتنه زيادته فكان ذلك من أسباب الخراب الذى أخربها[2] ■

الهوامش

(١) نعيم جبرى الملاء مصنف لمشرف ص ٢٧٠

(٢) المصدر السابق، الجزء الرابع، عن ص ١٢٧ إلى ص ٢٦٦

(٣) يوصف فى هذه المناسبة بلقب محمد عاطف الحبروك

أزمة الكتابة التاريخية في مصر

تضخم في الإنتاج وضآلة في المعرفة

رءوف عباس

■■ تعاني المكتبة العربية نقراً شديداً في المؤلفات الرصينة الخاصة بمناهج البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية عامة، ومميع البحث في التاريخ خاصة. فالناظر من المؤلفات العربية ليس سوى إعادة صياغة - لا تخلو من خلل أحياناً - لبعض الكتب الدراسية في أصول المنهج التي نشرت باللغة الإنجليزية قبل منتصف القرن، أو ترجمات غير دقيقة أحياناً) لبعض المؤلفات الكلاسيكية في هذا المجال. نشر معظمها قبل الخمسينيات من هذا القرن وتحلو المكتبة العربية تماماً - فيما نعلم - من الكتب المؤلفة أو حتى المترجمة التي تعالج تطور علم التاريخ والاتجاهات الجديدة في الكتابة التاريخية، ولدارس المختلفة في تفسير التاريخ، اللهم إلا بعض المقالات القليلة التي تنشر هنا وهناك. ولا تخلي إلا باهتمام مفرقليل من المعنيين بالدراسات التاريخية.

وقد أدركت بعض المجلات الثقافية العربية حقيقة الأزمة المنهجية التي تعاني منها الكتابة التاريخية في الوطن العربي، فخصصت صفحات «لفكر الغير». ففي عام ١٩٨٠، أصدرت مجلة «الفكر العربي» في بيروت، بمدينة معهد الإنماء العربي بيروت، العددين ٢٧-٢٨ (عام ١٩٨٢) لمعالجة الكتابة التاريخية والمنهج، وخصصت مجلة «فكر» التي كانت تصدر عن دار فكر للدراسات والنشر بالقاهرة، العددين ٦ (يونيو ١٩٨٥) و ١١ (يناير ١٩٨٦) لمعالجة هذه القضية بمشاركة بعض المؤرخين المتميزين. ونظمت لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة ندوة بالإشتراك مع قسم التاريخ بآداب القاهرة حول «تحديث الدراسات التاريخية» (أبريل ١٩٩٤)، كما نظم مركز سيداج (CEDEJ)(١) الفرنسي بالقاهرة ندوة حول «حصاد الدرسة التاريخية لتاريخ مصر الحديث والمعاصر في الخمس والعشرين سنة الأخيرة» (نوفمبر ١٩٩٥). وفي كل تلك الكتابات والندوات، عانت أزمة المنهج تحلل بؤرة الاهتمام والتوصيف والنقد والتحليل، ثم ينتهي الأمر «دون أن يترتب على ذلك أي تغيير نوعي في واقع الحال».

والحق أننا نواجه أزمة متفاقمة في المنهج. تعاني منها الدراسات التاريخية في الوطن العربي عامة، ومصر خاصة، تتجلى في معظم ما تخرجه المطابع من كتب، وما تجيزه الجامعات من أطروحات للماجستير والدكتوراه، يكشف مضمونها عن قصور شديد في التدريب والإعداد المنهجي للباحثين، وتميل غالبيتها إلى «القص التاريخي». ويغلب عليها أسلوب السرد المملل. ومن عجب أن تطالعنا الصحف بأخبار مناقشة أطروحات جامعية في التاريخ قارئت ألاف صفحة، أو تجاوزتها قليلاً. بشيء من الإشادة والتقدير. وكأن صاحب الأطروحة قد فتح فتحاً مبيناً في مجال التخصص. ولا يسري الإنفصال من أصل الإختصاص، مذكرة هذا التورم السرطاني للأطروحات الذي ينم عن فساد المنهج، أو حتى غيابه التام، وإذا حدثنا عما توصل إليه صاحب الأطروحة (أو الكتاب) من نتائج بعد هذه الدراسة المكتظة بالمعلومات، عدنا بخفي حنين، فغالباً ما يقوم الباحث بتقديم ملخص هزيل لأطروحته (أو كتابه) في خاتمة الدراسة، فعجزه عن تحليل المادة ونقدها واستخلاص النتائج مهما، لغياب الأدوات المنهجية التي كان عليه أن يتزود بها قبل أن يشرع في إعداد بحثه.

ويرجع ذلك إلى قصور ملموس في إعداد طلاب الدراسات العليا بالجامعات العربية، يعود إلى ضعف التدريب المنهجي، وإسقاط دراسة مناهج الفكر التاريخي، وفلسفة التاريخ من برامج الدراسة بأقسام التاريخ، إذ يقتصر تدريب الطلاب على كيفية جمع المادة، وترتيبها، وصياغتها، والتعرف على المصادر الأساسية في سياق نظري محض، وتكون المحصلة النهائية لأزمة المنهج تضخماً في الإنتاج، وضآلة التراكم المعرفي الذي يدفع عجلة البحث التاريخي قدماً إلى الأمام، ويساعد على تطوير الكتابة التاريخية.

لذلك كان على كل جهد يبذل لإلقاء الضوء على القضايا المنهجية في البحث التاريخي، بالغ القيمة، عظيم النفع. طالما كان يرشدنا إلى ما حققته الكتابة التاريخية عندما تقوم منهجي في نصف القرن الأخير، ويطرح على بساط البحث أموراً يعد الحديث فيها - عند معظم المؤرخين العرب المعاصرين - تدخل في باب المحظور منه في باب المباح. لعل ذلك يحفزنا على مراجعة مواقفنا المنهجية المعيبة، فنحول أن نطوي الكتابة التاريخية عندنا استفادة بما تحقق في هذا المجال على الصعيد العالمي.

من هذا ثاتي أهمية كتاب إيريك هوبسباوم Eric Hobsbawm الذي صدر عام ١٩٩٧ بعنوان «في التاريخ On History»، الذي نناقشه في هذا المقال. فهو يعالج الكثير من قضايا الكتابة التاريخية والمنهج في الغرب التي يغيب بعضها عن إدراكنا، ويسقط من اعتبارنا. ويزيد من أهمية الكتاب أن المؤلف من أبرز من عرفهم الغرب من المثقفين بدراسة تاريخه الحديث والمعاصر، ومن أطول المؤرخين المعاصرين قامة علمية، وأكثرهم اهتماماً بأصول الكتابة التاريخية، ومناهج البحث في التاريخ على مدى ما يزيد على نصف القرن من العطاء العلمي المتميز، الذي تناول التحولات الكبرى في تاريخ الغرب منذ القرن الثامن عشر حتى تسعينيات القرن العشرين. وتتمثل في أريك هوبسباوم الثقافة الغربية بمختلف مكوناتها. فقد ولد في بريطانيا عام ١٩١٧ لأسرة يهودية من أصول نمساوية (أب) - نمساوية (أم). وتلقى تعليمه العام في انجلترا وتلقى تعليمه الجامعي فيها وفي النمسا وألمانيا، وشغل كرسي الإنسانيات بجامعة لندن، وجامعة نيويورك بأمريكا. ويعد من أبرز المؤرخين الذين يرون «للمجتمع» هو موضوع دراسة التاريخ، ومن الذين يرون أن الماضي البعيد لا يمثل هدوء مجال دراسة المؤرخ - على نحو ما يرى الكثير من المؤرخين - بل يرى أن واجب المؤرخ أن يدرس الماضي القريب الذي عاصره وكان شاهد عيان له، بل له أن يستشرف المستقبل من خلال حبرته الواسعة بتاريخ المجتمع.

والكتاب الذي نعرض له، هو آخر ما نشر لهذا المؤرخ المرموق، ويضم ٢١ فصلاً، كان بعضها أوراقاً تقدم بها المؤلف لبعض المؤتمرات، وبعضها الآخر مقالات نشرها في بعض الدوريات، هذا إلى جانب بعض نصوص المحاضرات التي ألقاها في بعض الجامعات الأوربية والأمريكية. ويربط بين تلك المجموعة التي انتجها هوبسباوم في العقدين الأخيرين - معالجة موضوع واحد هو الكتابة التاريخية ومنهجيتها من مختلف جوانبها. فالكتاب على هذا النحو يضع بين أيدينا خلاصة خبرة لها وزنها وقيمتها، قد تغنينا في إقالة منهج البحث في التاريخ عندنا من عثرته، وتساعدنا على التفكير في تطوير الكتابة التاريخية.

---

(١) **On History**

Eric Hobsbawm
New York. The New Press. 1997

وبينما لا يزال طلاب التاريخ بالجامعات المصرية يضطرون الى استذكار ان هناك حدوداً زمنية صارمة يجب الا يتجاوزها المؤرخ عند معالجته لموضوع ما، وتترد أقسام التاريخ كثيراً قبل تسجيل موضوعات تأطروحات الماجستير والدكتوراه وتتجاوز حدود القرن رسمي الحاكم، ويشيع الظن بأن تدريس العلم عن الحاضر في التاريخ ورطة لابد من الوقوع فيها، فإن تناول باحث التاريخ لفترة زمانية بعد الثورة المصرية ١٩٥٢ أو بعد ١٩٧٠ أو بعد ١٩٨١ أو بعد ١٩٩٠ يعني أن الباحث قد تجاوز الخط الأحمر، وأصبح مهدداً بالوقوع في حقل العلوم السياسية، فإذا تجاوز باحث التاريخ الخط الزمني المفترض الوقوف عنده، فإنه سيظل في حقل بحث الخط الزمني السياسية، وفي المقابل يتعامل معه بعض الأكاديميين الذين يعتبرهم بعض المتشددين البعدية، تجد مهموساً يسجل كتابه في «التاريخ» بموضوعين يكمل أحدهما الآخر، أحدهما يعنوان «التاريخ والمجتمع المعاصر»، والآخر بعنوان «التاريخ والمستقبل»، ويذهب المؤلف فيهما الى أن رغبته باستخدام التاريخ في المجتمع المعاصر، تعود الى التشويه المتصل للتاريخ في مراحل التعليم العام، حيث تستهدف برامج تدريس التاريخ تكوين المواطن المخلص بقومياته، فيتم التركيز على الأمجاد التاريخية وحدها، ولا يتم تقديم تطور المجتمع في إطار يجعل الطالب قادراً على فهم أمس بنيته المعاصرة، لذلك يدرن أن يسدوني الناس دروس التاريخ التي تساعدهم على البحث عن حلول للمشكلات الراهنة، ومن ثم يتجهون الى الأرفف الصماء التي تحتفظ بالمراجع التاريخية، وينشأ بين بعض المؤرخ بما له من خبرة بتطور المجتمع، ورؤية لأبعاد ذلك التطور من منظور تاريخي، أن يتصرف على القسمات المتشابكة بين الماضي والحاضر، ويميز بين أوجه الاختلاف، وبذلك يساهم في حل المشكلات الراهنة.

ان يزيد مهوساوه في ذلك القول من المؤرخ يملك القدرة على التمييز بما لم تكون هذه الحالة بالنسبة للمجتمع في المستقبل، مستفيداً في ذلك من مراسلته للماضي، وإدراكه لأوجاف وموافع التقدير التي لا تملك الحواس الأربعة إدراكها، لأنها لا تقتدل أداة صامتة ملموسة، ولكنها تقوم على عملية عقلية تلعب قدرات المؤرخ واستعداده الشخصي الدور الأكبر فيها، وما يستخدم المؤرخ عند استشراف المستقبل مهجين يتصلان بمهجها البعض: التنبؤ بالاتجاهات العامة من خلال صيغة «النموذج»، والتنبؤ بتحليل الظواهر المتفردة أو نتائجها من طريق تحليل الواقع الراهن واستشراف مصاره المستقبلي، ويرى المؤلف أن الدمج بين الاتجاهات الأكاديمية، ليس من الدمج الأكاديمي الأنه يرى أن علم سيطيات العلوم الاجتماعية الأخرى التي يحسن المؤرخ توظيفها

وعلى ضوء ذلك، لم يعد يوسع المؤرخ أن يتجاهل ما يدور حوله حتى يقوم الزمن بإثارته بعد أن أصبح «الماضي» قريباً، نتيجة سرعة إيقاع الأحداث في القرن العشرين، حتى أصبح الأسير الأكبر «للحاضر» يعيش إخفاقه للدراسة التاريخية استفادة من معطيات العلوم الاجتماعية، وعلى صوء ما يتوافر من المعلومات المتاحة، فإذا كانت الوثائق لا تزال محجوبة، فهناك نقص في المعلومات، وإذا توافرت فإن وفرتها تطرح أساليب الاتصال والإعلام، أساليب والتقارير المختلفة، مثل تقارير المؤتمرات الدولية، وتقارير البنوك وأسواق الأوراق المالية، وما يماثلها من المنظمات والجمعيات الأهلية، والمضابط الخاصة بالمجالس النيابية، وغيرها من المصادر التي تحفظ دراسة الماضي المعتمد مكتوبة، وبالتالي لن تستطيع أن تكون حدوداً زمنية صارمة يجب الا يتجاوزها المؤرخ عند معالجته لموضوع ما، وتترد أقسام التاريخ كثيراً قبل تسجيل موضوعات لأطروحات الماجستير والدكتوراه ويتجاوز حدود الزمن رسمي الحاكم، ويشيع الظن بأن تناول باحث التاريخ لفترة زمانية بعد الثورة المصرية ١٩٥٢ أو بعد ١٩٧٠ أو بعد ١٩٨١ أو بعد ١٩٩٠ يعني أن الباحث قد تجاوز الخط الأحمر، وأصبح مهدداً بالوقوع في حقل العلوم السياسية، وبالتالي يتحاور الخط الزمني المفترض الوقوف عنده، فإن الباحث في حقل بحث الخط الزمني السياسية، وفي المقابل يتعامل معه بعض الأكاديميين الذين يعتبرهم بعض المتشددين البعدية، تجد مهموساو يسجل كتابه في «التاريخ» بموضوعين يكمل أحدهما الآخر، أحدهما بعنوان «التاريخ والمجتمع المعاصر»، والآخر بعنوان «التاريخ والمستقبل»، ويذهب المؤلف فيهما الى أن رغبته باستخدام التاريخ في المجتمع المعاصر، تعود الى التشويه المتصل للتاريخ في مراحل التعليم العام، حيث تستهدف برامج تدريس التاريخ تكوين المواطن المخلص بقوميته، فيتم التركيز على الأمجاد التاريخية وحدها، ولا يتم تقديم تطور المجتمع في إطار يجعل الطالب قادراً على فهم أمس بنيته المعاصرة، لذلك يدرن أن يسدوني الناس دروس التاريخ التي تساعدهم على البحث عن حلول للمشكلات الراهنة، ومن ثم يتجهون الى الأرفف الصماء التي تحتفظ بالمراجع التاريخية، بينما يقدم مهموساو بما له من خبرة بتطور المجتمع، ورؤية لأبعاد ذلك التطور من منظور تاريخي، أن يتصرف على القسمات المتشابكة بين الماضي والحاضر، ويميز بين أوجه الاختلاف، وبذلك يساهم في حل المشكلات الراهنة.

ان يزيد مهوساوه في ذلك القول من المؤرخ يملك القدرة على التمييز بما لم تكون هذه الحالة بالنسبة للمجتمع في المستقبل، مستفيداً في ذلك من مراسلته للماضي، وإدراكه لأوجاف وموافع التقدير التي لا تملك الحواس الأربعة إدراكها، لأنها لا تقتدل أداة صامتة ملموسة، ولكنها تقوم على عملية عقلية تلعب قدرات المؤرخ واستعداده الشخصي الدور الأكبر فيها، وما يستخدم المؤرخ عند استشراف المستقبل مهجين يتصلان بمهجها البعض: التنبؤ بالاتجاهات العامة من خلال صيغة «النموذج»، والتنبؤ بتحليل الظواهر المتفردة أو نتائجها من طريق تحليل الواقع الراهن واستشراف مصاره المستقبلي، ويرى المؤلف أن الدمج بين الاتجاهات الأكاديمية، ليس من الدمج الأكاديمي الأنه يرى أن علم سيطيات العلوم الاجتماعية الأخرى التي يحسن المؤرخ توظيفها

وعلى ضوء ذلك، لم يعد يوسع المؤرخ أن يتجاهل ما يدور حوله حتى يقوم الزمن بإثارته بعد أن أصبح «الماضي» قريباً، نتيجة سرعة إيقاع الأحداث في القرن العشرين، حتى أصبح الأسير الأكبر «للحاضر» يعيش إخفاقه للدراسة التاريخية استفادة من معطيات العلوم الاجتماعية، وعلى ضوء ما يتوافر من المعلومات المتاحة، فإذا كانت الوثائق لا تزال محجوبة، فهناك نقص في المعلومات، وإذا توافرت فإن وفرتها تطرح أساليب الاتصال والإعلام، أساليب والتقارير المختلفة، مثل تقارير المؤتمرات الدولية، وتقارير البنوك وأسواق الأوراق المالية، وما يماثلها من المنظمات والجمعيات الأهلية، والمضابط الخاصة بارزاً لهذه الظاهرة السلبية)». هذا إلى جانب ضعف تكوينه المنهجي، ومن ثم قلة حيلته، وعجزه عن ارتياد مجال التاريخ الاستظلامي.

ويعود ذلك في المقام الأول الى عدم اقتناع أقسام التاريخ في الجامعات العربية بالعلوم الاجتماعية التي لا غنى للباحث في التاريخ عنها، ويعتد هذا القصور في إعداد الباحثين في مرحلة الدراسات العليا، بسبب تفلت الدراسات التاريخية تقدماً كبيراً في الغرب على مدى نصف القرن الأخير عن طريق الربط بين منهج البحث في التاريخ، ومناهج البحث في العلوم الاجتماعية الأخرى: كالاجتماع، والاقتصاد، والانثروبولوجيا الاجتماعية، والتحليل النفسي، واللغويات البنيوية، وغيرها، ويدعو مهوساوم الى تأكيد هذا الربط وتنميته، ولكنه يدعو تحفظه على من يقومون بتطبيع أوصال التاريخ، ويعمدون إلى صبه في قوالب العلوم الاجتماعية الأخرى، من خلال عزله عن الاقتصاد أو الاجتماع، أو التاريخ النفسي، لأن التاريخ هو تاريخ المجتمع على مكوناته. بل يدعو المؤلف إلى رؤية الأحداث التاريخية من خلال ما اتصل بها من معاهيم العلوم الانسانية المعاصرة، ويعني ذلك استخدام مادة تحولات المجتمع الإنساني، والطريقة التي ينبو بها المجتمع من مكونات أحداثه الإنسانية، وقياس الاتجاهين بين التجارب التاريخية المختلفة ومعيتها البعض.

لقد عمد الدكتور المنجي في العلوم الاجتماعية، السبيل لظهور «التاريخ الاجتماعي» منذ مطلع الخمسينيات من هذا القرن، وقطع شوطاً ملحوظاً على يد «مدرسة الحوليات»[٢] الفرنسية، وحقق ازدهاراً في السنوات الأخيرة نتيجة تطور المظرية الاقتصادية والعلوم الاجتماعية الأخرى غير أن مهوساوم يعرب عن خشيته من تحول «التاريخ الاجتماعي» إلى مجرد قاعدة لعلم الاجتماع أو خلفية يستند إليها، كما تحول «التاريخ الاقتصادي» إلى قاعدة للنظرية الاقتصادية، إن هذه المخصصات في الدراسات التاريخية لا تقدم إلا نتائج مفيدة، أو أطراً تحليلية بعيدة الى دراسة التحولات الاجتماعية الأقتصادية، ويطرح مهوساوم دراسة «تاريخ المجتمع» بديلاً للتاريخ الاجتماعي، فيتسع بذلك مجال الدراسة فيه، وتتعدد معالجاته لتشمل السكان وعلاقات القرابة، والدراسات الحضرية من مطلور تاريخي، والطبقات والجماعات الاجتماعية، والضمير الجمعي بمفهوم أندرويولوجي، وتحول المجتمعات في إطار الحداثة والحركات وصلت به بعض الدراسات الى عقد واهد من الزمان، وهكذا ما يسمى بالتاريخ المعاصر، ويجوز ثلاثميذهم نحو دراسة، وأيدت مجالس الأقسام والكليات قدم أن التسامح مع هذه البدعة، الجديدة، قليلة تستجيل بعض الأطروحات في التاريخ المعاصر في الدراسات العليا، ويشترط الدكتور المنجي في العلوم عند عالج التاريخ المعاصر في الغرب.

ولكن أحداً من المؤرخين العرب لم يجرؤ بعد على ارتياد مجال التاريخ الاستطلاعي Para-history الذي يستشرف آفاق المستقبل من خلال قراءة متعمقة لواقع المجتمع في الماضي والحاضر، على نحو ما فعل بول هنيدي، الذي نشر عام ١٩٨٨ كتابه الذي أشار - عندئذ - حركاً كبيراً بين الباحثين، عنوه «عام ٢٠٠٠ وسقوط القوى الكبرى: الصدير الاقتصادي والصراع العسكري من ١٩٠٠ حتى عام ٢٠٠٠»، وقدّى نبيا فيه بتفصيل عن الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية، ويعود القلور من اقتحام هذا المجال من مجالات الدراسات التاريخية الى الميل العام عند الأكاديميين والمثقفين العرب لتجنب الجديد، فلا يأخذون به الا بعد ما يصبح قديماً، وأهل ذلك ما يقصر في الثقافة العربية التقليدية، ولعلنا نرجعه الى القصور الشديد في تكوين المؤرخ العربي، ومحدودية ثقافته، بمعنى عدم اتساع الأفق العربي في حقل تخصصه على الساحة العالمية (الا نفكر قليلاً لا يعطلون مقبلاً

«هل أن الأوان لمراجعة المفهوم السلبي للموضوعية، والادانة غير المنطقية للانحياز لنظرية سياسية أو اجتماعية معينة...»

«ثمة إساءة لاستخدام التاريخ في المجتمع المعاصر، تعود الى التشويه المتصل للتاريخ في مراحل التعليم العام»

بالمجامعات وخارجها، حتمل عنوان: «الالتزام والموضوعية في كتابة تاريخ عصر المغامر» للدكتور «ج. ر. ب.»، احتدم الجدل بين من اقاموا «لموضوعية مفهوم» اقصاء الذات والتحامل معها، ويؤثر ان الموضوعية نسبية، بل قد تكون المؤرخ دورا كبيرا في التحامل معها، ويؤثر استبعاده الذهني وثقافته وانتمائه الاجتماعي والسياسي في تقديرها

ويقدم لنا هوبسباوم رأيه في هذه القضية في فصل بعنوان «الضحية» ، رأى فيه انه لا غضاضة في اختيار المؤرخ لنظرية سياسية او اجتماعية معينة، يوظفها في تقويمه للظاهرة التي ينصدى لها بالدراسة، وذهب الى ان ذلك الموقع من الاختيار قد يكون دافعا لاعمال الفكر، بصفي داخل الظاهرة موضوع الدراسة. ويرى ان التحيز لفكرة او نظرية قد يستدعي اعادة النظر، ويطرح فضايا جديدة، ويهيء لها الموضوع من الناحيتين العملية لا على عكس ما يتصوره العلوم الاجتماعية، لا تستطيع العلوم الاجتماعية ان تحظر بدونها

وتعد الموضوعية بمفهومها السلبي من وجهة النظر بالضرورة التاريخية الكاذبة التي تحرب الرواد الأوائل من اساتذة التاريخ بالجامعة المصرية على منهجها عند دراستهم مجامعة بولاق بالخطأ، التي اتجهت إليها كل سلطات الحكومية في التاريخ في العصرانيات والقلاليتات. وكان للمدرسة التاريخية الالمانية - على ما يبدو - مثل دعوة في قسم التاريخ بجامعة فؤاد الأول، رغم أنها تجمعها في أوربا إلى قسم الحرب العالمية الأولى، تعبيرها عن تيار الإطار الوصفي للتحدث دون تقديم تفسيره له. فلم يكن جرناد ايمانث ويؤثر على «موضوعيته» وعلمه ما ليثبته الرواد من بعدائهم، فقالوا للاستاذ نفس الإقرار. وقد تأثر هو أيضا في منهج في معظم دعوته في قسم التاريخ بجامعة فؤاد بمثل الأرشيفيات، وثم عن طريقها تكوين الجيل الماضي من الأساتذة المصريين. والجيل الأول من الأساتذة العرب الذين درسوا بالجامعة المصرية (مجلة الفاتحة الآن).

ولعل ذلك يفسر ترجمة عبد الحميد العبادي، احد اوصاف الرواد - كتاب هارشو الكلاسكي - علم التاريخ. واستخدم اكتاب كاساس لتدريس منهج البحث التاريخي على منصف الخمسينيات، وكان من أوائل الكتب التي ألفت في المنهج كتاب حسن عثمان «منهج البحث التاريخي» الذي لم يخرج عن كتاب هارشو، وهذا ما يعكس رغبة ويستعد به حتى اليوم. بل تأثر به اكثير من هذه المنهج على طريقته. في مصر وسورية والعراق واليمن. ولا يستطيع من ذلك إلا طلبات المؤرخين المغاربة الذين جاءوا إلى أثيبات متأخرين عن زملائهم المشارقة. ولعلهم تأثروا بالدراسات المنهجية الأحدث وخاصة «مدرسة الحوليات» الفرنسية.

ثم، هل ان الأوان لمراجعة المفهوم السلبي للموضوعية، والإدانة غير المطلقة للانحياز لنظرية سياسية او اجتماعية معينة؟ إن الموضوعية بمفهومها السلبي التي تعني الحياد اتجاه شعبي الما سوقف، وتلغي حق المؤرخ في التعبير عن فكره ورؤيته الخاصة، وفي الأبنية التي حققت التقدم في البحث التاريخي على المستوى العالمي، على محو ما نحدد عند هوبسباوم

ولا يعني استخدام المؤرخ للمفكرات السياسية والاجتماعية عند تحليله للمواقع السريحة، البعد عن الموضوعية، طالما تحدد التوغل في قولبة التاريخ، إلى القياس بصيغ ماديته الفكرية في قالب نظري معين، فقدر ما تتعمق وصولا إلى تأكيد مقولات المعطرة التي يسعاها، بل تكسب بذلك ان يستفيد المؤرخ من نظريات العلوم الاجتماعية

وكتاب الشهر ٤٨

المختلفة في فهم الواقع، ثم وفهم دراستها وتحليلها وليس معنى ذلك ان يتحول المؤرخ الى كاهن في معبد نظرية معينة، والا لاجاءت نظرية اخادية معقدة، وجاء مجال رؤيته محدودا، مما يؤثر على قيمة ما يتوصل اليه من نتائج نافذ؛ سليما.

ويتلخذا ذلك إلى ما كتبه هوبسباوم عن المؤرخ المارسية وما فعته التاريخات المارسية، وقد في هذا الصدد مقالان طويلان، توفهما، يصل عنوان «معا» يبدل المؤرخون نظرا ماركس، نعم فيه إلى ان الماركسية لعبت دورا اساسيا في تصديد الكتابة التاريخية من حيث الأدوات المنهجية. فالتفسير المادي لتاريخ يحل العامل الاقتصادي اساسا وليس فريعيا، وقدم نموذج الاساس والبنية الأساسية الذي شاع استخدامه عند تناول تاريخ الفكر، وابرز دور المصالح الاقتصادية في توجيه الصراع الطبقي. كما توفر المنهاد المادي الجزأ بالغا على معالجة بعض الموضوعات

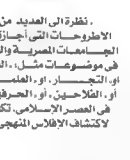

... نظرة الى العديد من الاطروحات التي أجازتها الجامعات المصرية والعربية في موضوعات مثل: «العامة، في التجار، أو «الغوغاء، في الطلاحين، أو «الحرفيين، في العصر الايالمي، تكفي لاكتشاف الافلاس المنهجي...

الماية من الإعتصامات الماركسية مثل: التطور الرأسمالي، والتصنيع، وتاريخ الفلاحين والعمال، والحركات الإجتماعية. إضافة إلى القوانين التاريخية، وفكرة الحتمية التاريخية ورأى هوبسباوم أن بعض ما قدمته الماركسية كان له تأثيره الكبير على الكتابة التاريخية حتى على المؤرخين غير الماركسيين. من حيث التأكيد على العوامل الاقتصادية والاجتماعية ورفضها في تحريك مجرى التاريخ التي شاع استخدامها بين المؤرخين على اختلاف مشاربهم منذ الحرب العالمية الثانية. كما شاع استخدام نموذج الأساس والبنية الأساسية. وتعاقب التكوينات الاجتماعية الإقتصادية. وفكرة المجتمعات الشرقية وعم ما فيها من اعتراضات خاطئة

وفوق ذلك، يعتبر هوبسباوم ان مساهمة ماركس الأساسية في علم التاريخ تتمثل في نقد الوضعية. والمثل إلى إدماج العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية معا، مما يعني الإعتراف بالعالم كنظم للعلاقات بين البشر وعدم الفصل. وميثم وهو متأثر بهيجل فيما وهو متأثر بهيجل فيما وهو متأثر بهيجل فيما

كتاب الزاوية

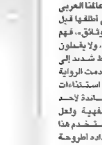

من شعر إبراهيم ناجي

تحليل قبلة

ولما التقيـــنا بعد نأي وعبرة
شجـــين فـــمي مر أسًى وحنين
تـــاملني عيناك عن سالف الهوى
بقلبي وتستقصي قديم ديون
فمت وقد ضجَّ الهوى في جوانحي
ولَمْ أَرَ مِنَ الكِتْـــمَانِ شَيْئًا لَيِّنِ
ستـ فمي ســـرَّ الهـــوى لمقبّل
أجـــدّ له مـــرموز عـــبر صمين
إذا كنت في شك سأني القـــبلة
أدعت من الأســـرار كل دفين
ساحة أشواق وتجـــديد موثق
وتـــديـــد وعـــد ونقض ضمون
وشكوى جرى قاس وسقم مبرح
وتسهيد أجفـــان وصبر مبين!

الإهـــداء

أنتِ وحيُ العـــبقريةِ وجـــلالُ الأبديةْ
أنت حُبُّ أخلد والرحـــمةُ في أرض شـــقيةْ
أنت ســـرٌّ نعبتْ فيـــه العقـــولُ البشريةْ
إن تكن أشجـــتكِ أشعـــاري وأنائي الشجيةْ
فـــبقـــايا طـــاقـــة ناندم وإدمع بديةْ
وأرضّ عنها وإذا لم ترضَ فاغفر لي الهديةْ

* * *

يا حـــيـــاتي! نضب العـــمر وقرّب الضحـــيّ!
إن يكن قد شـــقي الماضي فـــمـــا أهنأ النـــقيّ
في خـــيـــالات عـــوالٍ وأمـــانٍ ذهبيّـــهْ
يطلع الصبح عليـــه مثلـــما قصّ العـــشيّ
أنت صهـــباء الســـموات، وروحٌ قُـــدُسيّهْ
ستّ تسقـــي منـــسيّي أوحـــاعي العـــصيّهْ
فـــلامًا كل حبٍ وعـــرامًا وتحـــيّهْ!

ويطبيعة الموضوع الذي يتصدى لدراسته، تتوافر لدية القدرة على التصور وتكوين رؤيته الخاصة.

والرواية الشفهية لا تحظى باعتراف الأوساط الأكاديمية العربية، فما زال غالبية المشتغلين بالكتابة التاريخية في علقا العربي يحترون مقولة رانكه Ranke الشهيرة المنطقها قبل قرن من الزمان: «إذا تاريخ بدون وثائق»، فهم ينفرون من المصادر الاشفاهية، ولا يفضلون استخدامها، ويعتبرون تنخدم شديد إلى البحوث المعدودة التي استخدمت الرواية الشفهية بين مصادرها، وثمة استثناءات نادرة، سمح فيها مخض الأسادة لأحد تلاميذهم باستخدام الرواية الشفهية، ولعل صاحب هذا القلم كان أول من استخدم هذا المصدر في الوطن العربي عند إعداده أطروحة الماجستير عن «الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢»، ونجح في توظيفها توظيفًا منهجيا لسد الثغرات التي عجزت المصادر الأخرى عن سدها وجاءت دراسة رفعت السعيد للحركة الشيوعية معتمدة اعتمادًا كاد يكون تامًا على الروايات الشفهية، ولكن ذلك لا يعني أن «الرواية الشفهية» قد حظيت بالاعتراف بها على المستوى الأكاديمي كمصدر من مصادر الكتابة التاريخية.

وقدم لنا هوبسباوم بعض المحاذير التي يجب أن ندخلها في الاعتبار عند الاشفاعل مع «الرواية الشفهية»، وخاصة عند تحليل تلك الروايات، لأنها لا تخضع للاختبار إلاّ في حدود ضيقة، وغالبا ما يتصور المبادئ تمارع معينة رسما أضفت قدراً من الغموض على ما يبتغي التوصل إليه، ويستلفت هوبسباوم النظر إلى أن هدف هذا النوع من الدراسة شرح الماضي وربطه بالحاضر وليس استكشاف الماضي ذاته، ويرى أن «التاريخ الشفاهي» يحتاج إلى تخصص يجمع بين منهجيات التاريخ وغيره من العلوم الاجتماعية، وإلى إعداد الباحثين في هذا المجال إعدادًا خاصا.

ويقولنا بذلك إلى آخر القضايا المنهجية التي عالجها هوبسباوم في كتابه، وهي قضية التاريخ للعاصر، وهو نص محاضرة القاها في جامعة لندن عام ١٩٩٣ بعنوان «الحاضر تاريخًا»، وكان شاهد عيان لها: مناقشة محتقة، عرض فيها لتجربته الذاتية في كتابة تاريخ القرن المخشوس، وبين كيف أن رؤيته لتاريخ القريب كانت نتاجاً لمراقبته للاتجاهات التي معاصرها من منظور تاريخي، وما توافر لديه من استعداد خاص لاستشراف المستقبل، او - بعبارة أخرى - طرح التوقعات لما قد تتخذه حركة الاحداث من اتجاهات على ضوء خبرته بالموضوع وثقافته وتكوينه العلمي

إن قراءة كتاب هوبسباوم «في التاريخ» تصح بين ايدينا خلاصة تجربة مؤرخ مرموق متابع ومشارك بجهده في التطور المنهجي الذي حققه علم التاريخ في النصف الثاني من القرن العشرين على وجه الخصوص، والقضايا المنهجية التي يطرحها المؤلف في كتابه تدفعنا إلى إمعان النظر في حال الكتابة التاريخية عندنا، وتحفزنا إلى ضرورة مراجعة لمقاهرة القصور المنهجي التي تعاني منها الكتابة التاريخية العربية، لعلنا نستفيد مما تحقق على الصعيد العالمي في هذا المجال ■

«أنا لا أعرف الحقيقة المجردة، ولكنني أركع متواضعًا أمام جهلي، وفي هذا فخري وأجري».

جبران خليل جبران

تشيكوف هل كان داعية لآراء هدامة؟

إيلين كيلي

الهدم المنسوب إلى تشيكوف نابع من مقدرته الفذة على التعامل مع الحياة العادية بحيث يتمكن من اختراق المرئي المألوف ليكتشف أشياء أخرى مهمة كامنة تحت السطح، ثم يعرض رؤيته للخبرة اليومية بما يتناقض مع افتراضاتنا التقليدية ويتعارض مع معتقداتنا المستقرة عن أنفسنا وعن العالم.

وهو يعترض على تصنيفه تصنيفاً، بناءً على إبداعه الفني، إذا ما كان متفائلاً أو متشائماً، لأن دوره في هذا السياق أن يسجل ما قاله أو فكر فيه هذا الشخص أو ذاك، وفي ظل أية ظروف.

وأما هدفه فذو شقين: أن ينجح في تصوير الحياة بإخلاص وأمانة، وأن يبين مدى انحراف هذه الحياة عن الصورة المرجوة..

[1]

■■ إنه واحد من أكثر الكتاب أصحاب النزعات الهدامة عمقاً على مدى التاريخ». قيلوون حتى من بين أشد المعجبين بتشيكوف يمكن أن يشعروا عليه من هذا الوصف الذي قدمه سيمون كارلنسكي في مقدمته لمجموعة مختارة من رسائله، فعلى خلاف الروايات التي كتبها دستويفسكي، والتي تكشف الجانب الشيطاني الكامن في النفس البشرية، تصف مسرحيات تشيكوف وقصصه رجالاً ونساء عاديين، يقضون حياة بلا أحداث مثيرة، وغالباً ما تكون حياة مملة رتيبة. وبينما كان تولستوي يدعو إلى الفوضوية ويرحب ضد الكنيسة والدولة الروسية، كان تشيكوف يعمل بهدوء طبيباً في الريف ومزارعاً على نطاق ضيق، إلى أن ضعفت صحته واضطر إلى قضاء فصول الشتاء في مدينة يالطا.

كانت حياته تبدو لكثير من معاصريه متعمدة بشكل زائد عن اللقضاء الخفي في ذلك العصر. ولكن هذا الافتقار إلى التميز بالتحديد هو ما جعل كتاباته طابعاً مداماً ومنقرته السلطوه إلى القواعد السائدة لسلامة النصرف تبدو الآن وكأنها اختراق غريب للغيب، فقد عمل على تقويض الكثير من افتراضات المجتمعات الحديثة بشأن طبيعة السلام، والحرية، والاخلاقيات الشخصية. وهو لم يقمع (على عكس تولستوي)، مكان الأساطير التي يقصي عليها أساطير أخرى من صنعه.

وكان المجتمع في عصره يتطلع إلى الكتاب للاضطلاع بدور اللقيادة الأيديولوجية والاخلاقية في المعركة ضد الحكم الاتوقراطي وكان النقاد الراديكاليون، والذين قسمت سلطتهم في مجال الأدب اقوى من سلطة الرقابة الرسمية، يمجدون كلاً من الدرجة الثقيلة من أمثال زولا وتولستوي وجليب اوسبنسكي الذين عالجوا بعض قضايا عصرهم الرجعية والتثوير من خلال تعالج ثابتة فجة: فالقيساوسة والتجار وضباط الجيش يُقدمون دائماً في صورة الأوغاد. ويقدم الفلاحون والشبان المثاليون الراديكاليون في صورة الأبطال ذوي القلوب الذهبية. وعندما بدأت أفكار تشيكوف تتحول إلى موضوع للجدل في الدوائر النقدية، قدم نفسه في رسالة مشهورة وجهها إلى المحرر الأدبي لمجلة كانت قد بدأت تنشر أعماله قال فيها:

لست ليبرالياً ولا محافظاً ولا من دعاة التدرج ولست راهباً ولا متصوراً لا أكره العنف بكل أشكاله، من السوط إلى الحسنة، ولا أتعاطف مع محاكم التفتيش أو مع تولستوي بعدم المقاومة. الروسية بطبيعتها تعشق الروتين في كل شيء، سواء في نظرتها إلى الزنا أو في تطبيقها لعقوبة الإعدام. أنا أكره الكذب والحماقة بكل أشكالهما. أعتبر الجشع والابتذال في الناس من بقايا العصور الوسطى. أنا أعتبر الموهبة مقدسة، وأحترم الموهوبين، وأكره الوقاحة والتطفل والاستغلال. أنا أؤمن بالموهبة والحرية والعدالة. أنا أتطلع إلى الفضيلة في كل شيء. أنا لا أحب أن أكون على شاكلة أي من هؤلاء الناس الذين يجلسون في برجهم العاجي أو في أعماق الريف ويتجاهلون الناس الآخرين، أنا لست كسولاً، أنا أستيقظ في الثالثة فجراً، أكتب يومياً، أعمل بلا كلل، أتمتع بالنقد الصارم لنفسي، أكره الكتابة المتكلفة والمتصنعة، أكره الإسراف والتبذير، أنا لست طموحاً، أنا أسخر من نفسي، أحترم الكرامة الإنسانية، أريد أن أكون حراً، وأسعى لأن أتخلص من سجن الأفكار والأحكام المسبقة التي تحاصرني من كل جانب.

أنا لا أعرف بالضبط ما هي وظيفتي، ولكني أعرف أن الكاتب الحقيقي لا يمكن أن يكون إلا تقدمياً، وأنه لا يستطيع أن يكتب بدون أن يحترم نفسه، وبدون أن يحترم الآخرين، وبدون أن يشعر بالاشمئزاز من الظلم والكذب والنفاق، مهما كان شكلهما، وبدون أن يشعر بالفرح عندما يرى أن الحرية تقترب من الشعب الذي يعاني من الاضطهاد.

وقد أعلن تشيكوف في رسالة أخرى أنه لا يريد أن يكون مثل الكتاب الذين يكتبون عن الأشياء التي لا يعرفون عنها شيئاً، وأنه يريد أن يكتب عن الحياة كما هي، وعن الناس كما هم، وأن يتحدث بصراحة عما يرى وما يسمع

عن القراءة، والنحق في الدراسة، وممارسة الإرادة لتحقيق بعض رغباته الذهنية». وكان ما أنجزه لنطوين من هذا القصد هو أن تحدث عدداً مهماً للغاية من عدم الرد بينما استجابة إلى رئيس تحرير المجلة الذي طلب منه أن يكتب «لا مبالاً أمير عليه يقول». ثم يحدث فعلاً أن تركت يوماً كوكبات أو أخذت أحداً، وبعها يمكن في عالمي الفني من هويت، «وأني لم أقف سطراً واحداً أشعر بالخجل منه اليوم».

وقد بدأ محمد تشيوكف، الأديبة السوفيتية يقوم بهذا أو أسوأ، عندما حصل على منحة من مجلس مدينته سمحت له بدراسة الطب في جامعة موسكو. وقد بدأ تشيوكف استكشاف طريقه للمجلات الأسبوعية، حقق نجاحاً سريعاً له أن يأخذ وقته لتطوير فن هو أقرب إلى الطب وبحثي النفسي الرعبية، والأدب مطمئني.

وتميزت قصصه القصيرة بساطة شكلها وتنوع موضوعاته، والقدرة على تصوير الطبيعة الروسية والعالم الداخلي لنساء والشباب والمثقفين والفلاحين والأتربياء والحيوانات وقبل ربع قليل الأنين مائة وعشرون كما رأيناه. ففي سنة ١٩٨٨، وضعته صحيفة «إيفانوف» بين المؤلفين السوفيتيين وهو في تبيوت أحواله الثمانية فيقول استطاع أن يبشرني كأديب مستقلها المستقلال الأول، فالقارئ يحب مقاومة الدولار المستقل الثاني، وقال يستمتع بالحرية الاجتماعي، وموسوعة النساء المستقلات، ثم علقت عليهات النساء الثالث فإنه معين علاقات قبل زواجه من الأربعين، من اهتمامات المثقفين المتوسط وكذلك كان الرجال يحدون بشخصيته جذابة تحب مقاومتها، وقد وصفه المؤسس لسطلين كوروفين بأنه «رسوله لغباية، وإن عميقه طبيعتان، وهي طبيعة أخرى خاصة أن مظهره كله يجعله أحد الأخرين بشكوا خاصاً بالاضطراب.

وكان مصدر هذا الاهتمام مشاعره الإنسانية البسيطة، التي جعلته شديد الحساسية للتفاوّ السياسي والقمعيات الاجتماعي، كتب يقول، «لقد اكتسبت إيماني بالقدر عندما كنت لا أزال طفلاً، حتى نوعي الأدبي كان مقدراً لي أن أكون كاتباً قصصياً، كانا يخربوني فيما وظنارة الحق كعوا أنهما غير عصريين كان قارفا هائلاً، كان يحب بالمأساة الأخلاقية لتكبير من الرديالايين الروس لكنه كان يرى في شاهاناتهم ما يذكره بسيطة طفولته، «إني أحلم بتعبير هذا سوء المعاناة أيا كان الشخص الذي يتعبر لهاء وكان ينهم المثقفين والمثقفين برؤاهم الطوبوية الشخصية بهدوء يحاولون ما خلقه مؤسسات «الرسمنة» (Zemvya) من إحداث وعي مؤسسات الحكم المحلي الذي نشأ نتيجة «لإصلاحات الكبرى» التي قطعت في السبعينات من القرن الماضي وقرت عنها من تهذيب الأدنين المالي وعلى أقلم إلى ما تحقق من تقدم في مجال الصحة في روسيا خلال السنوات الخمسين السابقة، وقال إنه لو خُيّر بين المثل العليا لتلك السنوات وقال إنه التعبير عنها في صورة علوم طوبوية الحالية من الأولى ورث في رواية «ما أذى يجب عمله»، التي أنهمها نيكولاي تشرنيشفسكي) وبين أفضل مستشفى أقامته حديثاً من الأسكه لاخترت الأخير دون تردد.

وكان سجله الخاص بالعمل الإنساني حافلاً، وكتابه عن مستعمرة الأحداث المقامة في جزيرة سخالين المسيحية (الذي اعتمد على مسح طبي أجريناه للأحوال هناك) قد نبّه الجمهور إلى فظائع نظام العقاب الروسي

الشخصيات وخطابها، ويخطئها (مثل فصلهاطين في «الذوب» بدعوه إدانة للحقيقة الاشتراكية لما كان نوعه أو عاش، وشخصيات أخرى (مثل أحداث أسوارس والسفيلات، سوتيا التي أبدت تحدّ قاسياً) تتضح رجوعاً بقولها للقدوة، وإيلاحات الصيغة بوصفها ويخطف من جذوة وقدرتها على التحدث (وهي ميزة خاصة بصوت تشيوكف كما يقول مترجمه) كالتوقف، والمعاطف، والامل في بعض الحالات، فالقرن مضت بعدئذ يطغى الحديث بفتح حديث حرب الذنون وهذه الستان يعني وجود احداث حديث اعداد رايفيكساياً وامتيا أما.

[٣]

وعرض حيلسان للعلاقة بين افكار تشيوكوف وتكنيكه الروائي يجب ن يقراه المنحوّن والنقاد الذين يصرون على تقسير المسرحيات على أنها دراسة في الفشل والياس (فقد وصفت البيوبورك اوبورفر هذا الإنتاج الغريب في مسرح لندن بأنه لمسة المسرحية إيفانوف بأنه عرض «أفكار قصير تشيوكوف عليه حياته عبثاً» مثل المثقفين، والاغتشاب الروسي، وموت نظام الطبقات، والقشرة التي لا سبيل إلى اختراقها إزعاجاً).

ونحن نعرف أن تشيوكوف لم يقل بمعجزة بإخراج ستانسلافسكي فيما بعد من أنه انتقد إجراء الروايات استعداداً لحفلة الافتتاح ـ فقد انتقد البراعم لم تكن قد تفتحت عندما حضر المؤلف وليطمه لنا كل شيء، وتنبع قدرة تشيوكوف إلى العمد من رؤيته لـ «الحياة العادية»، فهو يتذر لنا عن المغتاث السابقة جديدة، ويلدم تجربة اليومية، ويرية تتفق من هذه الأشياء التلقائية، وتتصرف مع المفاتيات المستقرة عن أنفسنا ومن العالم.

[٢]

وحتى نستوعب فرؤية الكاملة في مسرحيات تشيوكوف وتكنيكه بشكل أوفى نحتاج للعودة إلى حياته ورسالته. فقد اتجه كثيرون سيرته إلى التركيز على القديس وستبدو المفر، ويسعى كتب «حياة» الجديد الذي كتبه دونالد رايفيلد إلى تقديم صورة لشيوكوف أكمل من أية صورة سابقة ولكن يشبه في الإرتجعات الروسية نتيجة مجموعة مختلفة من العقائق من الحقائق التي يتجاهلها شيوكوف ولكنها لا تشكل رؤية لعالمه وإنعاقه. فهنا تجد الرجل البديع الذي وصفه ارتست سيمونز ورونالد هينجلي وهنري ترويات وداييل جيلبرز وكثيرون غيرهم الرائع والإذى يحسن بطبعه، والطبيب والمواطن ذو الإهتمامات العامة، والصديق والزوج المطيع، والذي تصادف أيضاً أن يكون كاتب عبقري، ولكن هذه الداخلي يظل عزلوفاً ويبدو أن رايفيلد قد اعتذر مقدماً عن محاولة الدخول إلى ذلك العالم، فهو يقول إنه يهتما بتسلهم إلى عمد بناء فلسفة من حياته لوتسلوق ومدونيقصكي وقناباسها، من الصعوبة بمكان أن نحدد ماذا كان سيشوف بقصد من الحالات الثلاث التي أدى فيها حكماً قاطعاً أو حتماً رأياً.

إن أكره ليذكر ـ ربما تشيوكوف عندما انهم كتابة قصة تفتقر إلى «الديبلوجيا»، حين قال: «إنا تتصور الفصة اعتراضاً على الكذب من دناءتها إلى نهايتها» أليست تلك وتوليفة الإيقاظ بتلك الإيقاظ.

ويتشارد جيلمان في دراسته الديدعة، وهي أول دراسة للملف من كاتبين مكتبر ـ طالة فرانسيس فرجوسون عن «يستان الكرز» التي وصفها بأنها قصيدة مسرحية من مخاناة التقدير وقد استعار جيلمان ملاحظة أدلت مقرض نيمتس عن هذا جياتيل في تناوله لمسرحيات تشيكوف ـ «لقد الأشياء» التي مقترض انها ليست دراسية هي لا بصورة جادة بل حاله ـ «الإفعال فيها يمنع من المذرق أبدا من جهة جميعاً بوصفها كائنات صارّة في الوقت وخاصة لتظلب الكرز وتصدقة وتحدث قدرة تشيوكوف على صنع الدراسي من اللارامي بصورة حاصة في المسرحيات الاخذ، حيث يؤدي موزع الزمن (الكرز) دون الإشارة إليه اكثر من عشر مرات في الدقائق الخمس الاولى (في المسرحية) بلا عوادة إلى تأكل أمل الشخصيات في تحقيق ذواتهن في المستقبل من طريق الهروب إلى القدسة من بعض خوفتهن مهاتهن قبل أن يتحقق ذلك الأمل» (ص ٢٠٠ ـ كلمة أين؟ أين؟ إيضا ما تدل من بصلي إلى موسكو بعد أيضاً أستطيع أن أرى ذلك الآن». وإعبار أيضاً الساكن قرب شباك المنضل الثالث يعبر عما يصف جيلمان بأنه «تجسيد الحنين باعتبار حالته». ولكن كل مسرحياته الرئيسية تتعلق بالخسائر التي تحدث بمرور الزمن. في ثلاث منها هناك بيت مهدد أو فقد (كما في «بستان الكرز») وضاع بعد سلوب مفضل في الحياة والحب والإيداع لا تتحقق أو تتحقق مصورة تحققاً ضعفاً مثقوفاً.

والموضوع المشترك بين المسرحيات هو زوال الأوهام، الحب والعمل والمستقبل تعرض كلها في صورة مجردة مضاليبة تحاول الشخصيات عن طالها. وفي مسرحيته الأولى (بعيداً عن الطريق) وفي «الغابة» وفي «الرجل الذي لا يشك» هناك محاولة مثقفة لتحويل الواقع إلى أحلام، والشخصيات في «الذوب» و«الخال فانيا» و«الشقيقات الثلاث» تحاول الهروب إلى موسكو، ومسألة إدريتا «الشقيقات الثلاث» يعتبر العمل «دم الحياة» وفي «بستان الكرز» يحاول لوبا خلق عالم جديد، ويلدم الطريق الذي يقود إلى الأمام، وفي «الغابة» يحاول نينا أن تكون ممثلة، وفي «الرجل الذي لا يشك» يحاول الطالب أن يكون كاتباً، وفي «الخال فانيا» يحاول الدكتور أن يكون طبيباً، وفي «الذوب» يحاول الفلاحون أن يكونوا أحراراً، وفي «الشقيقات الثلاث» يحاول الجميع أن يكونوا سعداء، وفي «بستان الكرز» يحاول الجميع أن يكونوا أغنياء.

[٤]

كتب غرابة المعتاد، وراء الالاسرامي، في موضوع المسرحيات التي احدث بها تشيكوف ثورة في المسرح الروسي في العقد الأخير من حياته، وكانت أولى مسرحياته الكبيرة «إيفانوف» التي أخفقت بمعاصر من الملوبرسا التنظيمية، فقد استطاعت استغلابا حماسا أصدقاء «الزوبرب» الذين تخطم فيها بالتعليقة الخاص بوصفه (ناصلة). وتخلى فيها عن الطبقة الشاذيدية) فقد ذهب فشل شديد إلى حيلة الافتتاح في شهر أكتوبر ١٨٩٦. وكفاها ليبات بالاعتماد عند إيناجها ثانية مرة في موسكو في سنة ١٨٩٨. وكذلك فعلت مسرحياته التالية «الرجل فانيا» و«الشقيقات الثلاث». ثم في يناير ١٩٠٤ يستان الكرز» والواقع أن «عدم حدوث شيء» في مسرحيات تشيكوف أصبح مثل ذلك الطوبا بعامة المعز، وكان المقاطعات النقدية التي دارت حولها تلك تعمل إلى الحيرة إلى إكتاشيهات غامضة مثل الحديث عن قرة تشيكوف على خلق «الجو» في الحالة النفسية». وكثيراً ما أصرت على تلها تعبير «حزين من «موسيقا آلفة» حصلت تمامل معاني الطبقة الطبقة على الوت حيالهم الضاحكة.

أبديولوجيا؟» وحتى تفهم أهمية اختلاف تشكيف مع أولئك الذين استدعوه، كما فعل «سوبيتو» لابد «أن يكشف عمد وجهة نظر محددة» يحتاج المرء إلى عرف شيئاً عن الحياة الفكرية في عصره وفهم كيف يمكن بوصول أليه كتاب رافيفيل «أي شكل» فمثال مصمم مفرط ذكاء رئاسي مصمم فكرة أولية والخطة لفكر فيشخه كانت أرفاه سنار مجموعة من القضايا، مع الاهتمامات الجمعية للمؤلف التي حافة المهنة، سابقة لأوانها بكثير.

وقد أوضح كارلسمكي أن من المفاتيح المهمة لتفكير تشيكوف، تلك المسودة الدائية المؤرخة التي كتبها تشوف جامعية. فيها يذكر أن دراسته للطب «تتعارض بشكل لا يمكن التغلب عليه مع دراسة الأدب» وأن هذا الكشف لم يكن جديداً بالمقارنة الأدى عندما قبل من المقلقين (رافيفيل لا يشير أبيه) وهو دفع لأن الأهمية التي يعلقها تشيكوف على التطلعات العلمية تبدو واضحة في رسالته.

فيو يتمسك بأنه على الكاتب «في إطار الإداء الفني» أن يكون ملتصقاً بالواقع التشخيص في العالم وأسلوب الكاتب الحقيقي «يجب أن يكون موضوعياً» «يجب أن يصف الأشياء كما هي» وهو كان مصر تولستوي ولكنه ينظر من الصعب الاشتراكية «سوباتا كروبوتر» التي تناولت الجانب الجسمي في الإنسان وكشف عن أن الكاتب العظيم «رجل جامل، لم يقم في أي وقت في حياته العلوية بأن يقر عكس أيين أو ثلاثة من الكتب التي كتبها الإحصائيون». وقد ذكر أن الكتاب الذين لديهم معرفة سطحية بالمنهج العلمي مصغرون للاقتناع يوهم أن تشخص البشري يمكن أن يحل علمياً الوجود الرئيسية، وتلقه تعلم من دراسته أنه لا يجوز أن يتطلع بأنه «لا يستطيع الن أن يستوعب علماً» وعندما وكمه انتظار لحرى قصصه لأنها لم تنقل مواقفاً واضحاً من مسألة الشائوع. أجاب بأنه «ليس من مهمة الكاتب» أن يحل مسائل مثل «الله، والشوع. لكن وأن كل ما عليه هو أن يسجل ما قاله أو عرفه هذا الشخص أو ذاك، وفي ظل أية ظروف. على أنه استنتاج» ...

ولم يكن أي يعني اختيار موقف النسبية الاحتمالية. فقد كان لتشخيف هدف مزدوج «تصوير الحياة بإخلاص وأمانة». وأن يمدين بوصوره عادية مدى اختراف قدرته الحياة عن الوصول للوجود». لقد قال إن أحداً لا يستطيع أن يحدد تلك الحدود الوجود «اجعل أجهزتها تعرف ما هو العمل غير الشريف. ولكن ما هو الشرف؟ ... نحن لا نعرف». وقد كتب يقول أحد سيهدئني بتلك المعاهيم المحير التي صدمت لكاتب الرأي: تحرير الغير من القمع، والاعتراف السلمية، والجهل، والخضوع لمنطق المشاعر.

وأي هذا المبهم العملي لن يجعله مشتكلا أي إذا كان الأراء الأساسية بشأن التاريخ والأدب وكانت هناك نظرية من هذا القبيل عن نهضة الروايةو الروسية تستبعد بالتأكيد جوجول وهو اعترض عليها تشيكوف بقوله «أنا لا أفهم ذلك. فإن أنتا اتخذنا موقف التطور الطبيعي فإننا لا نستطيع أن نستبعد أحد جوجول وحده من ذلك. لا يستبعد بعاع ذلك، وأن نضعه خارج النهار، أن كان شيء في الطبيعة يؤثر في الإنسان الآخرين. وهي أن كان كف تد علست مد لحظه

استعداداً لرحلته» إلى سخالين يطق ليجعلك راغباً في تكلبه الإنسان، ولكننا لا نهتم بذلك، فحسن أن نعرف حتى من كان الأشخاص الذين قاموا بتلك الاكتشافات، وطل ما تفعله هو تجلس بين جدرانك الأربعة وستكو من الصورة التي خلق بها الله الناس».

ومن الأفكار الأساسية في «الخال فانيا» هو ما يريد علي لسان الدكتور استروف من تنديد حماسي، والتدمير الغابات في تلك القارة، والأنهار الروسية، «إن الغابات تتصير الثلج فقط، والأنهار تجف، والحيوانات البرية تنفرض. ومع كل يوم يمر يصبح كوخ الإنسان أشد قرأ وأكثر قبحاً». وجمال الطبيعة الطبيعي هو موضوع آخر لعمال تشيكوف المتقدمة بالتجديد، وهو القصد الطويلة المساء «البراري» عن رحلة في عربة روسيا يقوم بها صبي في التاسعة من العمر، تتداخل فيها رؤيته بطريقة السهول الروسية المتغيرة أبداً في الصيف مع رؤى الرواية.

ولا يمكن تشيوف حذفات البراري وحيوناتها مثلاً نادراً ما تجح المزجوعن في نظيه. تتناول القصة الرواتع التي يمكن أن يكشف عنها علم الأشياء الطبيعي وهو الطريقة التي تتفاعل فانيا بعينه المناظة يستطيع أن يرى الغلاف الجوي في وضوحها، والأرض تحمل عظماها. «إلى جانب العالم الذي يراه كل إنسان، كان لدى فانيا «عالم آخر خاص به». لا يستطيع أن يصل إليه شخص آخر.

ربما يكون عملاً واعي الجمال. وعندما كان يتطلع حوله يمؤه الشعور بالهدوء الذي من الصعب على المرء أن يحدده».

كتب تشيكوف يقول «ربما تؤدي البراري إلى فقد أحين المعاصرين وتريهم حالات أزوعة والقلق والحسال، إن يكشف عنها الأشياء الطبيعية العادية» وقد أشار بعض مقلدي أزوعة الروسية الغرائب والغضب والحسال، ولكن مجال الذي مازال موضوعاً أمام فانيا الروسي». وراء هذه الرغبة الموضوعية تكمن غريزة عميقة: تشكل تحدياً للأفكار السائدة الجمالية والأخلاقية القاسمة وأم الصوت الخلفيدي الى الحال والتغير باعتبارهما شكلاً من الحال الذي لا يتغير، والمثل التي تحول دون الإدراك والفني والحسال الذي يكشف عنه المرء إلا بجهد».

كتب تشيكوف يقول «ربما تؤدي البراري إلى فقد أحين المعاصرين وتريهم حالات أزوعة والقلق والحسال، إن يكشف عنها الأشياء الطبيعية العادية» وقد أشار بعض مقلدي أزوعة الروسية الغرائب والغضب والحسال، ولكن مجال الذي مازال موضوعاً أمام فانيا الروسي». وراء هذه الرغبة الموضوعية تكمن غريزة عميقة: تشكل تحدياً للأفكار السائدة الجمالية والأخلاقية القاسمة وأم الصوت الخلفيدي الى الحال والتغير باعتبارهما شكلاً من الحال الذي لا يتغير، والمثل التي تحول دون الإدراك والفني والحسال الذي يكشف عنه المرء إلا بجهد».

ونسك تشيكوف بالقيمة الجوهرية للحياة العادية وتذكرنا بشكل مطلق بالعمى المعنون «من الناحي الأخر». الذي تكتبه الكندرلم مبرزن في سنة ١٨٨٠ وهذه لغة في التوهيمات الروسية والعلمانية التي لا ترى في الحاضر غير عبر في المستقبل إلى هذه فانيا القاسمة وأم الصوت الخلفيدي الى الحال والتغير باعتبارهما شكلاً من الحال الذي لا يتغير، والمثل التي تحول دون الإدراك والفني والحسال الذي يكشف عنه المرء إلا بجهد».

وقد حدث تشيكوف في لن سطوع زيادة الأخلاقية لتحقق الحياة. عن طريق زيادة استجابتها للواقع الراهن. وقد قالت ملاحظة تشيكوف للعالم الطبيعي الذي استشتجات مقالة محطة معارضاً لمثل تولستوي في هذا الخلاف الأخلاقي. كان ينتظب تصحيح كل الارتباطات والتحولات الغريبة نحول دون حياته المشرية إلى الخير بتعريف الشيخ. عند تشكوف إلى «سوفورين يقول «ساعد» إلى أن اصبح تولستويا أبدا فإنك أحب أن المرأة الحسال قبل كل شيء». ولحب في تاريخ البشرية الثقافة التي تتمثل في السحاحيد والعبارات ذات الدلالة وعمق التفكير. ولكنه لم يكن من المؤمنين بعلم الجمال. وقد انتهج

هدفك لا يهمني دون أن يؤثر على الطبيعة المحيطة به».

ونحن الآن رفرفة جناح في غابات الأمازون المطيرة بعكن أن تسبب عاصفة في كاليفورنيا. ولكن نظرة تشيكوف إلى الأهمية المراكمية للتفاصيل الجزئية الصغيرة، كان من الملامحة الفلسفية سابقاً لعصره بكثير. وكانت الحرب التكليفية من العلم والفن، اختفاءً على ما يرجه بناء المطوعات الفلسفون يمكن تنظيم كل شيء في نسق واحد. تبجله أما أعبر مطول

بأن التشريح والفنون الجميلة على حد سواء كل منهما يحدد من أصل سبل، إن أيهما فإنها متماثلة تماماً. وليس التشريح... وليس هناك أي سبب يجعلهما لا يسيران جنباً إلى جنب. رجل سيريح بحرم الفن، ليسوب عليه يصبح جيداً وإن تعلم الجسم الإنساني بدقة، يصبح جيداً في رسم الجسم الإنساني بدقة، يصبح جيداً في رسم الجسم الإنساني بدقة، يصبح جيداً في رس

خلال السنوات الاربع الأخيرة من حياته، زوج الممثلة «لولجا زيلر». ولكن كان هناك شخص مسحور موسكو لفترة قد حكم عليهما بقضاء أوقات طويلة متباعدين، فإن مراسلتهما لا تدع مجالاً للشك في عمق مشاعر كل منهما تجاه الآخر.

وعندما شخص الأطباء في عام ١٨٩٧ مرض تشيكوف بأنه السل المتقدم، عمد تولستوي إلى فرأسه في المشخشخ ليناقش معه أمور الموت والخلود. وكان تشيكوف قال بعدداً عن الاهتمام بتلك الأمور العميقة (كانت كل أعراض المرض موجودة لديه منذ ما يقرب من عشرة أعوام لكنه آثر تجاهلها) وهو لم يكف قط عن الكتابة في الشباب. وظل يمارس أنشطته المتعددة بقدر ما يستطيع. وفي الشهور الأخيرة لحياته كثيراً ما عمد عن عزمه على التطوع كطبيب عسكري في قوات الشرق الأقصى الروسية. وتضمنت رسالته الأخيرة التي كتبها من بادنفير حيث مات في يوم ٢ يوليو ١٩٠٤، الرأي التالي: «لا توجد أمراة المانية واحدة أصيلة في ملامسها، إن افكارهن الذكية تدعو إلى الاشمئاز». وتصف روحته أخلاقه الكريمة في مشهد يبدو وكأنه من مأساة تشيكوف المسرحية الخالصة. فقد طلب من طبيبه إحضار شمبانيا بنفسه. تذوقه ثم سكبه وجلس تشيكوف في فراشه وقال للطبيب بالألمانية «إني أحتضر».

ثم رفع كوبه، والتفت إلى زوجته وابتسم ابتسامة الزائمة وقال لها «مضى وقت طويل منذ أن شربت الشمبانيا» وشرب كأسه حتى الثمالة. وقد بهدوء على جانبه الأيسر ولم يلبث أن صمت إلى الأبد. ولم يحرك الصمت بعد فرشا ليلة صفصاف طنت بعض أوتار الكمان الطير، بشكل مؤلم ثم اعقلت الليلة من رحابة الشمبانيا بصفير القاربة محدثاً هدايا.

وفي مقالة تحية للفيلسوف الروسي ليو شستوف، يعد بونين الممثلة الروسية مثالية يقول إن تشيكوف في كل حياته الأدبية «لم يقابل غير شيء واحد، فهو بطريقة أو بأخرى كان يتحدث عن ايشيلوس، وشكسبير، وموليير في هذا الجدال. حكمت نجيبة أنه، في كل شيء وأخيراً، كان يشعر بالصدمة المستمدة، ويعمر عنها تحت حرجه لكل الأراء الشائعة من العالم».

ولكننا يمكننا أيضاً أن نقول أساساً إن تشيكوف ليس متشائماً، ولا هو يشير عمق محاولات الفنان العظيم للعثور على قواعد جديدة للفهم الأخلاقية. وكان معظماً على أفكار نيتشه، وقارئ عن أنه لم يعجب بتأكيد الذات فيه فقد قال مرة إنه يتمنى أن يلتقي به في الشارع أو على ظهر سفينة. وإن يقضي الليل كله يتكلم معه. ويمكن القول إن فقه عبني أنه يقدم بديلاً مجسوباً لصدمات نيتشه الكهربائية القاتلة. بأنه ليس ثمة حقائق خالدة بل ولا قيم خالدة.

فنحن «تايريجوين من البداية الى النهاية». وفي السنوات الأخيرة من حياته كتشيكوف اصبح أحد الطليعة الروس شعوراً بزيف نبيه غير المنطقية لإراده الفرد باعتبارها الحائق الوحيد الذي يوقف، فكل شخصاً تافه ليس بأية حال موقفاً مشائماً بشأن طبيعة وحدود حرية الإنسان في عالم «لا شيء فيها تنسى وتقريبي». وهذا الجانب من عمله مازال في حاجة إلى مزيد من الاهتمام. وقصصه، أكثر من مسرحياته، مشهود بالفعل على الجمع بين براعة الفنان، ونظرة العالم الدارويني، وهما بمثابة وجود كائنات يتطلعها الزمن والصدفة.

ووزن الزمن الماضي يخنق على شخصيات تشيكوف في صورة الوراثة والبيئة والذاكرة والعادة، مما يحول دون التحول الشخصي او الاجتماعي الذي يطمحون اليه وتاريخ سيرة تشيكوف نفسها منحكن من الأنساب كما تحدث الأطباء «الأنساب يتناولون عشاءهم، أي مجرد تناول العشاء، وفي الوقت نفسه تشكل سعادتهم أو تدمر حياتهم».

ويبدو أن إضافة تحفير مسار الحياة (كما في «بستان الكرز» حيث سمع صوت من خارج الأسرار يمنع ليوباخين من الطلب إليه بقراءة) ولكن تحويل الشخصية للفرد في مثل تلك النخطات يبدو في القصص معقداً جزئياً على نظره. وفيها تشكلها الخبرات السابقة. فالمطل الأساسي الذي أطلق اسمه على قصة «بونتيه، طبيب ريفي، أنجب ابن شابة يستطيع أن يداعش معها الأدب والعلم وفي تعمر المدينة من أجل الدراسة يبقرر هو في الحياة الزائفة والمادة في البيئة المحيطة به. وعندما تعود الفتاة بعد أربع سنوات يظهر بوضوح أنها تدكره بما كان عليه من طالبة في السابق

ويبدأ في تحديها، إلى أن يأتي يوم يقرر فيه، وهو مار معسكلها، أن يدخل إبراها ماء بأيلة، ولكنه يراجع نفسه ويعجز عن الدخول ولم يدخلا بعد ذلك أن زار عائلة توركين في أي وقت. وتنتهي القصة بعد مرور بعض سنوات مشهد فيها نتيجة خيارانه المتعاقبة حياة موحشة ومدمرة.

والقدرية الذي تجمع بعض شخصيات تشيكوف إنما هي ذريعة لتجنب المسئولية عن الحرية المعنوية. وهو يريد منا أن نرى أن الماضي لا يمنع بالضرورة إمكانية الاختيار الحقيقي. ولا هو يحدد مسبقاً إمكانات الحاضر ونجد في القصص أن رؤية بعض الشخصيات تشوهها أشواق رومانسية. ولكن سخصيات أخرى مثل سائق العربة قادياً، يستخدمون من برواً أفعالاً مختلفة قياساً تعلب عليه الشخصية الطبيعية. فلايسوف مفتش ارتعاد ماسة سوداء الذي تطلعه من حين لآخر نوبات من الحماسة. فقد اصطدم مرة، وإن رغبة سائقاً في إعادته على قدميه كانت مهلبة على أفكار أدبية عن قدر الحلي على الفقد المرتد.

كتب تشيكوف يقول

«أنا لا أشترك في الحب بالقصة (بالمعنى هو مشكلة اجتماعية، طبعه الحري هو الحب، فعادة ما حدث أتهتم بالناس بأسرة قبل سنة كاملة وكأنه سلاحاً يشعر بحزن أكثر مكثر وبصعوبة الحال مازلت لا يستخدم بعبيرات مثل التهيج والارتباط أو في الشرحة فعندكت أنه من يكون الداري والشعر، ومشهور لا يحتاج الى لافتة مكتوب عليه هنا حزين وليس مرغوباً».

ويذكر أحد المعاصرين لتشيكوف أنه كان في أحدى المناسبات أن المسرح يجب أن صور الأشياء كما تحدث فعلاً «الأشخاص يتناولون عشاءهم، أي مجرد تناول العشاء، وفي الوقت نفسه تشكل سعادتهم أو تدمر حياتهم».

ويبدو أن إضافة تحفير مسار الحياة (كما في «بستان الكرز» حيث سمع صوت من خارج الأسرار يمنع ليوباخين من الطلب إليه بقراءة) ولكن تحويل الشخصية للفرد في مثل تلك النخطات يبدو في القصص معقداً جزئياً على نظره. وفيها تشكلها الخبرات السابقة. فالمطل الأساسي الذي أطلق اسمه على قصة «بونتيه، طبيب ريفي، أنجب ابن شابة يستطيع أن يداعش معها الأدب والعلم وفي تعمر المدينة من أجل الدراسة يبقرر هو في الحياة الزائفة والمادة في البيئة المحيطة به. وعندما تعود الفتاة بعد أربع سنوات يظهر بوضوح أنها تدكره بما كان عليه من طالبة في السابق

ويبدأ في تحديها، إلى أن يأتي يوم يقرر فيه، وهو مار معسكلها، أن يدخل إبراها ماء بأيلة، ولكنه يراجع نفسه ويعجز عن الدخول ولم يدخلا بعد ذلك أن زار عائلة توركين في أي وقت. وتنتهي القصة بعد مرور بعض سنوات مشهد فيها نتيجة خياراته

■ هذا كتاب عظيم ويحوي دراسة مستفيضة عن الأوبئة الكبرى التي أصابت الإنسانية: الطاعون وابيضاض والجدري والزهري والكوليرا والحمى الصفراء والملاريا خلال القرون الستة الماضية. ويحوي اكتشاف اكثر من محور العرض التاريخي لمثل الأوبئة. فالمؤلف شلدون واتس - وهو مؤرخ اجتماعي وثقافي وأستاذ التاريخ الوعر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة - يعرض آراءه وانطباعاته المبتكرة في دراسة الأمراض الحالية. ومسعرض الإنشاطات بين تحرك الأوبئة ومظاهر انشطة الاستعمارى في الامريكتين.

يفحص واتس الظاهرة بين مدة القصب قبل تحديثها والكوارث التي ألمت بالعالم من تلك الأوبئة، مثل وباء الطاعون الذي اصاب اوروبا العربية والشرق الأوسط. والجذام الذي حل بالبلدان القريبة في العصور الوسطى وفي بلدان المناطق الحارة في القرن التاسع عشر. وانتشار الجدري إلى العالم الجديد مع بداية عصر الكشوفات الجغرافية الكبرى. والزهري والإمراض غير التناسلية مع ارتباط اوروبا بأسيا. والكوليرا في الهند إبان الحكم البريطاني. والملاريا على شاطئ المحيط الأطلنطي في عصور انتقال العبيد من افريقيا إلى الأمريكتين. درس المؤلف بانسفاضة الدلالة بين التغيرات البيئية الحديثة والمرض. وبين المرض والمجتمع.

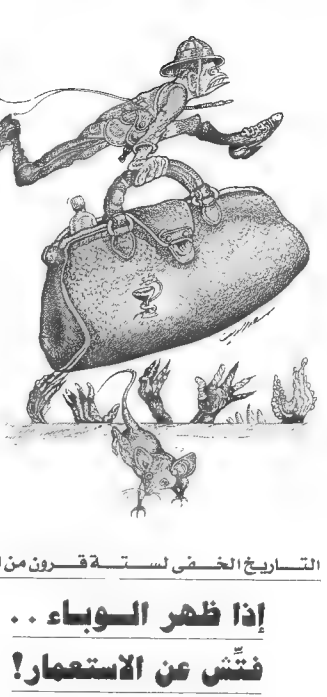

التاريخ الخفي لستة قرون من المرض

إذا ظهر الوباء .. فتّش عن الاستعمار!

محمد صادق صبور

الجنرال أمهرست قائد الجيش البريطاني في أمريكا الشمالية أمر عام ١٧٦٣ بأن ترسل البطانين وملاءات الأسرة المحملة بالجدري إلى من تبقى من الهنود الحمر لتعجل بفنائهم.

يعرض الكتاب في بابه الأول استجابة الإنسان للطاعون في اوروبا الغربية والشرق الأوسط بين عامي ١٣٤٧ و١٨٤٤. فلقد ابحرت على سفن تجار البندقية من ميناء كافا على البحر الأسود في صيف عام ١٣٤٧ حزران ويراعيت تحمل ميكروب الطاعون. ومرت في مضيق الدردنيل ثم افرغت شحناتها في موانئ مسينا في صقلية. وسرعا وحوط على الشاطئ الغربي لإيطاليا ثم مرسيليا في جنوب فرنسا. وابحرت سفن أخرى لتجار البندقية من كافا إلى ثغور عند مصب نهر النيل في مصر. وبعد بضعة شهور اجتاح وباء لم يسبق لإنسان تلك البلاد ان عرفه. قتل الرجال والنساء والأطفال. وامتد إلى بقية شواطئ البحر الأبيض المتوسط. وشواطئ المحيط الأطلنطي وسواحل بحر البلطيق. ثم امتد عبر الأنهار إلى داخل البلاد. ثم عبر الحقول إلى جميع البشر في أصقاع أوروبا. تسبب وباء الطاعون الكاسح في وفاة ما يتراوح من ثمن إلى ثلثي البشر بين عامي ١٣٤٧ - ١٣٥١ (قتل في المتوسط ثلاثة اعشار جميع الأوروبيين - أي حوالي ٢٤ مليونا). وتسبب هذا الوباء أيضا في وفاة ربع سكان الشرق الأوسط. معميا اكثر ما يصيب النساء الحوامل والأطفال. وقد اصاب وباء الطاعون مدينة فلورنسا ثماني مرات بين عامي ١٣٤٨ و١٤٧٧. وقتل جميعا مثلا من سكانها. وقد فرضت المناطق النثرية من إيطاليا (توسكانيا، لمبورديا، بيدمونتيا) الحجر الصحي على المناطق الموبوءة وفيئت فاعليته في احتواء الوباء. وقل هذا التقليد متبعًا حتى سنة ١٦٦٠ عندما فرض عليه القوم الحجر الصحي وبقية الإجراءات. وتسبب في انحسار وباء الطاعون من أوروبا. وتأكد هذا الإجراء ارتفاع شان الشماء بين الواسهم وسلطتهم عليهم. اما في الشرق الأوسط. فلم يتخذ أي إجراء فعال لمقاومة وباء الطاعون. حتى توالى

Epidemics and History: Disease, Power, and Imperialism

(الأوبئة والتاريخ. المرض والسلطة والإمبريالية)

by Sheldon Watts

New Haven: Yale University Press, 1998

الأمر محمد علي عام ١٨٠٥ وكان عدد سكان مصر قد بلغ ثلاثة ملايين نسمة فحسب بعد أن كان عددهم يزيد على خمسة ملايين قبل أن يحل وباء الطاعون في المنطقة عام ١٣٤٧ .

ولعل أول ذكر في التاريخ لكارثة الطاعون هو بلاد الوباء الذي حدث بمدينة تسدا عام ٤٢٧ قبل الميلاد، ثم ذلك الوباء الذي عم العالم بين عامي ٥٤١ ـ ٧٧٠ في العصور المسيحية الأولى، ثم الوباء العالمي الأسود بين عامي ١٣٤٧ ـ ١٤٤٠. وأخيرا بين عامي ١٨٩٠ ـ ١٩٥٠ في هذا العام الأخير تأتي نقمة الله على الإنسان بكارثة أخرى ساهم في صنعها الإنسان، فأن مصاعدة الاستعمار، أن الأكسندر يرسين، فأن مصاعدة الاستعمار، أن يكشفا عن ميكروب الطاعون وفي وقت واحد بمدينة هونج كونج عام ١٨٩٤ في أسبوع جرذان ونشر تقويما بالتواريخ وبعد عامين تمكن افنريسي سيمونده من أن يكشف عن ميكروب في برغوث الجرذ هو الحلقة الناقصة الناقلة للميكروب بين الجرذان بعضها البعض، وبينها وبين الإنسان.

قبل أن يحل وباء الطاعون «روبيا كان الأطباء في أهالي المنصورة الوسطى ـ الذين على أراء الأقدمين من أمثال أبوقراط وجالينوس ـ أن الأمراض ينسب فيها الفلغم الرديء وتلوث الجو، تهيأ مصح أحياء الراي السيد بشكل مستشفى للحمة العامة. فرفعت أكوام القمامة من الطرقات ورميت بقايا الحيوانات من أمام حوانيت القصابين، وكذلك الدماء والسوائل وبقايا نبع الجوف والخلفات الآدمية من أمام أبواب البيوت؛ وإذا أشتدت وطأة مرض ما في أي مجتمع طرت الموسمات ومن تشويهم شوائب أخلاقية من المدن.

وعندما حل الطاعون بمدن توسكانيا أضيف لهذه التعليمات كنس الشوارع وإزالة جثث الموتى من الطرقات ودفن الموتى بمجرد حدوث الوفاة، وطلب من رجال الدين إقامة الصلوات طلبا لمغفرة العزيز الجبار.

وفي فلورنسا هرب غالبية أعضاء الديوانات النبيلة المخمسلة، وكان الشعار المرفوع يومئذ «اهرب بجلدك مسرعا إلى أبعد مكان ولا تحزن إلا الحزن الكبير».

أول من طلوعها إلى أيدك أتواني، ثم امتد الوباء في وديان الأنهار، خاصة نهر الراين، انتشر أن الوباء الذي الرئيسي بأوروبا والذي تتركز عليه الجدل التجارية. وبدقم وباء الطاعون أشدت بين أناس حصية الطاهير العراقي واشتعلت فتنة اليهود، الذين سبق وتعرضوا لمثل تلك المحنة عام ١٠٩٠ خلال الحرب الصليبية الأولى.

كان اليهود هم المتهمون لأنهم سبق وصلوا السيد المسيح من قديم الزمان، فتمنعوا من زراعة الأراضي وعزفوا عليهم العمل كعلاجين، ولذا سكنوا المدن وراولوا التجارة ونسلف النقود ومع الدولة. ولذلك أبناء اليهود ـ على خلال أبناء المسيحيين ـ يقرأون ويكتبون، وعلى براية بالعقدة العبرية وعقدة لغات الشرق الأوسط القديمة. ولذا سهل عليهم الإطلاع على العلوم والمعارف القديمة. كان كثير من الأطباء من اليهود وكان من السهل تمييزهم واطمئنانهم عند اللزوم.

وفي الشرق الأوسط، عندما حل الطاعون الدملي عام ١٣٤٧ كان الجزء الغربي من البلاد الإسلامية تحت حكم المماليك، وكان على رأس الحكم هو قلعة الجبل في المقطم في مدينة القاهرة وكانت رقعة ممتلكات المماليك تمتد من أسوان جنوبا حتى فلسطين وسوريا شمالا وكانت «القاهرة» قبل أن يحل وباء الطاعون أكثر مدن العالم سكانا، وكان يسكنها نصف مليون نسمة، مات منهم ٣٠٠ ألف بين أكتوبر ١٣٤٧ ويناير ١٣٤٩ حدث الشيء نفسه في سوريا الذي رحل فلاحوها بالجملين الى دنانا النيل

وعندما احس الدم وبحلول وباء الطاعون في البلدا والصحاري انطلقوا بسرعة على النهاية واصعدوا كيلو مترات كبيرة من اعماق الصحاري. وهكذا وقوا انفسهم من الاصابة بهذا الوباء، وظلوا على عهدهم الذي يبلغ مئات الآلاف فحسب مبينما مئاقص عدد سكان مصر من العلاهين من ثمانية ملايين الى ثلاثة ملايين ونصف عام ١٣٤٦ وعام ١٨٠٥ من تعاقب اوبئة الطاعون المتتالية

ولم يحاول المماليك، الحكام في مصر وسوريا ـ ان يبذلوا اي جهد للسيطرة على الطاعون او محاصرته ـ او القضاء عليه ـ كما فعل معظم الأطباء في ملاذم لكن المماليد عرفاء عن اسباب عجزهم ان فعلل من التراء او القوقاز في توأسط أسيا جنوبي روسيا وشمالي الجزيرة الأسود وكان كل هذه الدراء من البلاد التي حكموها جيلا بعد جيل.

اطلع الطاعون (اللون الأسود) بكذير من رحال الحيش الفرنسي الذين قدموا مع الحملة الفرنسية إلى مصر، بدأ الطاعون وبجلاء في الحيش بعد سنة أشهر من الغزو، وبدت أولى حالاته في دمياط. وأمر نابليون بتسميته «الحمى الوبائية»، وقلت قلة الطاعون الدملي مخطورة طوال تقشي الوباء. فقد كان يوناير هو أن أشد أخطار المرض هو الشوك في برغوثه والجرهم منه، وإن أن خير وسيلة لوقاية الجيش منه هو شعله وحمله ويواصل بسرعة. وقد نجح نابليون نجاحا باقيا في إقناع جنوده أن هذا المرض ليس الطاعون وإنما هو حمى معصوية بدمامل، وكان يعسك بقراش الجلود المصابين بالطاعون، وأى هذا الى حتل بعض الأطباء الذين كانوا قد هربوا من رعاية المرضى، فعادوا إلى مباشرة أعمالهم بعد مشادته لهذا الموقف.

لقد نقل نابليون جيشه من أماء محقن من وباء الطاعون. حتى اتخذ اجراءات صرمة للوقاية وعزاءه، اصول النظافة

ورغم ذلك بقيت إصابة الطاعون تشد ما تكون إذا تحملك على الشارع وخاصة في أثناء حصار عكا. ثم تضئي الحرض بشدة في صفوف جيش نابليون، وأقيمت مستشفيات ميدانية عديدة لاستقبال حالات الطاعون، حال رحلت الدماء وأصاب الطاعون كثيرا من المصريين، فقد مات كثير عديد من قرى الصعيد عن بكرة أبيهم وفي القاهرة كملت تسع الآلاف ضحية وخلت من كل البيوت، ووصل العدل الى جمع العديد من الجثث في الثغن نفسه. لم يرحم الطاعون طفلا ولا شابا ولا كهلا ولا شخا عجوزا، ولم يفرق بين رحل وامرة، بل حصد الجميع موفي من الطاعون ٦٠٠٠ من حود الجملة الفرنسية مصلاف ١٠٠٠٠٠ من حود المصريين. غاليتهم في الوجه الشرقي.

وفي عام ١٨٠١ اجتاح الطاعون القاهرة، وبلغ عدد من الضحايا في القاهرة وحدها ٣٠٠٠٠.

عندما تحدث محمد علي من الاستقلال. قرر، وجوب تقديم خدمة صحية مثميزة لأفراد شعبه. وكانت مصر أول دولة في البحر المتوسط تنهم بخدمات صحية، امتدت إلى أعماق الريف. فقد كلف طوبل بك بإنشاء أول مدرسة للطب على النمط الحديث عام ١٨٢٧، وعندما عاجم الطاعون مصر بعد أربع سنين استطاع طوبل بك بالطلاب مقاومة الوباء وحصره، وقد أختفى الطاعون من مصر في الفترة من ١٨٤٢ ـ ١٨٣٤ ولكنه عاد مرة أخرى في أواخر عهد محمد علي

وقد أدت مهمات وبعثات الطاعون في مصر بالكثير من الأطباء الى الشعور بالحاجة الى تنظيم الخدمات الصحية على جميع المصالح القائمة من أجل مكافحة الوباء وقد أصدر محمد علي الاجراءات نفسها المستمدة عندما عاد وباء الطاعون عام ١٨٢١ ، وأصاب الطاعون ٣٠٠٠٠٠ أسرة وبلغت الوفيات في أشاهر ٨٠٠٠٠ ـ ٨٠ ثلث جميع سكانها

وقد عرض محمد علي السحر الصحي على السلطي التركية القائمة من إسطنبول وفرض الحجر الصحي على جميع المصالح القادمة من البلاد التي تصاب بوباء الطاعون. وأخذ

مستلقية، من بعيد الجذام والجدري والبرص، وعندما يراها أحد على الإنسان أن ينتحب الإصابة بها (وليست عقابا إلهيا لخطايا ارتكبها الشخص أو بريئا من عمل استهزاء كما يقول رجال الدين وأطباء الغرب). وإلم بتنقل هذه الآراء المستمرة من الأطباء إلى الغرب الذي ظل مقتنعا بأنه الكهنوتية الجامدة

مدة استمرار الحكم الفيتو للجنود بين عامي ١٠٩٠ و استمرت حتى سنة ١٣٦٣.

في الفترة ما بين عامي ١٠٩٠ و ١١٢٠ وكذلك بين عامي ١١٤٠ و ١٢٦٠ تم افتتاح عدة آلاف دور للعزل، لمجذومين. ممها ٢٣ دارا في باريس وحدها و ٢٢ دارا في انجلترا وايرلندة في القرن الثاني عشر. وبلغ تعداد المومومين بالجذام في انجلترا ٢٠ الفي كل الف نسمة

قائل في العرب هو الذي اعتزوا في الجذام بسم صاحبه ويعتبر وصمة في حقه. ثم سماه هذا الاتجاه بالحجة ياسرة. بينما اعتبر العالم الإسلامي أنه مثل أي مرض آخر، وصم اليهود. انهم اكثر من يعاني من الجذام. وصم الإطباء اليهود ـ وكانوا يبلغون ثلث عدد الاطباء ـ من معالجة غير اليهود.

يقابل معظم المؤرخين ان البسيطرة على الجذام في القرن الثاني عشر سنة ١٥٥٠ فقد اختفى المرض بصورة غريبة ـ رغم عدم فاعلية الوسائل التي اتبعها المجتمعون. فقد كان دخول ملايين الجذام الحشيارية في جنوب فرنسا، نهاية مطارة المجذومين و (اليهود) أشدها في سنوات من ١٣٢١ وحتى ١٣٢٣ ثم توقفت

يوجين انكر العربي تحت عرض الجذام. يقول: لا يعتبر المسلمون عربي المرض كارثة يتبغي تجنبها. وهناك حديث شريف ان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ شوهد وهو يمسد بيد مريض محذوم ويشاطبه: تناول الطعام مع فمانا مؤمن بالله ونن يصيبني المرض إلا بإذا راد الله

بسبب تعاقب اوبئة الطاعون المتتالية تناقص عدد سكان مصر من ٨ ملايين إلى ٢ مليون بين عامي ١٣٤٦، ١٨٠٥. ومن بين نصف مليون كانوا يسكنون القاهرة مات ٢٠٠ ألف بين أكتوبر ١٣٤٧ ويناير ١٣٤٩

الخاصمي عشر اشتدت ضراوة الجدري لمرحلة كمبرء وتحول إلى كابة. تهدد الخمس الدنوري. وتحول من مرض سريعة يصيب الأوروبيين في طفولتهم إلى مرض خطير صار يهدد الأوروبيين في عشر أعمارهم. وصار في القرن الثامن عشر السبب الأول الذي يسبطر على تعداد سكان العالم بعد أن كان الطاعون يهدد هذا الدور فيما قبل

وقد وصف البطيب المسلم ـ الرازي عام ٩١٠ ميلادية ـ الجدري وفرق بينه وبين الحصبة، وكلمه لم يذكر في كتب الطب العربية حتى حلت الكارثة عند استفحال المرض في امريكا. ومن وصفه لمصنوعين الأوائل في انكلترا عام ١٠٢١ وفي امبراطورية الإنكا عام ١٥٣٧ كان واضحا انه الجدري بعينه. ولكن لم يتعرف عليه الأوروبيون

كانت الخدمات الصحية متقدمة في امريكا قبل حلول الأوروبيين وكان عدد كبير منهم يتمتع الأربعين عاما. ولكن بعد نزول الأسبان إلى أمريكا الوسطى وصمم حبليهم وحمازيرهم. حاملين معهم الأفلوانزا والتيفوس والحصبة وحمى الخنازير والجدري، صار نافعية أهل امريكا يموتون في سن الطفولة أو في ريعان الشباب

ويقال إنه بعد نزول البحارة إلى الأرض سنوا سيوفهم واشبعوا الأهالي جدعا وتقتيلا. ويقروا البطون والسنة الحوامل وشبحوا كلابهم على نهش أجسادهم. ولم يلث عام ١٥٥٠ الا وكان بعض البلاد الأصلون قد هلكوا جميعا من وحشية الأوروبيين من الأوبئة التي جلبوها معهم من أوروبا.

تكرر هذا المشهد الدسم في بيرو بزويلا وفي كوبا وبحلول عام ١٦٣٠ لم يتبق من الهنود المحر في الجزيرة الشهيرة سوى ٧٪ ممن كانوا هناك قبل عام ١٥٢٤.

وكذلك طل من وباء الجدري ٦،٥ مليون

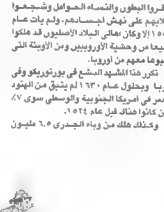

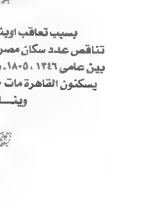

كان الجدري محروفا في عهد قدماء المصريين، إذ لاحظ كل من رفرم وفيرجسون وجود طفح يشابه تماما طفح الجدري على جلد بعض المومياوات المصرية القديمة والذي يرجع تاريخها إلى سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد (موميا رمسيس الخامس على سبيل المثال).

ويُجمع علماء اليونانيات والمؤرخون على ان عدم وجود فيروس الجدري في العالم الجديد ـ قبل أن يكتشف عنه كريستوفر كولمبوس ـ لم يمنع إصابة الأصليين فرصة تكوين حصانة ضد هذا المرض. ولعل هذا هو السبب في وفاة ٨٠ ـ ٩٠٪ من الأمريكيين الأصليين عندما نقلهم المرض بينهم لأول مرة

ولكن السؤال المطروح هو لماذا لم ينعكس البلاتون على قيمة الحياة من ان يستعبدوه، أعدادهم ثابتة؟ المستوطنون الجنوبيون الأوائل أعتبروا أمرهم عاديا حين أن يتسببوا في الإرث. ولا يسمحوا لأحد حتى لو كان من أبناء البلد الأصليين ـ أن يبقى له ذكر في أمريكا

فقبل سكان البلاد الأصليين ما فعله بهم الأوروبيون ـ من حرب وقتال واضطهاد على أيدي الغزاة ومطلقاتهم وعدم. وأمراض أدخلوها معهم لدى قدومهم لنفك البلاد. وبعد أن أهلك الجدري ثلث سكان أمريكا الوسطى، ساعم الرجل الأبيض باستبراء البيئة عموه من الهنود للعمل في مناجم أنذهب والفضة التي تم الكشف عنها. وكان هؤلاء الأفارقة قد اقتنصوا أعدادا كبيرة من قرض الجدري لسبق اصابتهم في طفولتهم بنوع أقل ضراوة في بلادهم الأصلية.

بعد أن عبر كولمبوس المحيط الأطلنطي وحدث وبائيا عدة مرات في أواخر القرن

وإهمال حالاتي الصحية والفقرى، والتقصير في تعقيم جميع الأطقم، وعدم وجود قانون يحتم إعادة تقييم الأطباء بعد سن الطفولة.

وكانت أهم الأوبئة التي اصابت مصر في القرنين العشرين وبدء ١٩١٩ - ١٩٢٠، وماة ١٩٢٦ وبداية ١٩٣٢ - ١٩٣٥ وبلغ ذروته في عام ١٩٣٣ وكان أشد ما يكون في مدينة الإسكندرية، ثم موجة أوبئة أعوام ١٩٤٢ - ١٩٤٧ وأخيرا وباء ١٩٩٥ وهو أخر وباء للجدري يظهر في مصر قبل اختفاء هذا المرض تماما من العالم عام ١٩٧٨

بداية من الأعوام التي تسبق عام ١٤٩٠ ميلادية في بلاد العالم مرض تناسلي سريع العدوى في موانئ «سيفيليا» وتوابعها فرنسا وإيطاليا، وتحرك شرقا حتى وصل إلى قبرصا وشمالا وتخطى لايبزج (بألمانيا) وبرنجيب (النرويج) وابردين (باسكتلندة). صرض مع بقيه الأمراض من قبل. مرض حديد على العالم. هو الزهري التناسلي

منذ بدء ظهور الزهري انتشالي في أوروبا منذ خمسمائة عام وهو يعتبر من الأمراض السرية - التي يود المصاب به إخفيه وعدم التصريح إلى أحد بأنه قد أصيب به

انتقل مرض الزهري التناسلي مع البحارة المتعلمين من أمريكا الإسبانية بعد أن اصيبوا به هناك وقاوده سمعهم إلى أوروبا، ثم إلى العالم القديم بأسره. فكان وجود المرض في أمريكا عام ١٤٩٢، وعاد مع بحارة عشرة كرلومبوس إلى أوروبا، وبحلول القرن الثامن عشر كان قد انتشر على كثير من الجاليات الكبرى في جنوب أوروبا

فكما صار الزهري التناسلي مرضا جديدا كلية وجديدا على أوروبا، ويتضح هذا من صفاته الجديدة، صارت له علامات جلدية واضحة وصار شديد العدوى ويؤدي في النهاية للموت.

وقد انتشر الزهري التناسلي مشدة بين ٣٠ ألفا من جنود الملك شارل الثامن المرتزقة الفرنسيين الذين زاحفوه في غزوه لإيطاليا. ثم روما ثم نابولي، حيث استمتعوا بصحبة ٧ آلاف من المومسات. وكانت رحلتهم مرحا ما جنسيا

ثم انسحبت داطرة هذا المرض الحربي الجديد ووصل إلى باريس وأخيرة وتشرة. ثم ربح مع البحارة إلى انجلترا وسكتلندا المستعمر الدينية والسكاسك الأوروبية أسيرى إلى جميع أنحاء العالم. وصارت له مراكز ينتشر منها على شواطئ الخير الأبيض المتوسط ثم في الهند وسيلان وشبه جزيرة الملايو، وفي عام ١٥٠٤ في كانتون (بالصين)، حيث كان يعرف «بالوحة شجرة لبرقوق».

ويمرور الزمن ازداد عدد من التقطوا المرض زيادة كبيرة، وازدادوا باطراد نقل الزواج الحدوى من المومسات إلى زوجاتهن، وعدم انتقال الشباب من الريف إلى المدن - بحذا في الصعد، زاد عدد المصابين بالزهري.

هكذا أخذت أمريكا مرض الزهري إلى أوروبا، كما أن السحي الدموي وراء الدهب من عوامل الانتشار السريع لمرض الزهري. فقد اندفع الخلق إلى أمريكا زرافات وجماعات. عدن عودتهم إلى كل مرة إلى أوروبا ينقلون معهم مزيدا من ميكروبات الزهري التناسلي.

ونظرا لانتشار الزهري - بعد عودة جنود وبحارة الملك من العالم الجديد - إلى جميع أنحاء أوروبا عن طريق بيوت الدعارة الرسمية ومحلات الخمار التي كان يستمتع فيها الأثرياء وذوو النفوذ بالاستخدام والمتعة الجنسية معا، صدرت الأوامر من عامي ١٥٢٠ - ١٥٣٠ بإغلاق حمامات البخار العامة وبيوت الدعارة الرسمية، حفاظا على الصحة

تزامن هذا مع جدوة مارتن لوثر في الأراضي الألمانية، والتي تبعتها موجة جون كالفن في فرنسا وسويسرا وأصلحات كنسيه واجتلعت أوروبا موجة الإصلاح الديني.

استغل دعاة الإصلاح البروتستانت - المتألقون وخريجو الجامعات - التسيب الخلقي والإباحية الجنسية التي سادت أوروبا وما صاحبها من انتشار مرض الزهري - الزهري - في حمتهم حد. والذي حد بهو نلعنه.

كان حصر بوءة، بالزحاف المقاسة. وقد عرفها العرب والمصريون. وكانت تسمى «مرض أبوب» ولم يتمكنوا من علاجها الا بعزل المرضى المصاب بالزهري عن قاربه واهله لمدة ستة اشهر. وقد كانوا يسمون الأمراض المعاصلية حمانا «مرض افرنجي» «مرض الزهري» - في حمتهم حد. والذي حد بهو نلعنه.

كانت البؤرة الحقيقية لتلك الأمراض هي أسيا عامة، وقد اصيبت نسبة عالية من افراد الحملة الفرنسية بالزهري والتناسلي حتى ان قادة الفارنيون الى اتخاذ وسائل بعقر عليها العدلق الحد من انتشارها

كتب الجنرال دبيجيا إلى بونابرت يشكو من اصغابا وكيف «بان مئشرن وباء بنغضبي في صفائن الفرنسيين وايد من إبعادهن فورا حتى تطهر ثكنات الجيش الفرنسي من فعائلهن. وكان تعقيب بونابرت على الهواش في الخطاب نفسه، «فلا ارتكاشرية بهذه المهمة حتى بعقد بصراحة.

ويذكر ديبجنت في كتابه (التاريخ الطبي لجيش الشرق) أن ٤٠٠ من المومسات اللاتي كن يمارسن البغاء مع الفرنسيين لقعت مشرومسن فالسيف والقلين في الميل بأمر الآلة، حتى يمكن عزل تغريض

وقد حاول الفرنسيون عزل الحالات الشديده بين هراد قواهم. ولكن معلوماتهم المحدودة وطبعهم العربي القاصر لم يمكنهم من السيطرة على انتشار هذه الأمراض التناسلية حتى كان الجهود الفرنسيون متعفنين للجيش، مع المومسات خاصة - للاقتدام للحدث الأسرى.

كسان الاهتمسام الأول للحكسومة البريطانيسة هو سريان الثروة من الهند إلى بريطانيا وليس السيطرة على الأمراض التي تصيب الشعب الهندي.

وقد تنقعت الكشوف العلمية عن هذه الرهرى من للتنا. إذ كشف فرنز شودين وإيريك دوفمان عن الميكروب المسبب للمرض في عام ١٩٠٥، وتبعهما في العام التالي مباشرة دوأسرمان، مابتداع طريقة عملية والكشف عن اختبار معملي يؤكد وجود المرض. وفي عام ١٩٠٩ كشف عالم ألماني ثالث «بول ايرليخ» عن عقار للسلوفرسان، احد مركبات الأضرار السمية القاتلة التي دأب الأطباء (والمشعوذون) ان يعالجوا مها المرض منذ عام ١٤٩٣ بالزئبق.

بعد أن فتحت الحرب العالمية الأولى قررت الحكومات أن الطريقة المثلى لمنع انتشار الزهري هي تشجيع استخدام العازل الذكري لحظر لجميع الشباب. بدأت الحكومة البلجيكية بتطبيق هذا الفداء. وبحلول عام ١٩٣٠ صارت اغلى انتشارا - من الحكومة الزهري تبعتها الحكومة البريطانية. ثم باقي حكومات أوروبا

لقيت السلطات حكومات مراكز للوقاية والعلاج من الأمراض التناسلية - وكان أضخم حلن المرضى تجاهها بالسلفرسان. ولكن المرضى خيبوا أمل الحكومات ولم يكمل الايتيم الحق الثماني المطلوب لمعالجتها تباعا.

وبعد عام ١٩٣٥ فرض على المراغبين من الزواج إجراء اختبار وأسرمان. ومن وجد نفسه مصابا بمرض الزهري التناسلي فإن عليه التعقيم قسرا أما في غرب أوروبا فقد استخدم «بوكرين تريبونوسيد» (بنزاثين) يمزج في الحمام رعاية حتى الأربعمئات عندما ما تكشف عن السيطرة التامة على الزهري التناسلي. ولكن فرض استخدام العقاء المطاطي الواقي لحجز القذات المنوية. لم تحل الحكسينات من القرن العشرين إلا وكان وباء الزهري قد تم انتشاره بشكل «خطير» إلا انه لم يحتف كلية وهو، يرفع راسه القبيح بعد عام ١٩٥٨ ومازال يعيش معنا إلى الآن

وقد وباء الكوليرا بالهند في عام ١٨١٧ ثم وصل بريطانيا عام ١٨٣١. وفي القرن التاسع عشر انتشرت بريطانيا ما يقرب من ٣٠ ألف مواطن من جراء خمسة أوبئة. في هذا اطرن نفسه، وفي الربع الأول من القرن التالي قدت الهند ما يزيد على ٢٥ مليونا من أهلها من مرضى الكوليرا.

ومن الملاحظ «به بصفة دت وبئة الكوليرا في ستطرا بريطانيا من يموت منها باطراد. كس الاقتصاد الأول للحكومة البريطانية هو التنمية الستمرة للهند ولبس السيطرة على الأوبئة والإجراءس التي تصيب الشعب الهندي

المصيبة كانت تجتمع تنحيطا واحدا. وهو أن استثمر الرساليون البريطانيون وكل عرم اموالهم في بناء مستوصفات للرئي والسكك الحديدية وللتسهيلات الموانى، للشحن والتفريغ ولم تستثمر اي اموال في مشروعات للارتقاء بالصحة العامة في البلاد، بالرغم من ان الطبيب البريطاني جرون سنو قد خرج بنظرية أن الكوليرا هي مرض ينتشر بشرب المياه الملوثة، أبان هذا الرأي لم يلق قبولا في بريطانيا نفسها، وأم تصدر السلطات البريطانية للسؤولة عن احتدمات الصحية في الهند أي اهتمام

كانت مصر في القرن التاسع عشر خالية من وباء الكوليرا التي يولبو عام ١٨٣٢ بعين اندلع الوباء في الأقصر، وانتشر في الإسكندرية إلى الشرق الأدنى. وفي أكتوبر اجتاح القاهرة وبلغ عدد ضحاياه فيما ٥٥ ألفا (بمعدل ٢٥٠٠ يوميا) وفي عام ١٨٣٤ حدث وباء آخر شدة وبلغت الوفيات ٣٠ ألف في القاهرة و٤٠٠٠ ألف في مصر كلها). ثم تكرر الوباء في عام ١٨٣٧، وفي عام ١٨٤٠. وفي عام ١٨٤٨ استقل الوباء في ملتطا ثم امتد إلى القاهرة. ثم انصب الإسكندرية. وظهر ثانية في الإسكندرية عام ١٨٤٩

في القرن التاسع عشر قام مبكروب الكوليرا بخمس جولات عالمية. وقام بجولة سادسة عام ١٩٠٢ في أوائل القرن العشرين.

وقد تم الكشف عن أسرير الكوليرا في الإسكندرية بوساطة الميكروبيولوجي الألماني الأصل روبرت كوخ عام ١٨٨٣، وفي عام ١٩٤٦ اجتاح العالم الوباء الخامس السابع وصاب مصر. وبيدو أن وصل مصر عن طريق الجو. بدأ في قرية القرين بمحافظة الشرقية بين العمال المصريين المتصلين بالجيش البريطاني، وكان مصهم جيود من الهند.

سرعان ظهر وباء الكوليرا بالهند في عام ١٨١٧ ثم وصل بريطانيا عام ١٨٣١. وفي القرن التاسع عشر أصيبت بريطانيا ما يقرب من ٣٠ ألف مواطن من جراء خمسة أوبئة. في هذا اطرن نفسه، وفي الربع الأول من القرن التالي قدت الهند ما يزيد على ٢٥ مليونا من أهلها من مرضى الكوليرا.

ومما يذكر ان اوبئة الحادي السادس الذي اجتاح العالم من عام ٩٠٢ الى عام ١٩٢٣ قبل ظهور وصل الى البلقان، فلو اتى ذا الكشف فيه عن فيروبو الطوب ـ مدينة الطوب بمصر لصباه.

لا تعرف اوروبا الكوليرا في وقتها الحاضر، رغم ان بريطانيا قد عانت من وبائها لاول مرة عام ١٨٣١ ـ ١٨٣٢. كشف روبرت كوخ عن الميكروب المسبب للكوليرا في الاسكندرية عام ١٨٨٣ وانتم بحوثه في كلكتا عام ١٨٨٤، وبعد اشهر الهدى اصطنع الهند المرض الذي يعيد عن مرض الكوليرا، بتصنيب عن ميكروب واري الشكل، متلوثوه المصاب عن طريق الفم بشرب الماء الملوث بالمستحضرات الآسيتية، وقاسوا عن طريق تعاول المجارات البحرية والحيوانات القشرية. او الحشرات او القاتكة المحمولة المياه ملوثة بفضلات آدمية، او اي طاهر مجد عليه الذباب ولوثه بهذه المعطيات.

عن هذه الوسيلة انتقلت الكوليرا من افغانستان شمالا الى روسيا وغربا الى بلاد الهند والعراق عام ١٨٢٠.

يعيش الميكروب ايضا في امعاء بعض الادميين الذين لا عاصم من ان اعراهم ولكنهم ينقلونه الى الآخرين اذا تناولوا شرابهم وطعامهم بفضلات هؤلاء المبشر. وعن طريق شاربي الماء الميكروب ملات الكوليرا، متوغلة في كثير من المخصصات. تحركت الكوليرا مع طرق مواصلات البشر ـ مصادات الاقدام او طرق السيارات ـ وتشبعت طرق على صياء الشرب الابخار والموانع والقنوات. وموسوس المياه، والمصفحات العامة والمرد والآبار. كذلك يمكن انتقال فيروس الكوليرا بطريقة اخرى، بالطائرات اذ حدث عام ١٩٩١ عندما انتقل الميكروب من فيروز الى الولايات المتحدة الامريكية، على احدى طائرات الخطوط الجوية (الجنجيزية).

وقد نقلت الموضعات الكوليرا من باريس الى قرانس عن سعد ٣٠٠ كيلو متر من المعاصدة خلال الاونة التي حدثت في الفترة ما بين ١٨٣٢ و ١٨٣٨ و ١٨٤٩. وبعد تصف قرن ظل الاخوين الهاربون في الهواء الذي حدث في بروفنس المرض الى شاوون، كذلك قدت ان جنود الغزو الفرنسي هم الذين نقلوا الوباء الى الجزائر في اوائل السنوات التي تلت عام ١٨٣٠. كذلك نقل الجنود الفرنسيون الوباء الى شرقوا في حرب القرم عام ١٨٥٣ ـ ١٨٥٤ الكوليرا التي مرسيليا من شمال فرنسا. ثم تفاوضا الى البلدان الروسية المواجهة للبحر الاسود.

وكذا اعادت غرب اوروبا الاونة الفاتلة الى روسيا التي صدرت الطاعون عام ١٣٤٧ الى طفير سفن جموة التجارية التي تقلب بعد ذلك إلى اراضي المدالية.

لعل استعراض اظهر معالم تاريخ الكوليرا في الهند يعطينا سطى الدروس. في عام ١٨١٧ غرف في كلكتا، واعلن القسيس الانجليزي توماس مالتوس مؤلفه الشهيرة ، ربما تكون العواقب مرغوبة ومحدودة وان فادئة فوى. لانها سوف تكون الحل الوحيد لتزايد عدد السكان».

في عام ١٨٢٧ ساد الهند كلكتا الوباء الثاني الشامل ـ وتقدم بعد ذلك ووصل اوروبا.

منذ بداياته الاولى في الهند ضرب الازعلير الشامل في طوبه بالعنف والتحويف وانارة الرعب وبالقسر. واستخدت هذه الاستراتيجية قاطعة حتى وقت قريب واحل اكبر فشل للقسر البريطاني للهند هو عدم إمكانها تحقيق اي مجاح في رفع مستوى الصحة العامة. مما كان له انعكاسات على التطور السياسي في انجلترا نفسها حتى طهور وباء الكوليرا لاول مرة في بريطانيا عام ١٨٣١ ـ ١٨٣٢.

ومع التزايد المستمر لعدد السكان في بريطانيا، من ٥ ملايين في عام ١٧٠٠ الى ١٠ ملايين في عام ١٨٠٠، اخذ من اهل الشوب ـ الشخص الرهيب في الكنيسة ـ لانجلترة ـ في عام ١٧٩٨، ان «الطبيعة يحكمنا بسجل مشكلة التزايد السكاني بالمجاعات او الحروب او الطاعون». ولم يدر ان الكوليرا هي الوباء القادم الذي سيهوي تحديقا به بانتباه.

ومع ذلك حدث انخفاض في سن الزواج (من ٢٦ سنة الى سن ٢١ سنة للبنات)، وتزايد وسائل سبل الحمل، فزادت نسبة المواليد زيادة كبيرة، وزاد عدد الأفواه التي تطلب الطعام؛ وتزايد عدد سكان المنطقة الحاملة في بريطانيا واصبح نصفهم قل عن عشرين سنة من العمر. وبلغ ثلاثة أرباعهم اقل من ثلاثين عاما. وأدى هذا التشكيه الجزء كثيرمن من المعدمين الكثالوند من ايرلندة، الى احتدا

ترايدت الفجة واصبح التذمر بين طبقات الشعب المحكومة شائا وصار العصيان على الابواب. انضم كثير من شباب الطبقات الوسطى الى الجمعيات الاهلية التي تنادي بالاشتراكية والعدالة الاجتماعية.

في ذلك الوقت عدن وباء الكوليرا كسرة اشهر في الهند، واعتد بسرعة الى اماكن اسرة روبة تؤلف. التي تحكم روسيا ـ وسيرة الهابسبورج ـ التي تحكم الامبراطورية النمساوية المجرية: وحدث تذمر وعصيان وصيح بين الجماهير (الذين اعتقدوا انها صورة من حاكمها الاكراستراطوريل ارتفاض حد المواطنين الذين زادوا عن الحمى). في تلك الوقت ضات في بريطانيا مدارس التشريح (مستمد اولى مدارس التشريح عام ١٧٨٠ في اسبوع).

استلزمت دراسة التشريح طلب المزيد من جثث المتوفى والتعالد مع لصوص المقابر (تطوع الاهم والى حد اتركاب جرائم قتل لتوريد الجثث طازجة بمجرد الوفاة). لرصف اية الطبقة العاملة تماما التضحيه بزعجة بطلت موتاهم

ترحيل ملايين الأفارقة قسريا من بلادهم إلى أمريكا كان عاملا هما في نقص الناضة لديهم وسقوطهم صرعى للملاريـا عنـدما هاجمتهم في العالم الجديد.

وبعد استخدام محلول «الفينيك» الذى يعد الحرب الثانية انخفضت الوفيات من الكوليرا إلى أقل من ١٪ من المصابين

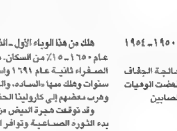

• لولا المرض لكانت قارة أفريقيا فى مقدمة الدول المتحضرة فى العالم.. كما يعرف عنها كانت عليه مصر. وماذا أصبحت عليه قارة أفريقيا الآن، التى هدمتها الإمراض المعجية وأسطبولة» هذه «الحولة» قالها سيد بارتيك مانسون ـ رائد الإمراض المتوطنة فى العالم ـ عام ١٩٠٧

وقدت الحمى الصفراء العالم الجديد على الفور. السفن التى حملت العبيد النزوح من أفريقيا، وأول تسجيل للظهورها فى باربادوس كان عام ١٦٤٧. كذلك حملت السفن القادمة من أفريقيا أسراب الحشرة الناقلة للمرض. وقد سجل ظهورها فى «أقاليم الزنوج الترفيالية والأسيوية منذ عام ١٩٠٣، وقد تسبل سنوية الوفيات من الملاريا الخبيثة إلى ٢٥٪.

كلمة «الفودو» بالإيدان ـ من معبد بامستير ـ عن العالم الخفى للمعالجة بالملاريا ـ عالم «البلاكوبيوه» ـ عام ١٨٨٠، وانتشر الراى الذى جاء من إيطاليا أن الملاريا تنشأ من الأبخرة الفاسدة التى تتصاعد من الترب والمستنقعات، وتم الكشف عن العامل المسبب للحمى الصفراء وتم نقل الفيروس فى عام ١٩٢٨ فى غرب أفريقيا وتأكد أن كل المرضى يدلان للإسناد إلى لدغه باصناف معينة من البعوض.

وأعلن فى مؤتمر الصحة بباريس سنة ١٩٢٨ أن مصر، وجود أنبوعة الناقلة للحمى الصفراء «إيدس إجيبتاى» ليس كافيا لانتقال المرض. فهى موجودة فى الصين ولايصاب بها مئات الملايين من الصينيين. وموجودة أيضا فى المرازيل. ويلع صرعى للحمى الصفراء آلاف الصينيين اذ يبلغون إليها.

كذلك عرف أن المبعوض الذى انتقل لحظيرا مهووت من قديم الآزل فى أمريكا. ولكن لم تحدث إصابة بملاريا إلا بعد انتقال البشر من أوروبا ومن أفريقيا بدءا برحلة كولومبوس عام ١٤٩٢.

ولعل ترحيل ملايين الأفارقة قسريا من بلادهم إلى أمريكا كان عاملا مهما فى تلقى المناعة بديهم وسقوطهم صرعى للملاريا عندما هاجمتهم فى العالم الجديد

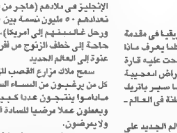

واجدير بالذكر أنه منذ بدأت تجارة الرقيق حوالى سنة ١٥٠٠، وبلغت أشدها بين عامى ١٦٩٠ ـ ١٧٥٠، حتى منعها فى منتصف القرن التاسع عشر، تم شحن ما بين ١٠ ـ ٢٠ مليون أفريقى، حيث المجتمع الأطنطى لإمريكا، توفى حوالى ٤٠٪ منهم من جراء الأهوال. أو الموج فى التخديف الذى ولقوم فى أثناء رحلتهم شديدة البشاعة على ظهور سفن الرحل الأبيض

يقدر تعداد من خسرهم غرب واوسط أفريقيا من البشر ما بين ٤٢ إلى ٣٧ مليون؛ ظل الأقارقة أن الرحال من المجتمين من البشر، أكلى لحوم البشر، وأنهم يفصدون ثورزيدهم إلى امريكا لكل لحمهم

انتشرت الحمى الصفراء أولا فى باربادوس عام ١٦٤٧ (والتى بدأ الإنجليز فى استخدامها عام ١٦٢٧) وأعقبت مشروعات تطوير العالم الجديد؛ الإقالة المتسارعة والبشعة للغابات وزراعة الأراضى البكر التى نشأت بقصب السكر، وتطهير الزنوج الذين جلبوا من أفريقيا فى تلك الحقول ذو بيع السم المنتج إلى إنجلترا.

الأوبئة نتيجة مباشرة للاستعمار الأوروبى.. ولولا مساعدته فى نشرها لعانت الخاطئة وتقاعسه عن مقاومتها لما انتشرت هذا الانتشار. المستوطنون البريطانيون الأوائل كانوا مقتنعين بأن الله أراد أن يحصد الجدرى السكان الأصليين لأن مشيئته أن يختفوا ليرث المستوطنون أرضهم!

من إسبانيا لشكل الحرب الإنجليزية الأمريكية من عامى ١٨١٢ ـ ١٨١٤ وأغرقتها من سكانها، وتم استيراج الفطن بواسطة العميد فى هذه الأثناء التى تكتسبها الولايات المتحدة.

زاد على ذلك، الأراضى البيض من سطوتهم وازداد قهرهم على المسيحيدم من الزنوج. وبدا المشاعيون فى المناطق يتضررون من سطوة البيض. وصاعدت «بنشة الحمى الصفراء» حتى سنة ١٨٥٠ وأصابت الدنن الكبرى فى الجنوب: تبو أورليانز ومفيس وشارلستون. وغيرها من المراكز المحلية التى كانت تزور ملاك الأراضى بالحمحمات الفازمة. واسعدت تلك الأوبئة سمعة سمحة على الولايات الجنوبية

وقد ادعى الأطباء الجيوبيون ان الحمى الصفراء هى مرض الزنوج ـ المنحطين عرقيا عن السيض ـ وسهم ناقوه بلجس الأبيض (العقلية ان ذه اسكان سكنى الزنوج من تزاحمهم وضيق المكان فلمثل عليهم وذه المكان بالصرار، التى يؤدونها للنشاقة. كان يهنى الظروف المثلى لتفوق بوعوشة الإيدس العاقلة للحمى الصفراء).

ومع ذلك كانت نسبة الإصابة بالحمى الصفراء أن كثيرا من الزنوج عن البيض، وشدة إصابة البيض أشد ضراوة بكثير من الزنوج (لأن أطفال الزنوج المصابين يلدغ البعوض الناقل للمرض من طفولتهم المبكرة ويكتسون قدرا كبيرا من الحصانة).

مع انتشار صناعة السكر فى جامايكا عام ١٨٣٨ استولت جزيرة كوبا على المسرح وصارت كبرى المناطق فى العالم الموردة للسكر. بالرغم من حظر تجار الرقيق استمرت كوبا فى جلبهم من افريقيا حتى عام ١٨٨٦

صار سكان الحاضنة ـ كوبا ـ خليطا من الأفارقة والأوروبيين الجنوبيين من الأسبان والبرتغاليين وسكان جزر الكارى. واردحرت ماهانا وصارت ثانية من الامريكتين ـ بعد هلك من هذا الوباء الأول ـ الذى استحق عدد ١٥٠ ـ ٢٠٪ من السكان. ضربت الحمى الصفراء ثانية عام ١٩٠٩ واسفرت لعدة سنوات وهلك معها «السادة» والحدم والعبيد، وغرب معظمهم إلى كاريولينا الجنوبية.

ولم توقف حمرة البيض من ميولهما بعد بدء الثورة الصناعية وتوافر الأطباء الذين أرسلتهم الإنجليز من ملايعم (هاجر من أوروبا ما يبلغ تعدادهم ٥٠ مليون نسمة بين ١٨٤٠ ـ ١٩٤٤، ورحل غالبيتهم (إلى امريكا) وقام تعدد هناك حاجة إلى خطف الزنوج من أفريقيا وترحيلهم عنوة إلى العالم الجديد.

سمح هلاك مزارع القصب للزنوج بمعغارة كل من يزعجون من السادة السود. لتعتقيم ماداموا ينتجون عددا كبيرا من الأطفال ويعملون عملا مرضيا للسادة أصحاب المزارع ولايمرضون.

وبعد النجاح البالغ لإنتاج السكر من باربادوس انتقال فى جزيرة جامايكا ثم إلى المستعمرة الفرنسية فى سان دومينجو (هايتى). ثم إلى البرازيل وإلى جزيرة كوبا. وقام بالعمل فى هذه الأماكن عميد من زنوج أفريقيا. بعد أن هدت الأمراض (الجزرى) ماداموا ينتجون عددا كبيرا من الأطفال ووحشية المستوطنين الإسبان السكان الأصليين لليلاد. ثم حلت الملاريا الخبيثة والحمى الصفراء محل الجزرى كأداة لقتل السكان المجد من البيض والسود.

استمر وزوج النزوج العميد فى افريقيا إلى الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكية، واستمروا يزرعون حلول القطن المتزامنة الأطراف التى كانت تزود مصانع نشرت الولايات المتحدة الأراضى الجديدة المنتجة للقطن فى نيوزيعا من فرنسا عام ١٨٠٣ (تستحدد فى فرنسا القطن فى عهد حملتها فى هايتى). وضمت الولايات المتحدة بعرى لويزيا

بعد نزول الأسبان إلى أمريكا الوسطى حاملين معهم الأنفلونزا والتيفوس والجدري، سار ثلثا الأهالى الأصليين يموتون فى سن الطفولة أو الشباب.

بعد الحرب العالمية الأولى وهزيمة المانيا اجبرت فرنسا وإنجلترا اهالى افريقيا (وسائر المستعمرات) على التجنيد فى قواتها المسلحة. وهرب الكثيرون من المستعمرات الفرنسية وسلموا انفسهم للانجليز، وتسبب هذا فى زيادة الإصابة بالملاريا بعد تغيير السكان لاوطانهم الأصلية واصابتهم بمصائل جديدة من الطفيليات لم تكن لديهم أى حصانة ضدها.

كانت اعداد السكان تتزايد بسرعة فى اوروبا (معدلات تصل إلى ١٥ ـ ٢٠٪ فى العام) ولكنها كانت لاتتزايد فى افريقيا ـ من حراء الأوبئة التى لم تشهد السيطرة عليها. وقد جلب الفرنسيون واللبنانيون والسوريون لمعاونتهم فى التجارة فى غرب افريقيا ـ إذ كانوا يعتبرون الإقارة مخففين عليا.

عند انهيار مؤتمر امراض المناطق الحارة فى القاهرة عام ١٩٢٨ كانت الاحوال الصحية قد تحسنت لدرجة بالغة. فى اوروبا وفى أمريكا ولكنها بقيت مذهورة فى افريقيا. وظلت اوفيات من الأوبئة مرتفعة فى البلدان التى لم يذر فيها استيطان الاوروبيين. فى حين انخفضت إلى المعدلات الأوروبية فى الجزائر وفى المتدثق المرتفعة من كينيا وفى اروديسيا وفى جنوب افريقيا ـ الأماكن التى استوطنها الاوروبيون ـ وفى الواحد القرن العشرين فإنها ظلت محدثين مهولين فقد اكتسب عدد كبير من اصناف نقل الملاريا حصانة ضد المخافير القديمة منها والحديثة، كما صار البعوض مقاوما بكيماويات ومختصة ما يهدد ثانية بانجذاب الزمة.

من بين عشرات كتب التى يتم نشرها تباعا عن الأمراض المخدية ووقعها على المجتمع والسياسات الصحية للدول المختلفة ـ يثير كتاب شلدون واتس أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة كثيرا من التساؤلات والأفكار. ويرى المؤلف ان الأوبئة نتيجة مباشرة للاستغمار الأوروبى الذى لولا مبالغته فى نشر الأوبئة ـ بتصرفاته الخاطئة فى كثير من الأحيان ـ وتقاعسه عن مقاومتها فى أوقات المناسب ـ لما انتشرت هذا الانتشار.

ولقد شهد النصف الاخير من القرن العشرين انحسارات هائلة للعلب كمعلم منضبط يتبع الأسلوب العلمى ويدين لمقدمه بالمبلغ العلمى ولكن هذه السنوات شدت أيضا انفصالا يرداد اتساعا بين الخدمات الصحية الفعالة المتاحة لقليل من البشر وغير المتاحة لغالبيتهم. إذ يسود الجهل كثيرا من المجتمعات، فيتمسك البعض بالخرافات ويؤمن آخرون (من الأطباء والمخططين والساسة) أن زيادة اعمار البشر ترجع إلى طرق التشخيص والعلاج الفعالة. بينما الحقيقة أن ارتفاع مستوى المعيشة وتوفير الماء الصالحة للشرب وضمان الغذاء المتكامل الثانى والتحصين ضد الأمراض وغيرها من وسائل الصحة العامة ـ هى السبب الرئيسى فى طول مدة الحياة وارتفاعها إلى أن وصلت فى المتوسط إلى اواخر السبعينيات فى المدارس المتقدمة.

على الساسة ـ إذا ادركوا هذه الحقيقة ـ عدم التهاون فى توفير وسائل الوقاية من الأمراض بدلا من إنفاق مليارات الجنيهات على علاج القليل من الأمراض. ونصحنى أنه بدلا من أن يتحصص المانيهون من شبابنا فى عمليات زرع نخاع العظام أو جراحات القلب لابد أن يهتم الكثيرون منهم بالمشاكل الصحية الحقيقية التى يعانى منها الملايين فى الريف أو فى الأحياء الفقيرة فى المدن.

وقد توصلت شركات الأدوية الكبرى التى تساهم شركات فى الصحية وشلل الأطفال والتيتانوس والدفتيريا، وغيرت من صورة هذه الأوبئة فى العالم، ولكنها لم تبذل بعد الجهود الكافى لإنتاج للمخاصات فعالة للأوبئة المتبقية التى تعانى منها الدول الفقيرة.

من مصائب الدهر أن حكام الدول العامية يسعون لشراء المزيد من الطائرات المقاتلة أو الخواصات أو الأنفاق أو زيادة تسليح وإعداد القوات المقاومة للضغب، أو زيادة الإمكانات فى المختلفات. أو تحديث وسائل التضغيب فى السجون.

صناع الأسلحة هم أشد من يكون سعادة من هذه السياسات فى العالم، والتى يبيعونها للدول النامية. وعلى راسهم الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا. هذه الأسلحة تستخدم فى الحروب المحلية الصغيرة. بينما تلك الامم فى أشد الحاجة إلى رعاية الصحية الأساسية والتى تحتاج لاستخدامها إلى قدر ضئيل من تلك الأموال.

ومن دواعى السحرية أن الأمريكان ـ الذين يبدأون بأن لديهم أعلى مستوى للطب فى العالم ـ فوجئوا عام ١٩٨١ بظهور مرض «الإيدز» (عقر المناعة المكتسبة) بينهم. ذلك المرض الذى لا يرحمه منه ويؤدى إلى الوفاة حتما (تبعا لمعرفتنا الحالية) والذى لم يصنع له لقاح واق بعد.

مات من الإيدز فى السنوات العشر الأولى بعد التعرف عليه ـ ١,٥ مليون نسمة فى العالم كله، وسوف يبلغ عدد المصابين بالفيروس عام ٢٠٠٠ زهاء مليون نسمة. تلقى هذا الوباء سوء سمعة القدر الرهيب بعد ثلاث سنوات من إعلان منظمة الصحة العالمية عن خلو العالم من مرض الجدرى.

ومن السحرية القدرية ـ للعرة الفائقة ـ أن صرض الإيدز كان أشد انتشارا ـ فى سنواته الأولى ـ فى فارقى امريكا وافريقيا (الفارتان اللتان شهدتا حركة انتقال للسكان بالهجرة القسرية لملايين البشر من افريقيا إلى امريكا فى الفرون الثلاثة الماسلة).

ومن سخرية القدر ايضا ان مرض الدرن ـ قد صار هيكوبوه الذى كشف عنه وبورت كوخ عام ١٨٨٢ ـ مقاوما لجميع مضادات الدرن وصار مستعصيا على العلاج وسيعاود فى المستقبل القريب ضرأوته وخطورته البالغة على الانسانة. وسيصيب بعض فقراء العالم المحدد الدنيى يزداد عددهم فى امريكا وبريطانيا وروسيا ـ بالإضافة إلى فقراء الدول النامية ■

كتاب الزاوية

من شعر ابراهيم ناجى

النأى المحترق

كم مرّةً يا حبيبى ... والليل يعنى البرايا
أهيم وحدى وما فى ال ... ظلام شاك سوايا
أصيّر الدمع خمْرًا ... وأجعل الشّعر نايا
وهل يلذّى حطام ... أشعلته بجوانا
النار توغل فيه ... والريح تذرو البقايا
ما أتعس النأى بين ال ... ـمنى وبين المنايا
يشدو ويشدو حزينًا ... مرجّعًا شكوايا
مستعطفاً مَنْ طويا ... على هواه الطوايا
حتى يلوح خيالٌ ... عرفته فى صبايا
يدنو إلىّ وتدنو ... من ثغره ثنتايا
إذا بكفى تلاشى ... واستبقت عيايا
ورحت أصغى وأصغى ... لم ألف إلاّ صدايا!

اذكرى

اذكرى ذاك المساء ... كيف كنا سعداءْ
لم يدع عندى همًا ... ومحا عنك الشقاءْ
ملأ الدنيا صفاءً ... عندما شئت وشاءْ
أحسن الدهر إلينا ... بعدما كان أساءْ
كلما أقبلت السحـ ... ـابات غائمات ... يتهادين بطءْ
لاح نجمٌ من بعيد ... فتجلى وأضاءْ
وتصدّى قمرٌ را ... ح على الأرض وجاءْ

رأى آخر في هتلر

جـــــوردون كـــــريج

[١]

■■ نحن نقترب الآن من نهاية القرن. وذلك حدث يبدو دائما نوعا من الهياج بين سكان اعماق الغرب، الذين يرون فيه محطة مهمة تقطع مسير الزمن، وفرصة مناسبة لنقويم الماضي وتخطيط المستقبل. وفي فوق كل شيء فرصة لاعداد القوائم وكان من علامات نهاية القرن التي دعلت مجلة «تايم» في شهر ديسمبر (١٩٩٧) انها تحتوي خلال الشهور القليلة أن تحتفل بالأشخاص المائة في عصرنا الذين كان لهم أكبر الأثر على العالم وعلى الطريقة التي سوف يرى بها المستقبل. وفي ممارسة سنتقشى في آخر عام ١٩٩٩ بالتحديد «شخصية القرن»، وربما محرور المجلة قد اراهم لتقديم ترشيحات. وأنا هوا هم بعرض قائمة مؤقتة من جانبهم للعلنت: ترشرشل، وروزفلت، وستالين، ولينين، وهتري فورد، بدل حايتس، جون ليتون، صيك جاجر، والفيس، ولويس أرمستروج، وجورجيت سانصرا، وروزا باركس، ومارلون براندو، وايشتين، وميكاسو والام تيريزا وجاكي روبنسون

واول ما يستلفت النظر في هذه القائمة المختلطة انها لم تتضمن الشخص الهما اكثر من غيره لنوفاء بالمعايير المعلنة، الا وهو ادولف هتلر. ففي هذا القرن الذي شهد التغير من اجعال العدف، كان هتلر تجسيدا له منذ البوم الذي اخرج فيه ألمانيا من مؤتمر ترع السلاح وعصبة الامم في أكتوبر ١٩٣٣ (إلى يوم وفاته بين انقاض برلين بعد ذلك باثنى عشر عاما. ولن يستطيع احد ان يقيم اكبر حرب شهدها التاريخ إلا إذا قيم دور هتلر في إشعالها، كما انه كان مسئولاً عن جميع النتائج المفجعة التي نتجت عنها. وقد كتب سيستيان هافنر مثل عشرين عاما مقالة بديعة يقول فيها:

«ان هتلر اليوم... شبح لا أميل، هو من صنع هتلر. فبدون هتلر لا حدث تقسيم ألمانيا وأوربا ومصير هتلر لما كانت هناك إسرائيل، وبغير هتلر لما كانت هناك نهاية للاستعمار، أو على الأقل لم تكن لتتم بهذه السرعة. ولن تحرر الاسبويين والعرب والافارقة السود. ولما ترا لجمت اهمية أوربا

ويبدهكس ذلك كله هي الاهتمام غير العادي الذي لا يبديه المؤرخون وحدهم بل يبديه أيضا المواطنون العاديون بحياة ذلك الرجل واعماله وعدد الكتب والمقالات والأفلام وبرامج التلفزيون التي خصصت له اكبر مما خصص لأي شخص آخر من الزعماء الوطنيين في هذا القرن. والآن وبعد مرور خمسين عاما على وفاته لا يبدو ان اهتمام الناس بهتلر يقل، بل إن الكلمات التي كتبها المؤرخ الالماني جيرارد شرايبر في الصحيفة «بابل برلينر تسايتونج» عن هتلر، في اليوم الصدق من الوقت الذي كتبت فيه

[٢]

يقتبس جون كوكاتش عبارة شرايبر في

The Hitler of History
(مئتر في الكتابات التاريخية)
John Lukacs
New York Knopf, 1997

العدد الثالث، أبريل ١٩٩٩م

عالم اليوم من صنع هتلر
ولولاه لما اقتسمت ألمانيا
وما كانت إسرائيل
وما انتهى الاستعمار
وما كان هناك تحرر سريع لأسيا وأفريقيا
وما تراجعت أهمية أوربا!

يورد فيها اقتباسات من الكتب التي يقاتشها ويقارن بينها وبين الكتب الأخرى (والمواضع حي من بين أطرف وأهم خواص هذا الاختيار. وإن كانت تتسم في بعض الاحيان بموضع جدل. إذ يقابلها البعض أو يرحصونها على الفور. وتتحول في بعض الاحيان إلى محاضرات موجزة عن طبيعة التاريخ وغير ذلك من المواضيع التي تثار على دفن المؤلف)

ومن بين الكتب التي يناقشها، فضلا عن هذا، كتاب المؤلف ذاته لون كوكاتش. وهو يعتقد ان السيرة التي كتبها بواقيم فست في سنة ١٩٧٣ هي افضلها ومن بين الدراسات الأقل طولا، فإنه يعجب بكتابات بيرسي شرام وارنست دوبرلين والوزج الفسوي فورديك هيز - وهو دائما على حق من انتصار المسببة، وانصار التصحيح، ويقول عن هذين الاتجاهين: «لم مكد مضمين سنة من ابحث فإننا الآن نرى ان هتلر كان شخصاً أكثر تعقيداً وتحدداً للجوانب مما يبدو في اللوحة ذات البعد الواحد للظروف التي رسمها الآن بولوك في سنة ١٩٥٢ ووصفه فيها بانه اشهازي صميم. وبدلا من قواه الفكرية كانت كبيرة وقد أدى ذلك بالبعض إلى التركيز المفرط على الجانب السحاسيس، والغني، والإنساني في شخصيته على حساب جوانبها الأخرى، مثل ميله إلى التحجر في الظماء وقدرته على تركيب الأفعال الجماعية.

لكن ان هناك تصويراً أعادي العالم، ما حقيقة هتلر من سعادة ورحاء؟ أعاصية الشعب الألماني في الثلاثينيات - دون إشارة إلى الحواس الخاصة لتلك الصورة الشعلة؟ وكأن هناك من يتذمرون للمدير في محاولة لإعطاء الصورة بين يدي فرخ في الدماغ عقد، فيث اتجاه لنسرة هتلر - وهو جوليا - من مسئولية إشعال الحرب العالمية الثانية. وهم يقصرن رأسه بسبل الأمر من بعد سعوبة لاعبته وتشتيمه بعنف، وحتى إلى حول وسط والتعبيد الرئيسيون والبعيدون ولا أعرف أي كتاب عن تاريخ هتلر مثل أن يعتبر الفص أيبتلر جرثيا عن الام خطوته التي حسرت مصيره في الحرب لا وفي قراره مباشرة، وسبب هو سنة ١٩٤١ وهتلر متفوق المسماء إلى وثم مشكوك في صحته - بار سالير كان على وشك مهاجمة ألمانيا في سنة ١٩٤١.

إن من يستمين إلى تصحيح الصورة ويدفهم بصع لوكاتش الكاتب امريطس غير الانتباه دافيد إيرفنج. يعملون بلك لمساندة إنكارهم مسئولية هتلر/ابنيه عن فظائع مثل محاولة ابادة الشعب اليهودي

إن نطرلتنا إلى الماضي لا يمكن أن تكون دائمة أو تتغير. فالواجهة على جزء من العملية الساريحية. وهي عملية خلقية تسعف صور الزمن وما يصحبه من تغير في زاوية الرؤية ومراكم المعلومات الجديدة. كما يمكن أن يجلل بها وقوع أحداث طارئة. وكانت الفضيحة التي ارتبطت بمحاولة ريتشارد الثورة التي قام بها الرئيس ريجان ليمتسسرج في سنة ١٩٨٥، عندما دعى لزيارة المقبرة التي وقعت فيها رفات مازالت صادقة الآن كما كانت منذ أكثر من ستين عاما: ان هتلر لم يلق تقديره الصحيح من جانب أعدائه، ولا من جانب حلفائه المؤقتين.

وبعد ذلك، مر أكثر من خمسة عشر عاما، قبل أن تظهر دراسة جديدة تو سيرة موفقة لحياة هتلر، باستثناء الكتاب الصغير الذي اصدره هيو تريفور روبر بعنوان «أيام هتلر الأخيرة» The Last Days of Hitler في سنة ١٩٤٧ والذي تناول موت الفوهرر في قبو المستشارية. غير أن سنة ١٩٥٢ كانت غلطة فحول بارزة: حينما صدر كتاب الان بولوك الهام عن سيرة هتلر باللغة الإنجليزية (وكان بول كتاب يستفيد بالوثائق الألمانية التي قدمت في محاكمة نورمبرج). وصدرت أول سيرة ثلاثية جادة بقلم وائتر جورلتز وفريدت كويست. وكذلك ما حدث في نفس الوقت من إنشاء معهد التاريخ المعاصر في ميونخ بناء على مساعي مارتن روتفر وتيودور إيشنبرج بمعاونة مدينة المنح العلمي المتحلق بالناشي القريب. ونشر نشاطع ذلك البحث في المجلة التي يصدرها المعهد وعنوانها Vier teljahrshefte fur Zeitgeschichte (المجلة الفصلية للتاريخ المعاصر) ويعد ذلك بدأت الكتب المتحلقة بهتلر تتكاثر.

ومناقشة لوكاتش لهذا العمل التاريخي دقيقة وانتقادية وأولى مما يتصور المرء له ممكن في حدود كتاب صغير كهذا. وقد تمكن من ذلك بسبب استخدامه للمواضع الطويلة التي تشغل أحيانا تلك الصفحة أو أكثر، والتي تصفح الأولى من كتابه الجديد عن هتلر. وهي تصلح عموماً لأن تكون شعاراً له. وفيس لوكاتش غريبا عن الظرة الهتلرية. فقد كتب في سنة ١٩٧٦ دراسة فريدة من نوعها عن الرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية. وعقبها في سنة ١٩٩١ بعرض درامي لما أسماه «الحرة» بين هتلر وستالين شترشل في ربيع ١٩٤٠ غير أن موضوعه في هذه المرة ليس عسكريا ولا محرراً بسبب دل هو مدث تاريخي كما ان هذا الكتاب يعد تاريخاً لعطور معرفتنا بهتلر. هما يعني استطلاعها من عمل كاتبي سيريه. وذلك يتضمن بحث جواب في سجل هتلر العلمي لم يتم الاتفاق مسبقا عليه، ومعنى ان يوسع لم يتم الاتفاق عبر ما يمكن ان يقال. بعد مرور حمسين عاماً على وفاته، عن مكانته في تاريخ بلده وفي القرن العشرين.

كانت أول دراسة جادة عن هتلر في تلك التي قام بها فونواد هابين والتي نشرت في زيورخ في سنة ١٩٣٦. وكما يظهر من تاريخها، لم يكن بوسعها أن تذكر شيئاً عن الجانب الأكثر تأثيرا في شخصية هتلر، لكنها كما يوضح لوكاتش - حافظة بمعلومات تحتفظ بقيمة له حياته المبكرة وصعوده إلى السلطة. وبالذات لأنها اعتدت مبكراً فهي خالية من الاتجاه لاعتبار هتلر مختل العقل أو تجسيداً للشر. وهما الاتجاهان اللذان أضفيا لونهما على الكثير من الكتابات الشعبية التي كتبت عن هتلر في السنوات التالية، كما كان هابين ناقداً متمدداً للأساطير والحكايات التي أحاطت بأسم هتلر ويقول عنه لوكاتش: «إن فكرته الأساسية

نقسم المؤرخون وجانب كبير من الأكاديميين انقساما حادا حول ماضى النازية. وكان من أهم الحجج أن ألمانيا اختارت وحدها بغير حق لإلقاء اللوم عليها. فى حين أن الاتحاد السوفيتى كان لا يقل وحشية وقمعا

أعضاء من منظمة الصناعة الألمانية. كانت قيمة إثارة وجه الاستياء والإنقاذ فى الماضى. وكذلك إثارة معاقبتان عليه. واتخذ مأساى أسارى ثانية لمناقشى الهولوكست. وكان ذلك الحوار صورة الجهل التاريخى الذى دار فى عامى ١٩٨٦ - ١٩٨٧ والذى قمت فى هذا الكتاب محاولة من جانبى لتبين من المتحدثين - هذا ترنست بونته وسريدا فيكتوريو - تخصص صورتى منكر وهلوكست وزنا فى حياة الشعب الغليوب الاجتماعى يورجن هابرماس مجهوم صحق على ما سماه أدولف هتلر المحافظة الحديدة فى المشتقطين بمقدمة استريخ وقبل أن يمضى الحكم كان قد شارك فيه كل كبار المؤرخين فى ألمانيا تقريبا وكان قد مين من المؤرخين وحدها كبيرا من الأكاديميين وعددا ينضمون أقساما حادا. إذ ألهم مؤيدو ثولته وفيلبوتريو مهارخيهم نائهم من قتلة السامية. وتلهم يحاولون منع نشر الأراء التى لا تلقى تأييدا شعبيت. وتهم يلقون القلال على مخالفى الأمة. وكان من أهم الحجج التى استخدموها القول بأن ألمانيا اختارت وحدها بغير حق وألقاء اللوم عليها. فى حين أن الاتحاد السوفيتى كان لا يقل وحشية وقمعا. ان يقل أحد.

ونتيجة لذلك. فقد اتجها المقاومة ما أسماه بعض الباحثين المقرة الأحادية لشارح ألمانيا الغربى. وفى البداية تدل فرضية أعداء ألمانيا السابقون. ولن ذلك لم يلبث أن أدن على الدراسات المقارنة. ويوضح كوكاتش أن هذه الفكرة قد ظهرت عام ١٩٩٥ من السيرة الذى كتبها بوليفيه قيست من هتلر كان مؤيداً لشوته الشاب الجدل. فى الفهج التاريخى الموضوعى إزاء مثلر وعصره. والذى دعا إليه المؤرخ مارتين بورسات فى سنة ١٩٨٤ باعتباره وسيلة بالخروج من الحدل فى فرضته الاشتراكية الوطنية. هى الوعى التاريخى الألمانى. ثم يتحقق. بل ان أبسط يقول ان هتلر مارال يصور فى صورة الشيطان. وإن شخصيته زادت بعدا عن الواقع. وإنه أصبح رمزاً. «يحيش محمات. بل «طلال معاويشه لنا (هتلر) تصبح جمع فاعمة. ان يمكن ان المخلوط فى «المحرات. هل مساءلة ما إلى عذاوة لمنتقطة أنيس له « مدرو

فى سنة ١٩٨٩ نشر أكثر المؤرخين الشبان تأثيراً وقبولاً. ريتار سيفلمان. سيرة سياسية مشهورة لهتلر. كانت نقطة المرافعة واضحة فيها. كتب سيفلمان يقول ان الصورة المرسومة لهتلر هنا تختلف عن الصورة الأخرى اختلافاً جوهرياً. فهو ما يسود سياسياً. له أفكار واعمالة التى هى فى أوقاع كثير عقلانية مما كان يبدو فى السابق. ثم أصاف: «فى بعض الجالات مارال الحدث المحقق بالاشتراكية الوطنية فى بعض الأحيان. وفى الدبلة قال صورة مثلر تبدو فى الجوهر أكثر ترتيباً وتعدداً فى الجوانب وجديدة عن البلين. وبعد ذلك. وبعد ذلك» انطرق على السير السابقة التى يراها سيفلمان مشوهة بالنسبة لعصرها وقال: المزمن تجاوزها الآن فى كثير من الجوانب. فهو يرى ان الإقرار لن يأتى للحد من نقمة المحلط فى صورة هتلر. كما أن الصعوبة الباقية متطلوبة أيضاً فى اللغة. وذلك لم يحدد عن الواقع فى كل السير التى كتبت عن هتلر (بما فى ذلك السيرة التى كتبها فيست)

وليس فى شىء من ذلك ما يدل على أن لغة

موجة لإعادة النظر تتجمع الآن. بالرغم من ان سيفلمان قد اعتمد فى بعض الاحيان على المحوث التى أجراها داهيد إيرفنج وتأتى علمه مع إبداء بعض التحفظات. وبالرغم من ان كوكاتش يبدى قلقه من أنه لا يؤجج من الاحيان تأييدَ بين الراجعة الى صورة هتلر. فإن هذه المراجعة توحى الى الرأى العام المقروء لهتلر تتصرف لتعديل مستمر. وإن هناك تفسيرات جديدة ستمثل تحدياً للقدرات الإنتقادية لمؤرخى الذين يكرسون جهودهم لمعرفة الحقيقه.

[٣]

هذا أمس جديداً بطبيعه الحال. وقد انطست عناصر أساسى براجعت خلالها الإراء. الراسمه لمتعلقة بمقتك. جوانبه حياة هتلر وأعماله ونتائجه الى تشهاى تحت تأثير الاكتشافات الجديدة. ولنباحث على سبيل المثال صانة مثلى أصبح هتلر لغة الشعوب فى حياته. فهو يقول: «لقد دأبا اكتسبت جوهر نظرتى للعالم. الأساس الحرفيتى الذى نشئت عليه نصرانى فيما بعد.»

وفى الحديث عن حنوان فيرنر ماى قد ابتدت أهميتها (إن) كانت حنوان فيرنر ماى قد ابتدت أهميتها ثم تكن فترة من العمر الدقيق فحسا بدى فالمؤرخ وقد كان فى سنواته الأخيرة يشحث كذيراً فى فيست بنفسة وبدة أنجد انها أقرأى «كفاحى». ولكن فيس فى الوسط الثقل بان افكاره تصلورت فى فبدءا أو انه اكتسب رؤية واضحة لستقبله مثلك. فبالرغم من انه يقول انه ترك قيضا «وهو على عداء تام لسامه». فإن كوكاتش يوضح انه فيس مثلى فى تصريحاته. سواء منها الخاصة أو العامة. ما يتضمن هتلة لسامية قبل إن يطلع سن الواحدة والثلاثين ومثلى دلل أخر وأقوى على عرضه فيديا أ يكشف إلا نادراً عن طموح سياسى من جانبه. وكانت الحرب التى خرج فيها هتلن من يومها الأول إلى يومها الأخير - وهزيمة ألمانيا فى النهاية وغزيه السياسى. وتطلب الأمر تجربة الإدامة مجلس للسوفيت فى مونيخ فى سنة ١٩١٩. واكتشافه معد ذلك انه قادر على إلقاء خطب عامة. وانه قادر على إمقاع الناس. فى حين جعلته يقرر اقتحام مجال السياسة

لصبح سنة سفر. دلرى المتحدة بشل معد احداه ما يتعلق بالعصور الوسطى وكل العصور الى تختلو إليه فى جوانب كثيرة فى الولايات المتحدة وبالرغم من ان رفض الانتصار الرسالى والنظام المهيمن على الولايات المتحدة فقد كان مع ذلك معبراً بتطور ما التكنولوجى الصناعى.

كما انه كان مجذباً بالأساليب الأمريكية فى الدعاية. وقدرتها على حساب واستغلال رغبات الأغلبية. وهى القدرة التى حاكاها بعد بعرة ولاشك فى ان هتلر لم يكن مستشاراً فى تراثه نشأن ورء المزاة فى المجتمع. كما أن آراءه الخاصة بالنظام. وجدوا سهولة نسبية فى المستقراتى الخارج سعياً للحصول على المساعدة ونادراً ما استخدم هتلر كلمة «الشعب». كما انه لم يكن ترء يريد ان يكون دكتاتوراً. وقد قال فى خطبة ألقاها فى ميونيخ فى سنة ١٩٢٤:

«إن العدق فى ألمانيا لا تحب الحرب بالعكس فإننا نستند إلى تأييد وثقة الشعب كله. إن أحداً لم يرفضنى على هذا الأساس. لقد تربيت من أحضان هؤلاء الناس. وظللت بين صفوفهم. وأنهم أهلى. ومن دواعى فخرى أنه لا يوجد رجل دولة فى العالم يستطيع أن يقول إنه يمثل الشعب بصدق أكثر منى.»

والأرجح أن معظم مستمعيه وجدوا هذا القول مقنعاً. كان موقف جمهورية فيمر تمثل ارتياح وشعور بأن عصراً جديداً من الوحدة

فيمر فى مدمير الحواجر انطقية وبناء مجتمع جديد لطبقة المتوسطة. ولكوكاتش على حق فى وصفه بأنه «ثورى شعبى فى عصر ديمقراطى. على الرغم من كل الضغين الذيقة فى المؤسسات الإدامية والمجتمع الإداتى القديم والذى عرف كيف يستغل الكثير منها (مثل الكتاتش والجامعات) لتحقيق أغراضه.

ويبقى تأكيد الطابع الشعبى لنظام النازى. فالمانيا الهتلرية كثيراً ما تصور بأنها دولة شمولية. أو «دولة بوليسية». ولكن ذلك لم يكونا يتطبق عليها إلا بدرجة محدودة وباستخدام البوليس الذى هتلر يكن لهم كراهية عنيفة. والمنشقون السابقين المتحفظين. والشابين حنسب والجبر. ظلت أعلبية الشعب. على الأقل حتى سنوات الحرب. عيير مقيدة بسيطرة الدولة بدرجة تدعو الى الدهشة. وحتى أولئك الذين كانوا يتأسرون للملاحقة بالنظام. وجدوا سهولة نسبية فى المسافرالى الخارج سعياً للحصول على المساعدة ونادراً ما استخدم هتلر كلمة «الشعب». كما انه لم يكن ترء يريد ان يكون دكتاتوراً. وقد قال فى خطبة ألقاها فى ميونيخ فى سنة ١٩٢٤:

«إن العدق فى ألمانيا لا تحب الحرب بالعكس فإننا نستند إلى تأييد وثقة الشعب كله. إن أحداً لم يرفضنى على هذا الأساس. لقد تربيت من أحضان هؤلاء الناس. وظللت بين صفوفهم. وأنهم أهلى. ومن دواعى فخرى أنه لا يوجد رجل دولة فى العالم يستطيع أن يقول إنه يمثل الشعب بصدق أكثر منى.»

والأرجح أن معظم مستمعيه وجدوا هذا القول مقنعاً. كان موقف جمهورية فيمر تمثل ارتياح وشعور بأن عصراً جديداً من الوحدة

وحتى بعد ذلك - حدث التطور فى أيديولوجيا هتلر بالتدريج. والإرجح أنها لم تستقل الابعد إتمامه كتابه «كفاحى» فى سنة ١٩٢٤.

ومالمل قبل السؤال عما كان ينبغى اعتباره هتلر رجعياً أو ثورياً يلقى رأى هذا المؤرخين اليوم يتفلك عن الرد دون الى كانت شاهدة فى الثلاثينيات والأربعينيات. فقد كان هتلر فى مقدمة اهتماماتهم فى ذلك الوقت مرتفعم وبأن وصوله إلى السلطة كان عن طريق المناورات التى دامت فيما بعصاية محافظة على السياسة؛ وفرانز فون بابن. وكانت تستحتها مصلحة جمهورية فيمر الديمقراطية. وكان من السهل افتراض أنه بمجرد «الدون الشعبى» فى مارس ١٩٣٣ الذى أعطى هتلر عملياً كل السلطات. ان ألمانيا ستعود - كما قال ريتر فى سنة ١٩٤٠ - «إلى العصور الوسطى مرة أخرى». ولكن دون أن تفيرها رهبة المسيح».

ولكن برنامج هتلر الداخلى بعد ١٩٣٣ لم يقم بإيه هذا الصنع لأنه - كما يقول المؤرخ الأمريكى راهيد شونباور. وكان أول الفلتين بذلك - أنى بما يمكن أن يطلق عليه ثورة اجتماعيه فى ألمانيا وإنه بصعب القول بأنها عانت ثورة لصالح المؤسسة السياسية والاجتماعية القديمة. وقائماً كان المؤرخون الألمان يتردون فى التخلى عن لامئة الرهبة وقبول أوراق اعتماد هتلر كسياسى ثورى. وقد وجه هانز مومزن مزيد السؤال هل يصح أن نقصف الاشتراكية الوطنية» بأنها ثورة وبالتالى توضع بين تلك التطورات فى تاريخ أوربا التى بدأت بالثورة الفرنسية فى سنة ١٧٨٩؟

ويحلق كوكاتش على ذلك بقوله - إن هدف الرأى المحرر الذى لا موجب له فى هذا التورد. إذا كانت هى الصعب لمكان أن افكار هتلر. فى الخطابية وخطبه. وطريقته فى تعبئة كانت كلها جديدة تماماً على السياسة الألمانية وعلى الرغم من قرة هتلر عند اللزوم على عبس تأييد الطبقات المستقرة فإنه كان فى الواقع يمثل أصالاً خامساً من الماضى. بقول كوكاتش إنه ليس على قبول وصوله إلى السلطة

«لم يكن يقف تأييدنا من جانب الهوم التكتيكية المرحلة الأسية. أن كما يعتقد. حتى مارحاسها واعتبرناها الأنظمة الملكية. وطموحاتها الإمبريالية. وحرصها على الأسلاف. وهيبها الطبقى ومجموعة خصائص. التى تعتبر من الحرص الرجعى الى التعليم التقيدى للمرأة المثالية».

وقد تحول هتلر بأسرع ما يستطيع عن هذه الفئات إلى جمهوره الحقيقى. وهو المجتمع الوطنى العريض. وكان قيام ما سماه «الوحدة الوطنية» المنشقة على القبول الكامل والطوعى من جانب الشعب مماثلة لثورة فريدة فى تاريخ ألمانيا.

وكانت تلك الثورة فوق ذلك ثورة عصرية. كانت تحرك كل بحرار ماده حرب الشباب (فى سنة ١٩٣٤ كان ٧٠ فى المائة من المنتمين للحزب فى برلين يقل عمرهم عن ثلاثين سنة. وكان ٦٠ فى المائة من أعضاء البرلمان المزى فى سنة ١٩٣٠ يقل عمرهم عن اربعين سنة) وكانت خطط لتغيير المجتمع تمثل انفصالاً عن الماضى. وقد كتب سيفلمان فى سنة ١٩٩٤ يقول إن هتلر:

لقد قادهم إلى الرخاء والكبرياء وبعث فيهم الثقة التى هزموا بها أوربا كلها تقريبا. وحقق هيمنة ألمانية لم تبلغ أن صفرت لأحد حتى لتحقيق أهداف أكبر من طاقته؟

الوطنية والتراث الاجتماعى قد بدا وقد كتب سيتفانوفا يقول «لقد بدا للكثيرين أن نهاية الديمقراطية البرلمانية تعنى بداية الحكم الشعبى الحقيقى».

وقد لوحظ أنه حتى قبل وصول هتلر للسلطة كان هناك موجة قوية من المشاعر الوطنية تجتاح ألمانيا، وهو شعور بدل الآلاف، إن لم نقل الملايين بأنفسهم مرة أخرى، وأن يكون لهم أول فى شئون العالم. ويذكر لوكنتاش أن الوطنيين الجدد فى الثورة المحلية القديمة، هى ظاهرة عصرية وشعبية، لا تنفصل عن الصعود الخطير بين الأعالى الذى تشعرض لاستنكار شديد من عامين من لا يشعرون إليها. وعندما أدرك وجود هتلر فى قبضة كان من انتصار الوطنية التى تجمع كل الألمان بمعناها المتطرف. وكانت تسرى فى وطنيته تلك الكراهية التى مثلت دائما جزءا من ذاته السرية. وهى التى أدت به فى خطاب ألقاه فى سنة ١٩٢٢ إلى يصيح: «إن تحرير النصف يحتاج إلى شىء أكثر من السياسات الاقتصادية، وأكثر من العناية». إذا أريد للشعب أن ينحرر فإنه يحتاج إلى الكبرياء، والإرادة، والتحدى، والكراهية لكل ما يضعف، والكراهية مرة أخرى». ويعبر أن تقلد المجال الفراخى فى خدمة سياساته الخارجية، كانت بمثابة كارثة للدول المجاورة لألمانيا. التى كان يعتبرها أعداء المحليين الذين لم يكن لدى هتلر أى شك فى أن هذه السياسة ستلقى التأييد من جانب أغلبية الشعب الألمانى.

[٤]

ومعالجة لوكنتاش لسياسة هتلر الخارجية وإدارته للحرب التى أشعلها فى ١٩٣٩ إلى جدارة بأرفض عن الأجزاء الأخرى فى كتابه المهم، ويبدو فى كثير من جوانبه هذا الجزء مجادلا بل دوجماتيا فى بعض الأحيان. وهو يتطلب قراءة أهمية كبيرة للمبادئ الأساسية السياسية الخارجية التى تضمنها كتاب «كفاحى»، بما فى ذلك حتمية المانيا للسيطرة على أوربا الشرقية. وكان ملوك ومؤرخون آخرون أشاروا إلى أن هتلر كرر الأغراض عن تلك السياسة بقوة فى كتابه الثانى الصادر فى ١٩٢٨ وهو الشطب الذى لم يلق اجتماعات رجال الصناعة فى نوفمبر/مارس ١٩٣٠، والكلمات التى وجهها فى الجنرالات والعسكريين فى فبراير/مارس ١٩٣٣ وإدراكهما هروبه التكتيكية لتلى بقول غير مران وواشنجو إنها وصلت إلى حماقة الارتجال، فلقد كانت تلك فى الواقع هى المبادئ التى التبعها فى تنفيذ سياسته.

وعندما يناقش لوكنتاش أزمة إقليم السوديت يقول إن الأمر لم يكن بتطلب غير ابداء معدودات حتى تهزم ألمانيا تشيكوسلوفاكيا فى وقت والأمر أن الحرب، وإن كان لا يقدم تقديرا لتوعية القوات التشيكية أو لصلابة دفاع تشيكوسلوفاكيا (التى أبدى انضباط الأذان إجابهم بها بعد انشباء الأزمة)، كما أن لوكنتاش يرفض بشكل قاطع لا موجب له حجة قيمت القائلة بأن هتلر لم يكن فيستطيع أن ينجو من المؤامرة العسكرية فى سنة ١٩٣٨ وهو مقول يعتد أن قد أحدث بحلول سنة ١٩٣٨ أورة بلوماسية فى أوروبا، حيث كانت إنجلترة إلى جانبه، وفرنسا وبريطانيا تظلان منه موقف الدفاع. وكانت النمسا ومنطقة السوديت قد ضمتا إلى الرايخ. وظنه لا يحدثا تحقيق ذلك على نحو ما فعله. وبرأيه وأسرة وغيرهما من المؤرخين الذين استخدموا وصولا البراعة الدبلوماسية التى استخدمها هتلر فى السنوات التى لم يكن يستطيع فيها أن يساندها بالقوة. ومزيج اللاطفة والتهديد والجرأة المزدادة التى بدات بالغاء الرايلاند عند سنة ١٩٣٦. وهو لا يذكر أن جوانب ضعف الدبلوماسية الغربية فى الثلاثينيات أثرت عليه وأعطته شعورا مبلغا بالاطمئنان المرتد. ويرد مهم فى دفعه إلى الإمام. مؤشرات القلوة المتنامية والتصميم الذى بان بوجوبه من جانب برياطانيا فى سنة ١٩٣٩. فقد أدى اجترائه وهو يمنن قرارد بهاجمة بولندا إن بطاطين وتوصلا إن تتدخلا. وقد ظاهر بلوه، بأن أعدادها هو السبب الصعود. وقد رأينا رئيسهم فى سبوخ، وربما كان لهذا الاطمئنان دور مهم فى دفعه إلى الإمام. ولكن هذا لا يدخل نحوفه الخفى - الذى يبرزه لوكنتاش - من أن الوقت يمر بسرعة وبه ربما يعود قبل أن تحقق أهدافه

ولكن لين كفت تلك الأهداف مثلاً عما انطفى على روسيا فى سنة ١٩٤١، من المؤضوعات الأساسية فى معالجة لوكنتاش لاستراتيجية هتلر، مسألة ما إذا كان ذلك الهجوم قد بدأه من الأيدلوجوجيا أو لأسباب السياسية الواضحة. وهو موضوع كان موضع اهتمام كثير من المؤرخين. ويعرض علينا لوكنتاش عدة من الرأيين. بينما يقول هو إن الداعم السياسى فى سنة ١٩٤١ كان أقوى منه فى أى وقت فى الحرب، وبينما يقول إن فى أى بريطانيا، وبينما يدعم بريطانيا إلى الخروج من ساحة الحرب وكان الداعم الأيدلوجوجى هو الحصول على مجال حيوى لتوطين الأذنى الكبير فى استقلل والرغبة فى القضاء على «البلشفية اليهودية» باعتباره عدوا تاريخيا، ولقد لبس قليل الأهمية

وقال بنك صحيحا بعد أن فشلت الجيوش الألمانية فى الاستيلاء على موسكو وبعد أن ازداد هتلر، قال معظم الناس، أنه لا يستطيع أن يكسب الحرب بشروطه الخاصة. ويقول لوكنتاش إن إستراتيجيته الآن أصبحت التنسك بالمحافظة فعل أوربة الذاتى فى حرب استنزاف الصمع فى مواجهة مجموعة من الأعداء الأقوياء، مع الاستعمار فى توحيد صرامت قوة إلى قواتهم وانتظار أن يفقد الحين من كبار أعدائه حماسته ويخرج من الحرب.

وكان الجانب الإيديولوجى فى هذه الإستراتيجية، وهو القضاء على اليهود، والذى بدأ بحماسة بعد الهجوم على الاتحاد السوفيتى فى ١٩٤١ وتضاءل حتى نهاية الصراع، هذا أيضا عنصر ذاتوى بالقياس بالجهات العسكرى السياسى. وبالرغم من أن الهولوكوست قلى تأييدا بغير شك من جانب هتلر فكان مايعا من كراهيته لليهود. فقد ظل يعبدا عن عدات تنفيذه ومن الواضح أنه لم يكن يرغب فى أن يقرأ أو يسمع أو يرى تقارير عما يحدث والعبا لليهود فى الشرق.

وأى مدى كان هتلر مسؤوبا قتلة عسكرى؟ لقد وصفه الجنود الألمان فى نهاية الحرب ساخرين بقته أعظم الخاسرين فى جميع العصور! لقد كانت لديه فرة تدعو إلى الدهشة على إبرك الشاهيل. وخيال إبداعى فى المجال الفنية ومسلل التسلح. وكانت مساهماته الشخصية فى مجال الأسلحة - اختياره للمقاتلة الصادة للدبابات فى الحملة الروسية مثلا - ناجحة إلى حد كبير وكانت لديه بالإضافة إلى ذلك موهبة الاستراتيجي. وقد استطاع الفريد يودل على ذلك مرة بحطئه بإشار الحملة الاستدعائية، وقارنه عن غرة فرنسا، وما أصر على فى شتاء عامى ١٩٤١ ١٩٤٢ بصدد التراجع من المواقع التى تم اختيارها، وكان وصول وضع إيضا أنه، بعد سالفيجارد. عندما بات من الواضح للجميع أن تيار المعركة قد انعكس، وان ورد كاسترانيجي قد انتهى. شرع يتدخل فى شئون العمليات بطريقة مضرة أطيب إلى كورلاند.

وعندما يناقش توكنتاش سواعب هتلر العسكرية فإنه يقول إنه قصر كثيرا من الحدة العسكرية التى قام بها فى الحرب العالمة الأولى. وهتلر مسصبط بغير شك. ولكن من الصحيح أيضا أن بعض ما تعلمه كان مجدا/ للخطر. ومن بين ما يحقيق هتلر ذلك فكرة أن الحروب تكسب بقوة الإرادة. وكان هذا الاعتقاد هو سبب وقوف هتلر بقوة ضد سرعة الحركة فى العمليات العسكرية الدفاعية وإصراره الخطاعى - فى روسيا، وفى شمال أفريقيا، وفى فرنسا فى سنة ١٩٤٤ - على ضرورة عدم التراجع حتى من المواقع التى تهددها قوات تطوق قواته بكثير. وكان الحطأ فى تلك النه معا كان من أيطاء هتلر بقوة ارادة الصندى الألمانى العادى. فقد نمى أن لدى العدو أيضا قوة إرادة. وقد ظهر ذلك على الصعيد التكتيكى كما ظهر على الصعيد السياسى. ولم يكن لقل الأسباب التى أدت إلى فشل الإستراتيجية العدريمكية لهتلر.

[٥]

فى نقطة مبكرة من هذا الكتاب المهم يبدو أن لوكنتاش يرشح هتلر ليكون «شخصية القرن» حدث بقول:

«إنه وحدا كان أكثر الرعماء الثوريين شعبية فى مارخ العالم الحمدث والمركيز هذا هو على كلمة شعبى لأن هتلر ملتمى إلى العصر الديمقراطى من الناحية الأساسية. ولا يجوز مقارنته ببوليفر أو كرومويل أو نابليون. فهو مختلف عنهم تماما». وكان القدر من أى مصع هى مث الحيوية فى الأشد، التى تحدث عن شعب عظيم، كان فى حياته أكثر الشعوب لثقافة فى اعمالم. وكان الشعب وروحه قابلته لتحقيق إجازات معظمة. وبذل جهود استثنائية. وقدمهم إلى الاعتقاد بأن ما يداعون فى «هو (أيضا) عنه هو مقيض النشر. وقد استادهم إلى ابرعاية والكهرباء. وبحيث قيمهم النقاة التى هزموا بها «وربما كلها تقريبا، بخيرة، وحقق همعة المانية» تم تثبيت أن شاعت لأنه سعى لتحقيق اهداف أكبر من طاقته. وكان الرايخ الذى انشاء، كان يرجو أن يعيش الف عد، قد انتهى بعد ثلثى عقم عاما؛ ومع ذلك فقد كان له أثر هائل وترك بصمة لا تمحى على هذا القرن الذى نحن فى «كشاتوه أحد.

سوء فاش لينين أو ستالين أو على.

وبعد الحرب والهزيمة انقطى الولاء والحب الذى أوجدهما حتى الهزيمة الهزيز بشكل مفاجئ، بدو الى الدهشة. وقد كتب أميريطيق هير يقول أنه فى الواقع «لا الأمريكيين، والسيما فى الدوائر المسيحية والمحافظة، كان الناس على استعداد بأن يروا فيه

«شهيدا وسيصبح مجالا وعصرة تتشظى القيم وتختفى فى ظلال مبالغ فيها الشراسح إلى هذا الشراسح الى كعصر مبتغير يرجع فى الحلاص ولم يكن شر» مستعدا لأن يعترف بأنه أيضا مسئول فى البورص وتلك السلطة ليهدا الرعب

ومثال أساسى آخر على عدم الاعتقاد بأن ما هو الموقف تحقيق تغيرا جوهريا فى العقول الأخيرة، وأن كثيرا من الذين كانوا فى العقول الإيجابى فى الماضى لتغلب الرايخ الثالث، المسحق والمسحق «تلك هتلر المرجعون» وما وزن فيه من زعم مبالغ فيه بان جميع جرائم هتلر ارتكبت وفقا لإرادة الشعب الألمانى وربما يبدو ذلك من عملية تحويل هتلر الى حبرة من الرعاع المانيا ملاذا من همة فردة أيضا يصعب تصريها من خارجه «حققت هتلر أكبر قدر من الشعبية فبعد سنة ١٩٣٣ على الكتاب قد وصل إلى حد المشكوك فيه أن يكون الكتاب قد وصل إلى حد أوسع. وكان الأمر نفسه فى الحرب التى يرسمها لوكنتاش على صورة الأشعة القاتمة لحالة الحضارة الغربية فى نهاية كتابه. حيث يتساءل عما إذا كانت سمعة هتلر، فى ضوء انهيار عام للأخلاق والعقل الإجتماعية. لا ينتظر أن تبقى فى عين الأهالى المنظمين الذين قد يرون فيه مهندسا قويا فى آخر المهندس الذين شادوا الإمبر طوريات؟

إن الأذان الذين وجدوا صعوبة فى قبول فكرة جزء من مأسيهم، سيجدون من الصعب عليهم أيضا أن يقبلوا مثل هذه السمعة

مقال بقلم روبرت بن
The New York Review of Books
Copyright © 1997 - 1999 NYREV Inc
ترجمة أحمد حلمى

«إيفا بيرون، الشخصية الأسطورية في الأرجنتين والتي ماتت في ريعان الشباب عام ١٩٥٢، عاشت حياة شديدة الاضطراب، من البؤس الشديد إلى قمة السلطة والأضواء، ثم انتهت حياتها بمرض عضال وصارت قديسة..
سارة كير تعرض حياة إيفيتا من خلال الفيلم السينمائي الذي مثلته مادونا وعدد من الكتب الصادرة حديثًا ..

إيفا بيرون

بين الأسطورة وصناعة الشهرة !

سارة كير

■ نظرا لان موضوع فيلم إيفيتا هو الشهرة، فتجدر الاشارة إلى أنه هي أوائل التسعينيات، عندما كانت إيفه دارئي فتاة محطة عليلة منبوذة، تعيش في سهول الارجنتين، كان هال عنصران للغناء في حياتها، وهما إلقاء قصائد الشعر المدفه عن الموت، وشراء مجلة تنشر أسعار الفنانين وصورا خاصة وأنباء عن معظة كانت مفرضة بها. وهي تورما بيرون. وهو اختيار يبدو من وجهة نظرنا غريبا فنحن نتذكر بسهولة

المشاهد مثل بيتي ديفز وبيرنارد ستاسويك. ونتذكر ما تميزن به من شراسة. وهن قوام منوفع. والطريقة التي كن يرتدين بها البلوزات القصيرة المتسيات الكورس. والفساتين التي تنتهي الموضة ما قبل الحرب. وعندما نقارن الممثلة المفضلة لدى إيفيتا مين تبدو كأنها خارجة من صفحات الخرائق. كانتا كأس من خلية واحدة من الكائنات التي سبقت النجمات الحقيقيات اللاتي كن على وشك الظهور

فماذا كان الشيء الذي اجتذب إيفيتا؟ كانت تورما شيرر متعددة المواهب، تعمل باجتهاد. وتستطيع أن تلعب أدوار الكوميديا، وأدوار البطولة القوية. وحتى جولييت شكسبير وتذكر بعض كتب السيرة أن إيفيتا أحبت بوجه خاص دور ماري انطوانيت. فقد كان ذلك النوع من العظمة والأداء الذي يستدر الدموع هو الدور الذي لعبته بعد سنوات قليلة في مسلسل إذاعي هي الارجنتين عن «أعظم نساء التاريخ»[٤]. ثم إن تورما شيرر كانت متزوجة من ايرفنج تالبرج، الرئيس «المعقري» لشركة متروجولدن ماير الذي استخدم سلطته ليطلق على زوجته اسم «سيدة الشاشة الأولى». ولعل إيفيتا استشعرت منذ ذلك الوقت مزايا أن تكون زوجها من أصحاب السلطة

ومرغم أن تورما شيرر لم تكن قبيحة الشكل، فقد كانت قصيرة القامة، شعرها مجتلد. بني اللون، وعيناها بهما حول. ولم تكن لها شخصية قوية تنتقل بها من فيلم إلى آخر وكان اختيارها لشخص لها لتكون معبوده المفضل سمتاج إلى الاعتقاد بأن الشهرة والنجاح يولدان العظمة، وليس العكس. فإن كان لفره شبابا وطموحا، وإذا كانت حياته حالفه بالكم، فإنه ربما سنجاوز عن بعض

النواقص، مثل الإفتقار إلى العمق داخل النفس، تلك السمة الخاصة التي وصفتها لليان هلمان بانها «عقل لا يلقي عليه الفكر بظلاله».

وقد افل نجم تورما شيرر، ولكن روحها القوية مازالت موجودة. ويكفي أن نتتبع حدلة الدعاية لفيلم إيفيتا الجديد، وأعلى بدأت في نوفمبر الماضي (١٩٩٥) عندما جلست مادونا لالتقاط صورها لأغلفة مجلتي «لوح» و«هاميتي فير». كان أول ما يلفت النظر في الصور الفوتوغرافية هو خلوها من الصور المثيرة، والجلسات غير المختشمة، والملابس الموجية التي كنا نشوفها عن مادونا. فقد ارتدت ملابس أميلة من ڤيلفت وقبعات الأربعينيات، ومشطت شعرها إلى الخلف في التسعينيون المعروف عن إيفيتا، كما وضعت على عينيها عدسات لاصقة بنية اللون، ساعدتها في محاولتها لان يصبح شديدة بإيفيتا، ولكنها أضفت على وجهها طابعا غير إنساني، وكأنها مانيكان، وأشارت كل من المجلتين في غلافها إلى أن مادونا أصبحت أما منذ قريب (وعدت مجلة فانيتي فير بنشر «يوميات خاصة» في داخل العدد وتحدثت عن «الأحلام وأوجاع القلب»، ولكن لم يبد عليها أنها على استعداد لأن تفضفض بحرارة وكان يبدو عليها

١- Evita (انظمة)
A film directed by Alan Parker with music by Andrew Lloyd Webber and lyrics by Tim Rice
(فيلم من إخراج الان باركر)

٢- The Making of Evita (صنعة انفيتا)
by Alan Parker
introduction by Madonna
Collins Publishers. 125 pp

٣- Santa Evita (سانتا انفيتا)
by Tomas Eloy Martinez
translated from the Spanish
by Helen Lange
Knopf. 371pp.

٤- Eva Peron (انفا بيرون)
by Alicia Dujovne Ortz
translated from the Spanish
by Shawn Fields
St. Martin's Press. 325pp

٥- Evita: In My Own Words (ايفيتا بكلماتي انا)
Translated from the Spanish
by Laura Dail
New Press. 119 pp.

شيء من الإحباط. غير أن هذا الإحباط بدا وكأنه ربما زاد أن تقول فيما أنها برغم تعديا فإنها تعمل باجتهاد.

وكان العمل الشاق هو الرسالة التي اعتمد عليها الفيلم وقد تظهر فيلم إيفيتا معتمدا على جهود مستقلة بشكل صدفتي من حالات التناشرين والصحافة وعالم الإزياء إعلاف المحلات وكتب جديدة، وعروض لكوريوستيان دبور، وسلسلة من مستمخضات التجميل من أستي لودر، وحياة أيضا وصفة بالمرير مدروسة عن عدد المخرجين(١) الذين اقترحت أسماؤهم على امتداد السنوات، وسلسلة النجمات (ستة عشر، من شارون إلى ميريل ستريب) اللاتي كن في وقت ما من الأوقات على وشك الموقيع للقيام بالدور الرئيسي، ولكن هذه القصص تداخلت مع الصفحة الحقيقية لمطلة الشهيرة التي تسعى لخلق أسطوره أكبر حتى من حياتي على الحقيقات، بل الفيلم اكتسب قوة روحية من هذه الواقع، كما لو كان هذا المشروع ـ وكانه كامتراتية قومية ـ لا يمكن تنفيذه على عجل

ونظرا لأن الفيلم لديه يمكن أن يكون في حد ذاته عاملا مؤثرا، فقد توجهت لمشاهدة فيلم إيفيتا وهي تمشي بعض الشوارع. ولكني كنت مستعدة أيضا لأن تتأثر بما أراه. ومن حسن الحظ أن الفيلم بدا ينقس اللحظة التي توجت فيها البطلة، في أسباعه ٨،٥٠ مساء يوم ٢٦ يوليو ١٩٤٧، ولا تتقصى الصفحات حتى وفاة الحزن ثم حرقها

والعنصر الذي يحرك الفلم هنا في البداية هو موسيقى لدرو لويد وبير، وهي موسيقى كان قد ألفها للمخرج عدة عشرين عاما، ومازالت تحمل روح الاستخفاف والنكاية التي كانت سائدة في الصفوات التي أنقذت حكاية وتوج بيت ـ الحزين الناشيء من الشعور المهم بأن كل شيء زائف، والرعبة في السخرية من جميع الأشياء وهناك كورال يصحب الموسيقى الجنائزية يكاد أن يكون تريدا للموسيقى الكنسية الإسطبرية، ويبدو بسيطا عندما طابعها أسموي، ويحتفظ فيها ببعض سمات أغاني أبروك وهي حين غرز تقسم هذا الموضوع أخرجين موسيقي للجيتار تعزف بالريف السويع المباني فيه الذي عرف عن العازف أريك كلابتون.

ما يمكن أن يكون أجمل أيام حياتي

ولا يمثل التاريخ أي مشكلة، فجميع الأحداث المهمة موجودة. وفي بوجه عام لا تعرض من أجل إدارة الفضاحة. (والإقصية التي دار حولها بعض الحدل) وأستمر الفلم في التدفق إلى الداخل (وإلى الخارج) متنقلا بالتصرفات المالية فوتسمة شيرة». وهناك مشهد يتقاطع مع حمارة امعماري فيه ايفيتا وهي في سن السابعة عسرة وعيناها مرتفق فلان مالموضوع. وحتى

وحتى الكتف التي ألقت عنها وحاولت أن تحل لغز شخصيتها ، وأخرها كتاب «بابا سيزون» لماريو بارغاس يوسا. لكن أي الأقاويل العديدة ، والتي صرخ على الأشياء التي يصف معرفتها فعلا هل فعلا قدمت إيفيتا لمعين لماريس في أرجنتين ، ام ان الامر لا يتعلق سوى بمعرفتها بهم؟ وهل امتدت صداقاتها السياسية إلى ما هو أبعد من الارتباط الوثيق بأعضاء المحروم؟ وإذا بعد رحلتها الشهيرة في ١٩٤٧ إلى القارة الأوروبية التي تألف منها كما تألق كتاب ملفه وكانت تلقي فيها بالدولار على الجموع التي دمرتها الحرب ـ فإذا بعد هذا النصر بدت سوى اصبحت أكثر تعلقاً وأكثر استعداداً إلى تمارس العمل الشاق من اجل فقراء الأرجنتين؟ وهناك سؤال آخر يرتبط بذلك هو إلى بحدة بدت بحس وهي اي لحظة اصبحت معرف عن يقين بها مريضة مرضاً لا شفاء منه!

حوار بيرون

. ذكر بيرون انه عند أول لقاء بينهما كانت يداها محمرتين من التوتر. ولكن اصابعها كانت متماسكة بقوة. لقد كانت كتلة من الأعصاب.

. لم تمض ساعات على وفاتها حتى سلموا جسدها لرجل يقوم بالتحنيط. كان مهووسا بها. استمر في عمله سنة كاملة. حتى اطمأن إلى ان جسدها لن يصيبه البلى.

. بعد موت إيفيتا. ثلاث سنوات. وعندما أدركت السلطة العسكرية القوة الرمزية لجسد إيفيتا. كلفت احد الكونوليذك بأن يعمل على إخفاء جسدها. وانتهى الأمر بهذا الكولونيل الذي كان جاسوسا. ومحاسبا في الشئون السرية والشائعات. وكان من المحبذين بكتات وادعوت بيرك. باختطاف الجثة وضربه حلقة لنظائره المسممر من مكان إلى آخر بحجث لا يعلم عليها أحد

وقد قبل ان جثة إيفيتا وضعت وراء الشاشة في دار للسينما لعرض أفلام بوب أترنر ولو كوسيللو. وان أبناء مالك الدار تعلقت بها وأطفت عليها اسم «عبريتي». ومعد ذلك انتقلت الجثة من مكان لآخر. ويبدو ان لها قوة خاصة، وانه تنبعث من داخلها روائح محيرة، لو لعلها رائحة ذكية. أشبه بالرطوبة أو الأعشاب العطرية. وانها أحيانا تتألق في الظلام. وقال أحدنا أنها قامت على حداثا بعض الأشخاص الذين قطعوا الصمت الذي لوذع الحثة في أعلى مسكنه وقع في غرامها. وعندما صعدت زوجته الحامل لتشاهد ما يجري اصابه الغيرة وانطق المسمم من مكان إلى آخر بحجث لا يعلم عليها أحد

وحتى الكتف التي ألقت عنها وحاولت أن تحل لغز شخصيتها ، وأخرها كتاب «بابا سيزون» لماريو بارغاس يوسا. لكن أي الأقاويل العديدة ، والتي صرخ على الأشياء التي يصف معرفتها فعلا هل فعلا قدمت إيفيتا لمعين لماريس في أرجنتين ، ام ان الامر لا يتعلق سوى بمعرفتها بهم؟ وهل امتدت صداقاتها السياسية إلى ما هو أبعد من الارتباط الوثيق بأعضاء المحروم؟ وإذا بعد رحلتها الشهيرة في ١٩٤٧ إلى القارة الأوروبية التي تألف منها كما تألق كتاب ملفه وكانت تلقي فيها بالدولار على الجموع التي دمرتها الحرب ـ فإذا بعد هذا النصر بدت سوى اصبحت أكثر تعلقاً وأكثر استعداداً إلى تمارس العمل الشاق من اجل فقراء الأرجنتين؟ وهناك سؤال آخر يرتبط بذلك هو إلى بحدة بدت بحس وهي اي لحظة اصبحت معرف عن يقين بها مريضة مرضاً لا شفاء منه!

إن ما ينطق عليه كتاب سيرتها، وما يبدو انه ليس موجودا في الغلاف، هو شعور أعمق بالقوى بحالتها البدنية المقلقة[٢٥]. فقد كان الناس يستطيعون بدئيا لهذه المرأة التي تتحدث عن اندماج الدم إلى يديها وأسنانها. وعلنا يتذكرون تلك الشجرة بعد انقضاء وقت طويل. ولقد دهش أصدقاؤها من إعداد اشتغالها بالتمديل لصالة حجم ذبيبها، وأسنانها المثقوبة وبشرتها الشاحبة التي كانت دائما بدرة الملمس. ولقد ذكر بيرون انه عند أول لقاء بينهما «كانت يداها محمرتين من التوتر، لكن اصابعها كانت متماسكة بقوة. لقد كانت كتلة من الاعصاب». وحتى بعد ، وإن توق شعرها واصبح يتجانس طابع الفيسبين ستمر معلوها غير مستقر. ويشعر الناس الآن أنه إذا كان مرض السرطان الذي تسبب في موتها في سن الثالثة والاربعين حمل علاج وحشيا أكثر برورا. ولقد قدم من الرجال مؤون انها اصبحت أكثر جمالا، مع تقدم وصف غريب. بأن جانبها الجنسي اصبح أقل وضوحا عن أي امرأة أخرى على وجه الأرض

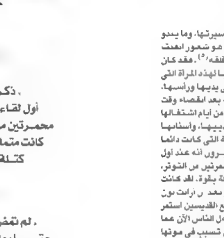

ولا شك في أن جانبها على هذا الصعيد إيفيتا لغاه حياتها، كان يرجع إلى هذا الضعف الجسدي. وقد أحب هذا الضعف فوجه انتصار إيفاءا لكل تمالبوا بعد وفاتها وكانت رغبتها الأخيرة هي الا يلمس رجل جسدها. ولكن لم تمض ساعات على وفاتها حتى سلموا جسدها لرجل يقوم بالتحنيط. كان مهووسا بها واصبح محروفا في دوائر الطب بأنه قاد بوضع يدي للموسيقار الأسباني مانويل دي فلا محبوبة تسدان تماما لو قال حبيبا ويعزف أشهر مقطوعاته على كل بيرو. وطوال اليوم، كان هذا الرجل يكرس وقته لا يفعل شيء إلا بالجسد الذي كعهيها، ويستخرج الصوراء من بطنها، مكانها سوائل مثل الفسيولوجي والفورمالين ويحقن جسمها بالزيوت ذات اراسمة الرخية وقد تسمم في عملية سنه كاسمه حتى اطمأن الى ان جسدها «لن يصيبه البلى».

هذه الحكاية ، لحكاية أخرى عن أعمدة حبك بعد ذلك، واردة في كتاب «سانتا إيفيتا» وهي حكاية طريقة للعناية وإن كانت مختصرة، كتبها توماس ايلوي مارتينز وهي حكاية ممتنية على الوثائق ولقد قامت على العمل خلال سنوات تعب اشاها مقالات من أشخاص عديدين وبحث عن الحقائق من جانب كتابها وبعد أنجذب الذي يروجها هذا الكتاب بعد موت إيفيتا بثلاث سنوات. عندما بدأت الخطط توضع للإطاحة بيرون، وعندما أدركت

معا. ويؤدي نفس الدور الذي قام به جوزيف كوبس وهو يحاول أن يكشف أسرار شخصية المواطن كين. ولكن الرواية تذرفنا دون أن تصل إلى الحقيقة فهي تقول، «شيلا هنيبال» دات إيفيتا منحول إلى قصة لا تكاد تقترب من نهايتها حتى تشعل قصة أخرى. فهي لم تعد ما كانت تقوله أو ما كانت تفعله ما اصبحت ما بعدها. أناس نهاية قالته و هملته ». فالحظة يجب أن تحفل سراً خيبا والموضوع الحقيقي هو ما فعلته في ذاكرة الجمهور.

وهكذا تعود مرة أخرى إلى الإسرار المحيطة «شيلا هنيبال» مرة أخرى بتمعق الأرجنتين بعلاقتها، واهتمام الإمبريكيين بما حدث لها ومن الطبيعي أن هذين النوعين من الإهتمام متختلفان. فالأول ملئ وقائع من الذكريات الثقيلة والتي اتسمت بالحدف في كثير من الأحيان. أما الثاني فمارض وسحب للاستطلاع وتلفه ينظر من بعيد.

ولن يكون الفيلم مرضياً لأي من هذين الجانبين. وقد ذكر فيلم «بيلاتا» ما يجرك العاطفة فيما حواه من مشاعر داخلة اعتمادا على أن الموضوع يكفي. ولأن كل الجهد الذي بذل فيه كان له مبرر. وهذا الشعور يتجلى بوضوح في الأغنية الجديدة التي وضعها وبير ورايس وعنوانها: «إنك يجب أن تحبني» التي أصبحت فيه نهاية اغنية لتهنئة مشاعر الحمهور التي استطلعت من قبل. إن مادونا / إيفيتا إذا ترقد مريضة ومنهكة في فراشها في المستشفى وتنفس بصوت هادئ متقطع، ترد المقاطع المؤخرة. وتوجه «سألوا لا أجواب له (إلى أين نمضي من هنا؟ وإذا تحلس إلى جانبي؟) وتكرر عنوان الأغنية مرة بعد أخرى. في البداية بلهجة الأمر وفي النهاية كطلب يائس لطمأنتها (هنا تريد أن يحبها زوجها ولكن هنا يحدث كمواز في هذا الفيلم، فإما بشعر من تطلبه في الواقع هو فعلا نحن. ومن المؤسف انها لم تتمكن من الحصول عليه ■

الهوامش

(١) هذه المقالة، مثل مقالاتنا أخواتها في بداية حياتها إلى قصاد الموت. هي من اين سمع القديمة التي يبدو فيها من العدم أسطورة كانت تنتبه بعضها مع مقالات الأخرى إلى أباها وأخذ كانا يحملان اسم حوض مثل وجها القليل. وأن اسم أمها كان جوان

(٢) وبعد ذلك فقد ظهرت بعض الاعترافات في الأخبار التي تقارب الأسرى بتقديم معتقلين بالطائرات، وتوجه «سألوا لا أجواب له (إلى أين نمضي من هنا؟ وإذا تحلس إلى جانبي؟) وتكرر عنوان الأغنية مرة بعد أخرى. في البداية بلهجة الأمر وفي النهاية كطلب يائس لطمأنتها (هنا تريد أن يحبها زوجها ولكن هنا يحدث كمواز في هذا الفيلم، فإما بشعر من تطلبه في الواقع هو فعلا نحن. ومن المؤسف انها لم تتمكن من الحصول عليه ■

هذا منشور مأذون من
The New York Review of Books
Copyright © 1997- 1998 NTREV Inc

ترجمة أسعد حليم

■ للسياسة بريق، وللسلطة سحر، ينطبق هذا على الواقع المعاش وعلى تطلعات البشر، كما ينطبق على النظرية والمفكر ودراسة هذا الواقع.

وتكمن السلطة للمفكر أو الباحث قلقاً إزاء ما اقترب منها وأجاد وصفها وتحليلها، وهي لديها - كظاهرة إنسانية - من الحاسبة والمحورية ما يشد إليها العقل وتلفت الأبصار.

وعلى مدى عقدين من الزمان انصرف اهتمام الباحثين في العلوم السياسية والاجتماعية على دراسة الإسلام إلى دخوله ساحة الصراع السياسي. وصارت دراسة الحركات الدينية ورؤيتها السياسية وعلاقاته المتشابكة مع الدولة هي موضوع أساسة الذي جذب الأضواء واستحوذ على الرصد والتحليل، خاصة حين تصاعدت هذه العلاقة إلى حد الصدام المسلح وبلغة المتابع، الاقتصار نفسه في دراسة الدين والدولة في جميع بقاع الأرض، وبالسمة نفسها تشي الأديان والمذاهب.

وفي المقابل، ظلت هناك دراسات ترصد التدين الشعبي، الفردي والجماعي، وخاصة في مجالي عدم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بيد أن الشوليفة الأولى ظلت هي المتصدرة على الساحة لما لها من طبيعة إشكالية وشائقة.

لكن التحولات التي شهدتها نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من تحلل للمد الديني، بسبب المواجهة الحاسمة مع شرعنة الأنظمة، وتحول مفهوم التدين من مرتبة من الوجود على الساحة الاجتماعية - الأهلية ومراجعته النقدية الذاتية لرؤيته للدولة والسلطة، وتغير أوسع تشهده الساحة الدولية في مجال الاقتصاد والاتصال، أعادت جميعها لصوره مرة أخرى مظاهر استدير الشعبي الجماهيري الذي كان موجوداً قبل الحركات المطلقة، وظل معها وسيظل بعدها.

ويتوازى مع الحديث عن التيارات الإجتماعية وللمجتمع المدني والجماعة "Community" الصاعدة الآن، ويأتي على قمة جدول أعمال المؤتمرات العلمية السنوية في أفرع العلوم الإجتماعية والسياسية حديث واهتمام بالثقافات الشعبية وتجلياتها اليومية في حياة الناس وممارساتهم اللغوية الأدبية للتدين، سواء أكان ذلك في صورة تدين فردي أو تدين شعبي جماعي، ولعل أبرز مظاهره الاحتفالات الدينية والطقوس الجمعية، والموالد. وربما كانت الأخيرة من أكثر المظاهر التي تعرضت في مدارس فكرية مختلفة للنقد والهجوم، فما بين اعتبار هذه الممارسة ذات الأبعاد المتشابهة بركية، رمزاً للخرافة وانتشارها بين العوام تكون أميون للشعوب كما رأى الحل البسيط، وما بين تجريم هذه الصيغ من أهل التدين باعتبارها بدعاً لا يقرها الدين الصحيح كما أكد أنصار الصحوة الإسلامية المتجددية ثم الحركات الدينية المغلقة. وقفت الملايين من العامة والبسطاء برؤيتهم المتميزة للغيب والألوهية والعبودية وظلت محافظة على تقاليد الاحتفاء بالأولياء والآل والبيت، وممارست التدين كما فهمته وتوسمته في حياتها، غير عابئة إلى حد كبير بخطاب «المثقفين» المتعالي والا هجوم المتزمتين المغالي.

التدين الشعبي

من الموالد إلى شم النسيم.. رباط بين العقيدة والحياة اليومية

هبة رءوف عزت

«بين تجريم الاحتفالات الدينية الشعبية - الموالد - من أهل التدين باعتبارها بدعا لا يقرها الدين الصحيح، وما بين اعتبارها رمزا للخرافة وانتشارها بين العوام أفيونا للشعوب، وقفت الملايين من العامة والبسطاء برؤيتها المتميزة للغيب والألوهية والعبودية بغير عابئة بخطاب المثقفين» المتعالي ولا هجوم المتزمتين المغالي

مادية، بو زهرة لا تحد هذه العودة للاهتمام بالناس مجرد إعادة اكتشاف، بل يمكن القول بها إعادة اعمار، وإعادة قراءة، واستعادة مكانه.

ولكن نشر، كتابنا يجب أن نعرف كاتبه، وخلفيته، وتحيزاته التي لا مفر منها وبنية عقله، ونحدد نقاطه، ليعرف القارئ حدود مصدقي مقولات ما بعد تحدثه حول موت المؤلف» وحرية القارئ في فهم النص دون أن يعسر ذلك.

فكتاب «نادية أبو زهرة الصادر مؤخرا عن دار ايثاكا للنشر وماجنترا تحت عنوان «النقاء والفوز» دراسات في المجتمع الإسلامي المعاصر» هو أحد الكتب التي تنتجني ضمن منظمة الباحث المركمة وتشكس على منهاجية وظروفية تناوله للظواهر محل الدراسة، فهي ابنة العلامة الأزهري الشيخ محمد أبو زهرة، وهي أستاذة الأنثروبولوجيا التي نالت درجة الدكتوراة من جامعة لوكسفورد، ثم حاضرت ودرست في جامعات كندا وإنجلترا، وزارت لفترات قصيرة للتدريس في عدة جامعات عربية. مرصانة ومهارة تجمع نادية بو زهرة بين حلهيما الإسلامية ومعرفتها العميقة بالمنهج الديني بحكم نشأتها، وبين تحصلها في العلوم الاجتماعية كباحثة متميزة نارزة في مجيها وفي القسم الأول من كتابها تقدم درسين، الأولى: حول استشفاء في حدى قرى تونس. وكيف يلجوء الناس لنص الثاني في حياتهم اليومية ومعاناتهم من تقلب الطروف الطبيعية. والثانية: دراسة تحليلية نقدية لأبرز الدراسات الأنثروبولوجية حول المجتمع الإسلامي ونقض مقولاتها وفرضياتها الأساسية.

تتحدى الباحثة أبرز أساطين هذا المجال، «ارنست جلنر». ويرفضه الذي أثرت على دراسة المجتمع الإسلامي في المغرب واقترضت الإنفصال بين المجتمع من ناحية، والنص الديني من ناحية أخرى، حيث أطلقت من هذا لتدرس المجتمع الإسلامي دون أدنى شعور بالحاجة لقراءة أو فهم النص الديني الذي يؤثر في حياة الناس.

ولا تنفذ نادية أبو زهرة هذه الرؤية وحسب، بل توضح كيف قادت إلى نتائج مغايرة. حقل أقراض وجود أصول صحيحة للتطوس أدبيه الإسلامية، دون اعتبار نعم الإدبال لقارئ، وإلحاقاً لمن ما بين الإسلام والمسحة في تصور، إنه وعلاقة، الإنسان بالكون وبالآخرة وطبيعة انطرة لمسحة التجمع الإنساني ذلك، لما قبل فصل العلم الاجتماعي الغربي بين الدين والمجتمع والثقافة ليس فقط غير ممكن أو غير مفيد، بل يصوغ - في نظرها - الباحث عن فهم دقائق العلاقات التي يدرسها ويحجم إلى حد بعيد قدرته على التحليل والتفسير.

وتقدم نادية أبو زهرة من خلفسين دبيعين عامة في المعصية. الأول هو صلاة الإستشفاء التي تعمل شعائر التطهر والقوة التماسا للرحمة الإلهية ومغفرة للذنوب وعمل من السماء يسقي الأرض وينبت الزرع ويعيد الحياة للأرض الجدباء، وتقارن بين صيغ الدعاء السريعية المأثورة. وكيف أضاف لها الناس من بيئتهم وثقافتهم، وقاموا بتوزيع للأدوار في هذه التحفلات الطقوسية وتقاليدها بين الرجال والنساء والأطفال، والدلالات الرمزية للأطعمة المستخدمة في الصلاة، مع الربط بين الغيب والجهاد، لمعالجة مشكلاتها، ليست خرافة، «أو هروبا» بل مرجّا للعقيدة «الحساة» وربطها ما بين السماء والأرض وتحميها للأفراد في كفاح متواصل في أوقت الشدة.

The Pure and PowerFul:Studies in Contemporary Musiim Society
(النقاء والقوة: دراسات في المجتمع الإسلامي المعاصر)
Nadia Abu Zahra
Ithaca Press 1997

لما الدراسة الإدعوغرافية الثانية التي نشرها للتدلل على فرضيتها الخاصة بارتباط الوثيق بين المص والحياة اليومية لسكان، فتدور حول طلوس الولادة في المجتمع المصري، وكيف يتبع النظام الديني المعاش بدقة شديدة، وكيف يم صطيلها إلى قنانين صارمة تنبعها الجميع. يبدأ الطقس من دورة التزاسم بالإسلام في جوانب حياتهم الأخرى، فعلى غرار هذه الدورة تبدأ طقوس الولادة في يفهمها، عن نظر الماحثين، إذا قارنوا بالمراسم والتعالم في فصايا أخرى، اتمام مع لحظة الوفاة، وطقوس عيد المولى والعديد، ذه طقوس المرور، وفي جميع المراثي والعديد، وهي التي تحاملها كثير من الباحثين عرفا بالمرور في حياة المسلاة، وخاصة النساء، والتفت إليها من قبل في الدراسة الرائدة د. عبد الحليم محمود والتي نشرت بعنوان «العيد في المراثي الشعبية».

وكان تأديب أمر زهرة على عذين التعبيرين عن التدين تحت عنوان «طقوس التطهر والانتقال» من حال المصدية إلى حال الولادة. أو من حال الطهارة إلى حال الطهر. يبدو أن القارئ يستطيع بناء على أفرتها الأساسية حول تحرير الثنائي من الزينة بعد الحمل والنأس وتأخير احم فيها. أن يقارن ما كتبته بدراسة د. حسن السماعنى حول نلغة القرآن، في الحياة اليومية، ويربط الطقوس بالثقافة الناطقة ومفاهيم. وهو بعد من الأبعاد المهمة التي تجب صاطها إلى دراساتنا الاجتماعية، وهو علم احياء اطقة التي يرصد كيف استخدم الناس اللغة، وهي في هذه الحال اللغة العربية - لغة القرآن - في شتى شئونهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. بل وفي فنونهم المعمارية والعمرانية. وهذا البعد الأخير من الأمور التي تنقرد بها اللغة العربية والثقافة الإسلامية بشكل واضح، انطلاقا من رؤيتها الكلية للكيانات التجسيد والقسمة الكل. وبصورة أكثر تحديدا والوحي في مقابل مركزية التجسد والحلول في مقابل الكلمة.

وقبل أبرز ملاحظات د. حسن السماعنى في هذا الصدد كان تحاوز، مثل تأديب أبو زهرة لهذه الثنائية بين الشعبي والعامية، حيث لاحظ أن لغة القرآن وهي لغة الدين الرسمي قد تعاملت في الاستخدام العامي الشعبي مما يسمح على الفرد الأمي أن يتعامل القرآن ويدرك دلالات الحديث دونما طبخة أو تناقض. وهو ما ربطه مبادئ أبو زهرة على مستوى اتهامهم والتوجيهات والنصوص التي تجيت في حياة الناس واستعهوها وفهما إشكال

لا ينحدى كتاب نادية أبو زهرة فقط افتراض فصائل النص عن الواقع، وأن الناس تمارس إسلاما لا يطابق النص الشرعي، بل يحوي من التفاليد الذكر بكثير مما يحوي من الأصول الدينية، كما يتحدى أيضا افتراض أن مجتمعا ما يمارس الإسلام الصحيح والإسلام الشعبي، والإسلام الرسمي، أو الموسى والعلماء، ويور الجزء الأكبر من تناولها حول السيدة زينب كنحد رمز رموز الحب في المعاصرين. وفي الواقع أن هذه الدراسة تعتبر من أهم دراسات المزار الشعبي في القديم الشعبي منزلة لا تدانيها منزله.

تدرس نادية أبو زهرة شخصية السيدة زينب في الكتب التاريخية، وتدرس محتوياتها في الثقافة الدينية الشعبية، وكيف اختصها الناس في مصر بحب أقرب لحبهم لأمهاتهم الذي ولدنهم، فصارت هذه المستغفين الناس وصارت الساحة الرحابية في مصيدها علا المصريين، وقبرها مقاما مهما تقدر الناس وتكريمه، بل وقسمهم، وصارت مأثرها موضوعا لأدب شعبي رفيع الأداء. وتستخدم هذه الدراسة «المواسية» لمنزلة السيدة زينب،

التي فاعدة ذروتها في أيام مولد السيدة زينب، للتدلل على عدم انفصال الموالد السابق ذكرها وتحاورها في هذه ذم امتزاجها وتداخلها في أيام المولد، وانعكاك ارسالها بعده في سلامة لمتجاك ثابة وبمعاشر.

وتدحل مادية أبو زهرة إلى شاك المساحة الشرعية من الفدين الشعبي من مقصورة أو ساحة المسجد في مسجد السيدة زينب فهي تجلس معين وتلاحظ وترصد سلوكهن وهمومهن وطلعاتهن. وتدرس بعض الحالات بالتفصيل الدقيق لكنا يكشف للسيدة وليلتمس السوالي لديها. تلك التي توجب معينة مطلقة، وعندما مت الطلاق بالهدوء والاستقلال بعيوة الإطفال والسيوع، ولديها يصيت الناس عن العدل بعد ان ضاقت بهم السبل. إنها رئيسة الديوان، كما يسمونها، اعتقادا من العامة بأن أولياء الله وال بينه وبينها ومجلسا في لذلا الإعلى ترأسه السيدة زينب، أو وما كانوا يرمزون أيضا إلى أنها سيدة ويدل الطلاق. ليس ذلك الديوان الرسمي الذي عجز عن الفصل بالعدل بين الناس، بل ديوان الطلاق الشعبي

تتشابه الموالد الإسلامية مع الموالد المسيحية، فهناك أيضا تجد النشاط التجاري والترفيهي الموازي، وفي مقابل شرائط المديح يقوم عوسوق التراثيم. وتوهب الأضاحي وتوزع على الفقراء

ليس بمستغرب أن تقابل في جنبات الناس بمسجد السيدة زينب نساء من طبقات اقتصادية عليا أو حاملات لشهادة الدكتوراه

واللافت للنظر حين يقرأ المطالع لهذه الدراسة بأحزانها المختلفة أنها ابتدئت دون مصحوب تسوى بالأولياء ذفاعي أن الثقافة الشعبية / الدينية / التقليدية التي عللنا أنهت بالبوية والذكورية قد انطرت سيدات أن البيت رموزا محورية، وليرزن السيدة زينب وأنها كان قبائل سيذهب، أي أنها نظرت لهن كأمهات، أي في ظل بيئة تقليدية تزى المرأة أما وحسب، ثم تحولها في المجال الديني إلى هي المؤمنين، وفي المجال الشعبي إلى أم العواجز، فإن هذا لا ينقض دلالة هذه المنزلة. وفي التفاصيل التي تسهوها نادية أبو زهرة حول منزلة السيدة لدى الرجال من زوارها وطلابها إذا وقفه على تهافت هذا الفلر وضعفه بل تذكر الباحثة أن الرجال تكثر بكاء وتأثرا عند زيارتها وفي مولدها من الناس. بعكس النشاج عن ضعف النساء وسرعة تأثرهن واضطرابهن، غير صوارات ومورمزيات مرسومة بعناية ودقة تكشر من الناس. الآتي يزن السيد، تكشف الدراسة عن ثقافة النساء الديمية الذرية حتى في أشد حالات الفقر والأمية، فالرد في المجتمع الملايدي والطبقات الفقيرة شديدة التدين.

تقتص العابرة إلى المعرفة من العلماء، وتطلب المعرفة في اللقاءات الدورية مع إمام المسجد حرصا على صحة مارسها الإسلام. فلا انفصال في الواقع بين الدين الصحيح نصا أو فقها لدى العالم والإمام، وبين صورة الناس وسلوكهم. إذ تصادق في الحياة اليومية، ومحدها الباقر في الانغماك اليومي للحياة الفردي والأزمر، وفي الوجه للسلم من الناس من شتى الفئات والأصول الاجتماعية للعلماء في الأزهر وخارجه بحثا عن كشر الشرع في طلبا للرزق والمشورة.

العلماء إذاً: ليسوا طبقة أو فئة معزولة عنه اعترضت دراسات اجتماعيه معاصرة تشير إلى الدراسة وتراجعها، بل هم يعيشون مع الناس ويشغلون بهمومهم ويتفاعلون معرفية الفتوى والاجتهاد مع مشكلاتهم المتجدد، وبحسبون مسارهم، ويبحون سلوكهم، خاصة في المشكلات الأسرية التي تحتل حيزا كبيرا من هموم البسطاء، وخاصة النساء

وكانت نادية أبو زهرة تعتزم إجراء ساحة صغيره حول مضمون الحطابات التي يكتبها الناس للسيدة زينب ويتركونها عند الضريح.

لديها، السيدة زينب.
يبحث الناس عن العدل
بعد أن ضاقت بهم السبل. إنها
«رئيسة الديوان» كما يسمونها، اعتقادا
من العامة بأن لأولياء الله وآل بيته
ديوانا ومجلسا في الملأ الأعلى
ترأسه السيدة زينب

إنطوغرافي جاد لإقراء هذه الدراسات الاجتماعية في التدين الشعبي ومظاهره. ليس فقط الإسلامي منه، بل كذلك للمسيحي / القبطي إذ تتطابه المواد الإسلامية مع المواد المسيحية، فهناك أيضا تحد النشاط التجاري والترفيهي الموازي. وفي مقابل شرائط المديح يعلو صوت التراتيل، وتوهب الأضاحي وتوزع على الفقراء. وهناك صناديق النذور، بل والنقيلة الخدامية «الزفة». وفي مقابل عمليات الختان هناك عمليات التعميد، وحرق البخور، ورفع البرايات. بل وقد يلعب المسيحي موالد المسلمين ويحتفل المسلم بمولد القديسين ويزورهم. وفي ظاهرة تم تعطيها تاديا أبو زهرة مساحة في دراستها، وهي تستحق مزيد اهتمام من «تقرير الحالة الدينية في مصر» الذي تصدره الأهرام في المستقبل والذي نضمن في عدده الثاني الصادر حديثا جزءا صغيرا حول مولد السيد أحمد البدوي ومولد مارجرجس في مايو بمسيوس. وإن كان الربط بين الموالد في التقاليد المسيحية والإسلامية ودراسة الطبيعة المصرية المشتركة ورمزيتها في حاجة لانتباهة أكبر. وخاصة في سياق دراسة مكانة المرأة في هذه التقاليد. إذ لا يمكن تجاهل هذه الاستمرارية في محورية منزلة المرأة من بزيس إلى أساطير الفراعنة مروراً بالقديسات القبطيات اللاتي تقام لهن أيضا موالد واحتفالات وتشرفهن نفسية ديمياتة. واستمرار هذه التقاليد الإسلامية بالإضافة والمزاوجة الرفيعة لسيدات بيت الطهرة وآل البيت مثل السيدة زينب والسيدة نفيسة وغيرهما مما سنتطرق للتامل والنظر في مكانة ورمزية المرأة في انتشار «ديمي والتي كانت كما ذكرنا أمثلة موضح استقاد وهموم من جانب الكثير من التيارات التقدمية في سياق نقدها للتراث الديني بشكل عام. وكل موضع نقد الفتيات النسوية الغربية وامريكية لفترة طويلة

هل التدين الشعبي هو تدين الفقراء؟ الإجابة عند مادية أبو زهرة بالنفي. فالشعبي قد يلعب به الجامعيون / المفوق / غير المتعلم أو المثقف الذي يجمع الناس ويمثل مساحة مشتركة من القيم والمفاهيم والممارسات لذا فليس بمستغرب أن تقابل في جناح النساء بمسجد السيدة زينب نساء من طبقات اقتصادية عليا، أو حاصلات لشهادة الدكتوراه كما أن الشعبي ليس هو المرتبط بالخرافة أو ما شابه، بل تجد طقوس الاحتفال بشهر رمضان ذات السمت المصري المتميز من مظاهر التدين الشعبي / الجماهيري. ولكن هل صحت هذه الطقوس الدينية «المقوسنة» كان يمارسها المصريون قبل الفتح الإسلامي؟ ربما كانت عبقرية الإسلام أنه استوعب واحتوى ثقافات وممارسات سابقة عليه دون صدام أو محاولة للمصارعة. ومن هنا، استقرت الاحتفالات بشم النسيم لترى فيها العين الفاحصة بعضا من تقاليد الفراعنة وشيئاً من الثقافة القبطة. ثم التعامل معها بسماحة لتشارك الجموع الغفير من المسلمين فيها احتفاء بالطبيعة وقدوم الربيع دونما إبراز للدينى. بل تقدم للوطني الإنساني المشترك في التفاعل مع الطبيعة والأرض.

وفي الجزء الأخير من كتابها تقدم نافية أبو زهرة دراسة مقارنة بين احتفال المصريين مشهر رمضان الذي تقام فيه صلاة التراويح ويمثل شهر عبادة. ويختار ذلك في مصر بمعت اجتماعي وثقافي خاص. فيتفاعل فيه الديني مع الفولكلور الخاص. وبين الاحتفال بشم النسيم الذي يمثل احتفالاً «علمانيا» صرفاً على حد وصفها، لكنه يتم في وسط محيط أوسع من التدين الشعبي يكسبه طبيعة خاصة.

ما هو القاسم المشترك بين طقوس الاستسقاء وطقوس الوفاء والوفاء والحداد، ومولد السيدة زينب، ورمضان، وشم النسيم؟

القاسم المشترك هو الناس. وثباتهم مع الكون، وروتينهم للغيب. ورتطهم المتراكم عبر القرون بين الدين والحياة. وإن اختلفت عقائدهم حيالاً بعد جيل. أو تجاورت هذه العقائد

إن عودة الاهتمام بالتدين الشعبي هو في حقيقة الأمر عودة للاهتمام بالناس. هؤلاء الذين تواروا حين سُلط الضوء على الحركات الاحتجاجية والجماعات المتطرفة وغاب عن الباحثين مهم الرصيد الحقيقي لأي حركة تغيير وهم المحيط الأوسع من التدين الذي ولاه بقاؤه معها لما وقع الإسلام

وغير طقوس الميلاد والموت وما يميهما في كل بيت وكل حي وكل منطقة وقرية ومدينة ودائرة حضارية يستمر الدين من جيل إلى جيل ويبدو تقاقه. ثم تغير حركات التجديد والإحياء لتكسب هذا التدين العام إيعاناً وقلقاً في المساحة الاجتماعية أو السياسة أو الفقيهه

وعلى هذه الأرضية العملية تنشأ الحركات. وحين تواجه الأزمات تبقى هذه الأرضية السلبية حافظة لمقاومة جمة في حياة الناس

استطراداً مورد تجديد أو حركة اصلاح جديدة

وحسين ماس المرء من حقل العلوم السياسية وهواجس تلاقمه مع العلوم الاجتماعية الأخرى متحمّاً بالقراءة حول الحركات الاحتجاجية وحركات الرفض ومصارع النخب المتنافسة على السلطة وغيرها من القضايا «الكبرى». ثم يقف مع نافية أبو زهرة إلى ساحة «سيدة الديوان» و«ام العواجز». أو مواقف أحزان تلاقمه مع المآسي الوفاة. أو تلاقمهم على موالد رمضان. يدرك أن هناك جوانب مهمة في واقعنا الاجتماعي غائبة عن الصورة الكثيرة والأكاديمية. وأننا هنا نظلة تلك المساحة الثرية. وأن لنا من معيد اكتشافها. مساحة الأمة والناس .. والله العلم.

كتاب الزاوية

من شعر إبراهيم ناجي

السراب على البحر

لا القوم راحوا بأحبر ولا جاءوا
ولا لقيك عن ليلاك أنباء
جفا الربيع ليالي وغدرهم
واقفر الروض لا ظل ولا ماء
يا شاطئ الداء قد أودى بي الداء
أما لهذا الفصل المرير انقضاء
ولا لخاطر قلب أن يقر ولا
لمركب فزع في الشط إرساء
عدتي سمت شبت غير مغمرة
سوداء في حسبت ليس حمراء
حمراء وهو جوحه وبة
ويس تحدع طبي وهي حرباء
وكيف تحدعني البيداء غالية
وللسراب على البيداء إغماء
ألأنت ماديت أم صوت يحيرني
فلي إليك بإذن الوهم إصغاء

* * *

تفرق بين حوب الشط وحشوها
تهيه صحب أم وعوعة
مي بهم، أم أني لحب أحبهم
وهم وحب يتطلبن مذ بعد
نوا أم أمد، وهو دان بعيد
وعدة الحب حين يغدو
رجع أنينك وهي حرف يزورني
وأنني وأنفرني عنك إعصار
وطفت في الآفاق حتى سئمت
وكم سكت قد بعدت إليه
وأنت نفسه في كل بريح ثقيه
واشط حبك يا وأنى أجده
يثير من عدم الأثير وقوده
وكيف نجري الخمر أن أجده
ك أنت وهو الشمس منه
إلى الغيب وهو ملء إحساسي

كتب عربية

السيف والهلال
رضا هلال
القاهرة دار الشروق ١٩٩٩

هذا الكتاب، بحسب ثلاثة عناوين فوق غلافه لا عنواناً واحداً: السيف والهلال - تركيا من أتاتورك إلى أربكان - الصراع بين المؤسسة العسكرية والإسلام السياسي. لكنه في الحقيقة يركز على الدور المهم الذي يضطلع به الجيش التركي في تحديد مصير تركيا ومسار الحكم فيها، ففي عديد من الانقلابات التي جرت في تركيا أعوام ١٩٦٠ و١٩٧١ و١٩٨٠، كان الجيش يتدخل لوضع حد للفوضى الاجتماعية، أو لحسم الصراع بين الإسلام السياسي والمجتمع المدني - وفق رؤيته كما جرى في شقه عام ١٩٩٧، لإثناء حكومة أربكان وحظر أنشطة الرفاه، وقبلها حزب الفضيلة الإسلامي. وهو دون يظن أنه الجيش التركي بامتياز، بوصفه صاحب الأسهم الأكبر في «تتريك» تركيا بدءاً من أواسط العشرينيات، وبرغم أن المساري التي ترسمها أتاتورك، جرّمت انخراط ضباط الجيش في السياسة، فإنها منحت الجيش شرف حماية التعاليم التي قامت عليها الجمهورية التركية والحفاظ على الدستور ضد أي انتهاك. وهو ما جعل الجيش في موقف أعلى من السلطة «التنفيذية».

ويرصد الكتاب كيف كانت أزمة نهاية الستينيات في تركيا حالة ضرورية لتدخل العسكر لوضع حد للفوضى الاجتماعية آنذاك إذ تعالت أصوات اليمين واليسار لإسقاط ١٢ حكومة ائتلافية خلال العشر سنوات إلا ثلاث، وحتى ديسمبر ١٩٧٩، بينما تدهور معدل النمو الاقتصادي من ٨٪ عام ١٩٧٥ إلى ١,٧٪ عام ١٩٧٩، وارتفع معدل التضخم إلى ٨٥٪، ووصلت نسبة البطالة إلى ٢٠٪، أيضاً كله، تدخل الجيش فيما عرف بانقلاب سبتمبر ١٩٨٠ الذي قاده الجنرال كنعان إفرين فأغلق الأحزاب السياسية وحل البرلمان وأقال العدد الأعظم من أعضاء المجالس المحلية. وزادت سلطات العسكريين بشكل غير مسبوق، وأصل أن يعيد الجيش السلطة للمدنيين في الانتخابات العامة التي جرت عام ١٩٨٣، فرض دستوراً جديداً وإطاراً عاماً للحياة السياسية، مكنه من الإشراف على الحياة السياسية، وبدءاً بالدور الذي أرادته السلطة لهم وتحدوا أنفسهم لها، وصار المثلث المتربع بعاشي قهراً دفعه إلى الاغتراب أو الغربة داخل وطنه.

وينتهي الكتاب إلى أن صعود قبضة الستينيات التي شهدت تحقيق قفزة هائلة بالرأسمالية العالمية، أقررت متغيرات سوف تضعف، وأخصى لذلك التوجهات والطرب بشكل عام. وعلى الجانب الآخر، كانت هناك ثقافة رسمية تضع عبر وسائل الإعلام الجماهيرية ثقافة تقمع التوجهات الثقافية والعقائدية والمبادرات الإبداعية، وتنمي روح الاستهلاك والفرديب والابتذال والإذعان. وكان نظام الإجراءات استغلال السلطة السياسية لدين غالبيتها لصريف الوعي الجماهير.

ويعرض المؤلف في الفصول الثلاثة الأخيرة لموقف وآراء المثقفين المصريين من التيارات الثلاثة الأساسية، الماركسي والليبرالي والإسلامي، من قضايا الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والأصالة والمعاصرة.

وحين يسعى المؤلف لاستشراف طبيعة هذه العلاقة في المستقبل، فإنه لا يقدم أجابات جاهزة، وإنما أسئلة يتركها مفتوحة لاجتهادات المثقفين والسلطة، وربما لعقل المستقبل ذاته.

المثقف والسلطة
مصطفى مرتضى علي محمود
القاهرة مارس ١٩٩٨

يقدم هذا الكتاب دراسة تحليلية لوضاع المثقف المصري في الفترة من عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٩٥ خصوصاً على صعيد علاقته بالسلطة. وهو يبدأ بفصول تاريخية تحدد المفاهيم وتنسحد من أطار نظري مناقش ثم تقدم رؤية نقدية للدراسات السابقة في الموضوع. وفي الفصول الثلاثة التالية يدرس المؤلف البدايات والمعالم الأساسية لعلاقة المثقف بالدولة في عصر السادات، ثم يدرس علاقة المثقفين المصريين، وعلى الخصوص بين الدولة والمثقف على التوالي، قبل أن يقدم في الفصل الثالث الأخير رؤى المثقفين المصريين لعديد من الإشكاليات المهمة في عصرنا الراهن كالعولمة، الديمقراطية، اشكالية الأصالة والمعاصرة.

لكن المؤلف لا يلقي بنا إلى قفزة حكم الرئيس السادات دون أن يعرج على الحركة الناصرية، والتي تميزت بعلاقة ملتبسة بين المثقفين والسلطة. ويلاحظ المؤلف أن فترة الخمسينيات والستينيات تميزت بنوعين من المثقفين، مثقف حاكم بحياته في رغد ونرجسي على الدوام، ومبادئه، وهو بعصبه الذي صدمته الإجراءات التي اتخذتها الدولة لتصحيح الاختلال دون تبريرات مقنعة، لفئة هو ذلك كان يؤمن بأن هذه الإجراءات مؤقتة وسترول حالما تنتهي الفترة من تثبيت مواقعها في مواجهة أعدائها، وفي مقابل المثقف، كان هناك مثقفون من الضباط والبيروقراطيين والتكنوقراط، سرعان ما وضحوا أنفسهم في القوالب التي أرادتها السلطة لهم وتحدوا أنفسها، وصار المثقف المنتزع بعاشي قهراً دفعه إلى الاغتراب أو الغربة داخل وطنه.

وينتهي الكتاب إلى أن من قطيعة الستينيات التي شهدت تحقيق قفزة هائلة بالرأسمالية العالمية، أقررت متغيرات سوف تضعف، وأخصى لذلك التوجهات والطرب بشكل عام. وعلى الجانب الآخر، كانت هناك ثقافة رسمية تضع عبر وسائل الإعلام الجماهيرية ثقافة تقمع التوجهات الثقافية والعقائدية إسلامي الأبالحها. ويرغم ١٥ الانفتاح فإن الثقافة العربية أصبحت أسيرة لتأثير الأول أيسر سوى واحهة للآخر. ومن ثم، الفت السلطة في أحراش نتائج الانتخابات التي فازت فيها الجبهة الإسلامية لإثقال بالأغلبية عام ١٩٩٠، مما فجر الصراع بين الجبهة والحكومة من ناحية، وبين من ناحية ثانية موقف التيار الرافض للحكومة والمجتمع ومؤسساته.

وقد نشأت الجبهة كتكتل جمع تيارات إسلامية عدة، بعضها كان موجوداً في الساحة، وإن لم يمارس نشاطاً علنياً بسبب احتكار حزب التحرير للأنشطة السياسية في البلاد، أما الجماعة الإسلامية المسلحة، فإن نشاتها كفكرة تبدت مبهوقة، وإن كانت بداية نشاطها الرسمي ترجع إلى العام ١٩٩٢

وبسبب الظروف الموضوعية التي وجدتها السلطة لإنقاذ: تراجعت الأخيرة، وجدت الجماعة المسلحة نفوذها حتى في مناطق نفوذ جبهة الإنقاذ ذاتها.

ويعرض المؤلف لمعالقات داخل الجماعة المسلحة ذاتها، وبينها وبين الجماعات الأخرى، فأمير الجماعة أدى أمير بلدة الرهبان الفرنسيين السبعة (جبال زيتوني) قتل على يد معارضين من الجماعة، ويرغم نشاعة ما قام به، فإن ماجرى في إمارة خلفه «منصر الزواجري، يتجاوز عشرات المرات، حتى الخارجين بعرفونه بـ «عهد الفاتح»، وبدا أن الجماعة المسلحة تصر على فرض رؤيتها على المجتمع. فرصت الخصخصة، والتحاكم أمام القضاء الشرعي، وألغيت أسعار المستهلكين من تارك العملة الى الزكاة. أما البحاح المسلح بالرغم، فقد أعلن عن هدنة مع الحكومة عام ١٩٩٧، ولكن زعماؤه إجراء حوار معها، فيل تؤدي هذه الهدنة إلى أوضاع جديدة، أم تؤدي إلى استئناف سؤال رصاصة الأمل، يسوقه المؤلف في نهاية كتابه.

شكسبير واليهود
ليونس عرص
القاهرة سينا للنشر، مؤسسة الانتشار العربي، ١٩٩٩

حتى الآن، لم يظفر في الأدب الغربي يهودي أشهر من شيلوك، التاجر المرابي في مسرحية شكسبير الشهيرة «تاجر البندقية»، وكثير من الكتاب الذين حاولوا رد شكسبير اعتباراً من هذه الشخصية ووظيفتها بطريقتهم، وتحول شيلوك بفضل شكسبير إلى أسطورة تسجت عنها أعمال عديدة، خصوصاً في مرحلة كان اليهود يطلون فيها مشكلة مؤرقة لأوربا.

لهذا السبب يحتل «شيلوك» نحو ثلثي مساحة كتاب «شكسبير واليهود»، إذ يخصص له المؤلف الفصلين الثاني والثالث، فيقدم في الفصل الثاني

تلخيصا لمسرحية «تاجر البندقة» ومصادرها، ويشرح أن الناقد تظافر المسرحية في اتفاقات عبر الإنجليزية، والتحليل الفرويدي لها وأخيرا يقدم أصداءها بعد الحرب العالمية الثانية. أما الفصل الأول، فهو دراسة تاريخية عن اليهودي وصورته في أوروبا العصور الوسطى.

وقد حللت روايات ومسرحيات القرن الثامن عشر وبرزت فيها بوضوح فئتان، تتسم بالكره والجشع وتشغل بالسمسرة والربا، غير أن ذلك لم يمنع مؤلفا مثل امكانت المسرحي، ريتشارد كمبرلاند، من كتابة مسرحية عنوانها «اليهودي» عام ١٧٩٤، هذا فيما بطله اليهودي «شيلك» محتملا وكريما على يقدم شخصية شيلوك تماما، لكن «شيلك» اندلع وثار، «شيلوك»، وهاهي بعده اليهودي زعيم العصابة في رائعة شارلز ديكنز الشهيرة «أوليفر تويست» والمراسي في رواية الروائي الإنجليزي تروليوب «رئيس الوزارة» وكذلك فعل الشاعر ت. س. إليوت في قصيدة بعنوان «بيرمبانك» نظمها عام ١٩١٩، وفيليب لاركين في روايته «جيل» عام ١٩٤٦، ودون أن ينفي ذلك السعي لتعيير صورة اليهودي في الآداب الغربي في القرن العشرين.

عبدالمنعم النهل
إبراهيم أصلان
بيروت: دار الآداب، ١٩٩٩

هذا هو آخر الأعمال الإبداعية للأديب إبراهيم أصلان. وهو ــ طبقا لما هو ملحوظ فيرغم انتمائه إلى جيل الستينيات الأدبي، وبدايته المتقنة فعلا أكثر من خمسة وثلاثين عاما، لم يصدر سوى مجموعتين قصصيتين هما «بحيرة المساء» و«يوسف والرداء» وثلاث روايات هي «مالك الحزين» و«وردية ليل» والرواية التي بين أيدينا.

وتدور رواية أصلان الأخيرة في عالم «الأديب الكهل الكفاف» بالتحديد في شارع عمل أمه عثمان وبين شخوص يبدون هنا كما لو كانوا يدرّكون من الحياة حدّه، أو هم على وجه الدقة، يقفون على الخط الواهي بين الحلم والواقع. ويمثلون أربعة أجيال متصلة، بدءاً من الجدة نرجس التي تبدأ الرواية باختفائها وتنتهي دون تحديد واضح لمصيرها، وانتهاء بترجس الصغيرة والولد عبده الله، مروراً بالبهي عثمان والحال عبد الرحيم وعشرات آخرين من صنع بهم أصلان روايته، التي مارس فيها لعبته الأثير في تكسير الزمن، حيث تحرى الانتقالات داخل الرواية بطريقة تبدو مربكة، لكن بالداب ومتابعة القراءة تتكشف الصورة بدريجيا، فابطال أصلان كما هم دائما من البسطاء، أحلامهم تعاتلهم، تكتنفهم الطرافة والحداد، متعيون مثل كل المصريين على ثقلمة

المؤلف
مصطفى الشوبكي
محمود أبوزيد
القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر
١٩٩٨

يشير جبراء عبدربون إلى أن حروب القرن المقبل «لن تشبه ــ سكون سممها المياه، والأرقام تدعو للقلق معا، فالمياه العذبة تمثل حوالي ٣٪ من مياه العالم، فكشرص ثلاثة أرباعها في هيئة جبد، وحوالي ٢٢٪ مياة جوفية، ويوجه الجزء الباقي ٧٨٪ لتغطية احتياجات ٦ مليارات من البشر.

وفي هذا الكتاب، يعالج الدكتور محمود أبوزيد وزير الإنصال السابق والموارد المائية في مصر، الأسباب التي جعلت من المياه مشكلة على المنطق العالمي، ويركز على المنطقة العربية باحثا ليها أو ترويجا عن النقص، فيسؤهل للمصالحة منتقلا بين الموصلي وزياب وعبدد الحاسولي والقصبجي وسيد درويس وزكريا أحمد، وصولا الى أم كلثوم وعبد الوهاب وليلي مراد وشادية وعبد الحليم نويطي.

لاطرح أصلان هذه المعاني بوضوح زاعق، إنما كالعادة، بصوته الخاص الخفيض المتهدج، والتي استمدت من أعماله، كالعادة أيضا ــ من يمكن الاستدلال إليه بوصفه الظرى الفعلي للعمل الروائي، فالحظ هنا هم المكان متلاعبا المستمر والجدلي مع شخوصه وزمنهم، ويبقى الراوي في حلقة مفرغة لقطة، تتمثل دق التفاصيل دجاد مماثل

كنوز من السنة
الشيخ محمد متولي الشعراوي
القاهرة: مجموعة مصر، ١٩٩٨

هذا الكتاب، هو آخر الأوراق التي تركها الداعية الإسلامي الراحل الشيخ محمد الشعراوي، اختار عنوانها لكنه لم يتمكن من الانتهاء منها فقد وافته المنية قبل إتمام كتابه، وهو يتضمن تعليقات وتفسيرا العشرات الأحاديث النبوية، يربطها بوقائع معاصرة ليبين فيها إذا ما استعمل الناس بالتشريع الإسلامي، والسنة النبوية، مصدره الثاني، صلحت أحوالهم، ونجحوا في تجربة الحادية الذي عاشوه في ظل الشيوعية، وما رسمت عليه من الفقر، والتخلف وتطويرهما.

ويشير بشكل خاص إلى الدور المهم الذي لعبه عبدد الحاسولي، الذي لم يكن أزهريا بنشأته، لكنه اكتسب علمه ورهافة حسه من الأزهريين، وفي أشعارهم والحانهم، يرفع لهم كما كان من أكبر الملحنين، ثم ظهر في «الدور» وتطور على يد الفنانين والملحنين من الرجال من أمثال المصنحي وزكريا أحمد وسيد درويش والشيخ سلامة حجازي، وما أن حصل إلى عصر عبدالوهاب وأم كلثوم، حتى بلغ به الفناء، الذي هو الأصل في الموسيقى العربية تطورا محفوظا، يتناوله المؤلف بأسلوب محاولا الإجابة عن عديد من المشكلات التي تواجه فن الغناء العربي، الذي كانت حركة اليقظة قد أحياء بكل معنى الكلمة، وترامت مع النهضة في مجالات عدد، ويؤكد المؤلف أن لم كفلوه ومدنيته، وضعوا الأسس المتطورة للفناء العربي

ويقدر المتحدة المتحفظ من متابعة تاريخ الغناء العربي مذ الموصلي وحتى اليوم، فإن حالة من الجمود تلازمنا بالضرورة بسبب مال إليه حال الغناء خصوصا، وليس نتذكر قول ابن حذون في مقدمة له ما ينطلق في الموقد عند انطفاء الضرض صناعة الغناء.

في مصادر المياه فيها واستخداماتها ودور المؤتمر المؤتمنة مستقبلا، وكيفية تحسين استخدامات المياه، والعلاقة بين المياه وقضايا اسعاد والتعاون الاقتصادي، وعرض في الفصل الاخير توصيات تحلول لمشاكل ندرة المياه في الوطن العربي.

ويطالب الدول العربية بالإفادة من التطورات التكنولوجية المتلاحقة في المجال المائي وان محاور تنميتها المائية مما يحدد امكاناتها. وان تتعاون فيما بينها لتمويل وتنفيذ مشروعات عديدة مثل مشروع ناقيب السلام الغربي ومشروع جنوب شرق الدلتا لتصاعيد وتشروعات اقليمية أصيل في حوض بحر الجبل وبحر الغزال والبحيرية الاستوائية. ويطالب ايضا باقامة صندوق عربي لامان المائي، مهمته تمويل إعداد وتنفيذ صحفظات الامن المائي العربي، اذي يعتبره المؤلف، ركنا اساسيا من اركان الامن القومي للامة العربية».

كتب اجنبية

Aux Sources du Renouveau Musulman: d'al Afghani a' Hassan al-Banna, un Siecle de Réformisme Islamique

(من مصادر الاحياء الاسلامي: من الافغاني إلى حسن البنا، قرن من الإصلاح الإسلامي).

de Tariq Ramadan

Paris Bayards Editions, 1998

380p 140F

رفضت جميع دور النشر التي تقدم إليها طارق رمضان بهذا الكتاب أن تنشره ما عدا إحدى دور النشر الكاثوليكية التي تملك فقط المجازفة إيمانا منها بضرورة عقد مواجهة جادة بين الاتقدر الدينية، وإيمانا بان الموجهة الحقيقية لاي فكر مختلف لاتكون بالصمت ولا بالتكفير... ولكن بنشر هذا الفكر وتفريصه بتلقه.

والمؤلف لشاب طارق رمضان، هوحفيد حسن البنا مؤسس حماعة الاخوان المسلمين وابن سعيد رمضان احد ابرز قيادة في جبهة حلال الفترة الناصرية وهو يعتبر من هم المؤاسين للحركة الإسلامية في فرنسا ومن أكثر الواعظين جمهورا في الضواحي الفرنسية خارج باريس. والواقع ان طارق رمضان صديق لكثير من الآباء الكاثوليك مثل فريستيليان دباوم ومشيل لاوج وبعض العلمانيين.

ويحتلف هذا الكتاب عن الاعمال الاخرى تعلماء الإسلام الفرنسيين من امثال حبل كبيل الذي تتقد البعد التاريخي وتتمسك باراء صحايدة تعبرض الحركة فسي بريستيليان دباوم الأخيرة فقط صجاهلة لماضي وتاريخ الإسلام

ويقوم الكتاب باحصاء الكثير من الاعمال القيمية، مركزا على اعمال الافغاني ومحمد عبده وابن باديس ورسيد رضا تكنه يعطي الاولوية لجده حسن البنا، فيروي بكل حرارة وعمق مشواره الديني وصفاته ومميزاته كإمام ومعلم لحركة الناشئة للاخوان المسلمين، ونقسمة لصلته العائلية ومحاولة طارق أن يعرض أعماله التي لم تنشر من قبل.

يظهر المؤلف للغرب حسن البنا في صورة عادية للمسلم، ولكنه لا يبذكر ان مؤسس الاخوان ناذي ساقلوباوية داخل مصر وفلسطين كما استطاع ان يوجد بين صفوف جميع الحركات الإسلامية ، ومعظم دورا اجتماعيا وتعليميا ولكنه يؤكد سه لم يؤسس جناحا عسكريا وإن يقم بتدبير عمليات اغتيال، فكره نبع من إيمان عميق ومتزوم، ولكن موت المئات من افراد الإخوان خلال فترات القمع هو الذي غيرمن اتجاهها الثقافي الى الاتجاه السياسي.

The Persian Gulf at the Millenium

(الخليج الفارسي في الألفية)

Gary Sick and Lawrence Potter (editors)

Macmillan, 366 p. $ 49.95

استحور الخليج وبطه على اهتمام الدبلوماسيين في العالم العربي الاسرائيلي كمصدر لنفط وبالنسبة للدول العربية. وهذا الكتاب يضم مجموعة من المقالات التي هي ثمرة حلقات النقاش التي انعقدت في نيويورك بين ١٩٩٤ و ١٩٩٥ حيث تبادل مواطنون من بلدان دول الخليج وجهات الرأء مع عدد من الغربيين وقد قام جاري سك اذي بادر بالمشروع والذي يعمل الآن بجامعة كولومبيا بتحرير الكتاب مع زميله لورانس بوتر. وكان يعمل قبل ذلك هميرا في البيت الأبيض للشئون الخليجية. وفي مقاله الذي يصعه هذا الكتاب برصد «سيك» الأزمة التي يراها تزحف ببطء على دول الخليج والتي تتبلا عن الثقافة بحيث يمكن أن تبدل وتغير من سياساتها الداخلية وعلاقاتها مع بعضها السعض وكذلك علاقاتها مع القوى التي تحيش خارج منطقتها. فيتاقش «سيك» القصور الذهني في دول الخليج والتجاهل في غياب المشاركة السياسية والمحاسبة كما يقوم بتحليم عدد أساطير من بينها أساطير الحماية والتي تعتقد بعض الدول أنها تتمتعها حتى الآن. فقد وجد «سيك» ان التراجع القومي الإجمالي لدول الخليج الثماني مجتمعة يساوي ذلك الحاص بموسيسرا وحدها. وكذلك يزعم أن المقبول اصبح بالنسبة لحكومات الخليج بمثابة مخرر يلهيها بالوهام مزعلة، ويبرر لها ما يسعيه بالشلل المريع الذي تحياقيه.

وتعالج بقية فصول الكتاب مشكلات الامن والمنازعات الحدودية والقوات العسكرية لإيران ويقوم فيلق فوجل خبير القانون الإسلامي بجامعه هارفارد بعقد مقارنة بين النظامين الإسلاميين القائمين في كل من إيران والسعودية.

أما مديرة مخزو الاستاذة جامعة البحرين فتقوم بفحص الصعود الثوري في بلدها، وتتوصل إلى انه من الصعب عدم تصور وجود تطورات مماثلة في دول أخرى من دول الخليج

Zarafa

(زرافة)

Michael Allin

Head Line, 1998

انتشرت فجاة في عام ١٨٢٧ موضة باريسية سميت موضة الزرافة. فليس الرجال فحسب انما ايضا نشأة الزرافة وسلطت سيدات المجتمع الراقي شعورهن على شكل رأس وعنق الزرافة حتى انهن كن يضطررن للجلوس على ركبهن العربات لارتفاع شعورهن

يكشف المؤلف كسيف وصلت هذه الموضة الغريبة الى باريس، مدات القصة حينما ساعد محمد علي السلطان العثماني على قمع ثورات بلاد اليونان فكرمه الاوروبيون الان الفضل الفرنسي بالاسكندرية اقيم محمد علي بان نصب طريقة لتعبير حدد الصور السيئة عن إيرق ملوك اوربا بالهدايا غير الأدبية حيث فضل الفضل افريقيون إحداهما إلى لندن حيث مانت من قلة الغذاية بها وأخرى إلى ملك فرنسا ملك الشمس والذي كان مهتما بحدائق الحيوان.

ويتتبع المؤلف حياة هذه الزرافة المتنقلة منذ ولدت عام ١٩٢٤ بمعيشة سفر بالسودان ونقلها على فلوكة في النيل الى الاسكندرية ومنها الى فرنسا لتصل أخيرا إلى ميناء مرسيليا وأخر عام ١٩٣٨. وظلت هذه الزرافة هي الوحيدة بأوروبا حتى ٨٥٠ عاما اطلق عليها الأفارقة اسم «زرافة» كما تطلق بالعربية وكان طولها اذني عشر قدما، لها حارس عربي اسمه حسن وكانت تشرب خمسة وعشرين جالونا من الحليب حيث راهقها عدم الإدرار منذ بداية رحلتها. وترس العلماء هذا المخلوق الجديد عليهم بعناية وتتبع الشعب الفرنسي رحلتها من مرسيليا إلى باريس بشغف شديد فرسموها وكتبوا فيها المقالات والأشعار وزارها خلال اليومين الأولين من عرضها للجمهور مائة الف فرنسي

وهو ذلك لم تتحمس لمسألة محمد علي وتتبع عندما حاول إهداء الأوروبيين بعض المسلات ايضا. وتوفي الفضل رجلا ثريا من تجاره الأثار، وعندما ماتت «زرافته» حنطوها ومازالت محنوطة حتى الآن بمنحف «لا روشيل».

The Emperors of Chocolate: Inside the Secret World of Hershey and Mars

(إمبراطورة الشوكولاتة: داخل العالم السري لهيرشي ومارز)

Joel Glenn Brenner

Random House, 1999, 366 pp. $ 24.95

تعد مؤلفة هذا الكتاب «في محررة سابقة بالواشنطن بوست الصحفية الوحيدة التي استطاعت ان تقتحم شركة مارز العائلية الشوكولاتة. ففي شركة شديدة السرية، حتى انه عند استفسارهم بخبراء من الخارج لمعالجة امر ما في المصنع يتم تغطية عينهم إلى ان يقتادوا للموقع المراد معالجته.

أما فورست مير الابن والذي يدير الشركة مع اخيه جون، فهو يرفض ان يتم تصويره «توتو غرافيا» منذ ان كان يكاصف، وهو يتذكر كما كن تديه اجتماعات خارجية، وهذا الكتاب يحوي أول مقابلة تجرى مع كليهما، كما يروي قصة تجمع عائلتين في صناعة الشوكولاتة بالاضافة لجمع مارز وهرشي ٧٥٪ من سوق الحلوى في الولايات المتحدة، كما انهما يصنعان ١٥ صنفا من البسكويت لكل صنف ٣٠ صنفا مبيعا من الحلويات. وهي الوقت الذي يتوقع فيه البعض ان يدخل المنافسة في ظل موجة الأسواق الخارجية. صناع تحرون ان العملاقين الكبيرين اصبحا تشعر بسعارة واضحة استحواذ الشركات الصغيرة، كما يشعر صناع الحلوى في اميركا عالم ١٩٥ بيليو ٢٠٠٠ بتوقع ان ينكمش هذا الرقم عام ٢٠١٠ ليصل الى ١٥٠.

وبعيدا عن ذلك، فان اغلب الكتاب يركز بالاساس على شخصية وحياة كل من فورست مارز الاب ومنون هيرشي وما دار بينهما من معارك وحروب.

وتتخلل شخصية هذه الرجلان آثار الاختلاف، فاحدهما وهو فورست مارز سعيد بالعيش في غرزة وامتداك العالم، والآخر منون هيرشي تسيطر عليه الرغبة في بناء يوتوبيا صناعية. وقد كان فورست مارز الأب رجل اعمال ميسورا وغليظا في تعاملاته فقسام على باختراع يحفي من النجح انواع الحلوى في تاريخ الشركة مثل ميلكي واي واو كي إمز، كما طور من صناعة الشوكولاتة مستفيدا من الصناعات الميكانيكية وصناعات الحديد لكي يخفض الزمن الذي يستغرقه إنتاج عبوة من الحلوى من ١٦ ساعة إلى ٣٥ دقيقة. ولم يتورع حتى عن الجسس لصالح شركته بنفسه، فقد

مذكر في صورة عاشق محتج في سويسرا

ليبحل مصامير «نسطه» و «تويليورن» وفي مسألة الجودة كان شديد التطرف فقطعة الشوكولاتة من نوع «سنيكرز» يجب أن تحمل ٤ ١ حبة فول سوداني بالتمام

وقد حلق فورست مارو في شركته مناطق من الثقافة الاوربية، فقد كان المدير الذي بدأ تعيينه يوقع على جواب استقالة بأقل المفوض في الحال الإخفاق في تحقيق أحد الأهداف، ولكنهم في المقابل كانوا يحصلون على رؤاي عالية (مربوطة بالأرباح) وكان الطريق مفتوحا أمام ذوي الكفاءة، ولكن بسبب إني أنظمة التي كانت محجوزة لإنجازه.

ولا يعني هذا انه كان رحيما معهم، فأساؤه لم يؤثروا حدوى الم إم & إمز جهم أطفال، وقال مرة في أحد الاجتماعات جعل مزاج الأشخر جون يصلي على ركبتيه حتى مزاج الشركة لمدة ساعة.

وعلى انجانب الآخر كان ملفون هيرشي شخصا كريما أخلاقي، وكانت تدفعه رؤيته الكلي معا بدفعه الربح ففي بدايات أمرين قام هرشي معاد مدينة هرشي في ولاية بنسلفانيا ستكون بوتوبيا صناعية كان المصنع ينحمل ملفات كل شيء من الصناعة الداخلية في المبوت إلى الدفاعة بالبخار وإلى ملاعب الجولف. ولم يقم هرشي سي أي وقت من الاوقات برفاه احد موظفيه حتى تمامه فترة الكساد الكبير ولانه لم يكن لديه معاد الوقت كما أموانه على الإطلاق على أكبر اثر رعاية بالنسبة في الاوليات المتحدة واكثرها ثراء.

وكانت استضافة ان تراجع هرشي الطيب امام منافسه العنيد هارو، وفي عام ١٩٧٦ قدمت شركة أشركة وليام بيرن لحمد مضرجي بار رعاية الايماء وقام بتحديث المطاعم وادخال قسما للتسويق، وأخذت الشركة موقع الصدارة من جديد بعد عدة معارك مع مارو، كان أنجح هذه المعارك على الإطلاق صفقة فيلم الخيال العلمي السينمائي الشهير إي.تي (E.T.)، فقد كانت فكرة منتجي الفيلم في ستوديوهات يونيفرسال أن يستخدموا حبات ريز بز إم & إمز كسميل لدفع كذلك القضاء إلى الهرب شارع الغابة، وعندما رفض مارو، لجأوا إلى المنتج المشابه (ريسز بيسز) فكانت النتيجة ان هيرشي، واستطاع هرشي استخدام إي تي في كل حملة ترويجية تقريبا، وذلك بصنعه تضاعفت مبيعاتها في ثلاث أسبوعين

Crussing The Jordan: Israel Hard Road to Peace

(عبور نهر الاردن طريق إسرائيل الصعب نحو السلام)

Samuel Segev

ناجحوا تحديد المشرعين بالدماء خارج نطاق مصير الملف من أخطار تلوث الدماء بفيروس الـ HIV، وبذلك لا يمكن إغفال العنصر الاجتماعي في تحديد المستوى الجنائية في هذه القضية وما يمكنه هذا البعد من ضغوط تؤثر على أصحاب القرار

وعشرين عضو المصابين بفيروس «الإيدز» كنتيجة مباشرة لعملية نقل دماء في فرنسا يسعى ثلاثة أشخاص لبعد في أي دولة أوروبية أخرى وفي كنتاجها تركز عجيبا بشكل أساسي على البعد الاجتماعي للمسألة بما يبقى إلى حد ما خطورة مسئولية كل من الوزراء المتهمين الثلاثة نظرا لان الجانب الاجتماعي له تأثير كبير على اتجاه قراراتهم.

Derriere L'Epaule

de Francois Sagan

(خلف الكتف)

Plon, 236 p., 120 F

تستضيء «فرانسواز ساجان» بكريائها بتقديم عرض موجز لعشرين رواية أدت مكانتها منذ أول قصة نشرت عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها وهي «صباح الخير أيتها الشماتة» Bonjour Tristesse، والتي كانت نقطة انطلاقها نحو شهرة أدبية واسعة.

وتؤكد «ساجان» أنها لا تملك أية ذكريات وهي تكتب، ولان ذكرياتها أدبية تكمن في كتبها التي تقرأها الآن للمرة الاولى والأخيرة.

وتعرض «ساجان» في ٢٠٠ صفحة بقليل عشرين من مقالاتها، وتعترف أنها قدمتن أحيانا نجاح التعليم والذي أصبح مرادفا لمرور الأيام بسرعة بين أصابع اليد الواحدة التي كانت متوفرة لها.

وتستعرض «ساجان» أيضا بعض ذكرياتها عن حياة كتب أخرى لها، مثل قصة «Un Profil perdu» وتشعر بالخجل والاستياء منها وتلتمس الكآبة نفسها وغيرها من الكتب التي تعالج الاحداث عن الكتابة الضعيفة، حيث تكون الحاجة المادية دافعا للكتاب الضعيف أحيانا. ويعتقد الكاتب إلى الخيال والقدرة الإبداعية أحيانا أخرى.

وتعترف «ساجان» أنها تتعنى ان تكون قد يوم ما أن تعبر عن ما بداخلها عن طريق الشعر الذي تعتبره أسمى وسائل التعبير الأدبي على الإطلاق

الى واشنطن ويقول المؤلف إن (مبرير) صرح ليلتها في الم

Le Sang, La justice, La Politique

(الدماء والعدالة والسياسة)

de Blandine Crgelle

Plon 156p 98tr

مدات في التاسع من فبراير الماضي مساكمة ثلاثة من كبار المسئولين السابقين في الحكومة الفرنسية السابقة وهم «لورال فابيوس» - جوزيفينا ديوفو - ودومون اوفي. فمثل مطلق عليه وصف «قضية الدماء الملوثة». وساقش هذا الكتاب الإهمال المحتمل لبيد القضية بدرجة اتخفيف من انباحث السياسية، والطبية والإجتماعية بالاضافة الى الناحية القضائية.

تحد المؤلفة جانب الدفاع عن الوزراء في هذه القضية، فتعنى ضوء تحليلها للدعوى القضائية الخوف عند هؤلاء الوزراء. إلى جانب بعض الحقائق الطبية والاجتماعية التي كانت متوفرة عن موضوعي الايدز في الفترة ١٩٨٣ - ١٩٨٥، تؤكد «كريجل» أن موقف «لوران فابيوس» من موضوع الدماء الملوثة ينم عن مواربة وحيلة، إنحاني حيث إنه نادى في فترة توليه رئاسة الوزاره بصرورة وضع أسس إجراء التحاليل الاساسية على عينات الدماء لمنع انتشار فيروس الإيدز عن طريق الدم ووفور أن دل على شيء فإنما يدل على معرفة قوية بالمشاكل الطبية المعاصرة.

وتضيف في دفاعها عن المتهمين الثلاثة أن هناك عوامل كثيرة حالت دون إتساع المسئولين لخطوات الوقائية الضرورية لحماية الدماء من التلوث وهو هذه العوامل ضغوط صحفية وضغوط من اصحاب الرأى المختلف في جمعيات «الهيموفيليين» و«الشواذ جنسيا» مع

اجتماع

الاعمال الكاملة للدكتوروسيد عويس
سيد عويس
القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٩
هذا هو المجلد الاول من اعمال عالم الاجتماع الراحل الدكتور سيد عويس صاحب الدراسات الرائدة والمهمة في المجتمع المصري، ويضم المجلد الاول أربعة كتب هي «ظاهرة ارسال الرسائل للامام الشافعي»، و«الدخلود في التراث الثقافي المصري»، و«الإسداع على الطريقة المصرية»، و«الازدواجية في التراث الديني المصري».

□ □ □

العنف الاسري
اجلال السعدني
الدوحة: د. ن، ١٩٩٩
بحث في الأسباب التي تقود إلى العنف داخل الأسرة، والمخاطر التي تهدد الأسرة الواحدة، وكيفية تلافي هذه الأسباب.

□ □ □

ضعف الشقافة الجنسية: سرطان الزوجين
عبد الهادي مصباح
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩
دراسة علمية عن واحد من الموضوعات المهمة التي أعشبرت في بعض الأوساط ضمن دوائر المحرمات. لكن المؤلف يؤكد على أن الاقتراب منها والغوص فيها بعلمية وموضوعية، يفتح نوافذ للسعادة الزوجية بما يحقق الاستقرار الأسري

أدب ونقد

الأخرون (رواية)
حسونة المصباحي
تونس: دار بثر الزمان، ١٩٩٩
رواية جديدة عن المهمشين والصعاليك والمغتربين والمطرودين، وهو العالم الذي دأب المصباحي على اكتشافه وسبر أغواره دون تعب.

□ □ □

اعمال الكاملة للشاعر محمد عفيفي مطر
القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨
تضم ثلاثة مجلدات تحتوي على كل انتاج الشعري لواحد من أهم الأصوات الشعرية العربية في هذا القرن، وترسم ملامح مسيرته الشعرية الممتدة منذ أواسط الخمسينيات حتى اليوم. وحملت المجلدات الثلاثة أسماء ثلاثة دواوين هي «من مجرة الدمايات»، و«ملامح من الوجه الأمبيدوقليسي»، و«احتفالات الموميا» المتوحشة».

□ □ □

التناص في شعر السعينيات
مامدوح فديل
القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة ١٩٩٩

وهو في الأصل رسالة ماجستير حصلت بها الشاعرة فاطمة قنديل على الدرجة العلمية، وتناقشت عبرها استعادة جيل السبعينيات الشعري في مصر من جماعتي «إضاءة» و«أصوات» من شعراء سابقين عرب، وأجانب. ومن تناولتهم الدراسة حسن طلب وعبد المنعم رمضان وحلمي سالم ورفعت سلام

□ □ □

الحب العذري عند العرب
شوقي شعيب
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩
يتناول فيه خصائص الحب العذري التي خلدها الشعراء العرب بنظمهما في قصائد، مثل مجنون ليلى وجميل وبثينة وقيس بن ذريح ولبنى وقيس بن ملوح وعزة ودوالرمة ومية والعباس بن الأحنف وغيرهم ويقدم نماذج بشرية لا أبدعه هؤلاء المحبون

□ □ □

الشرح: رواية
ابراهيم الكوني
بيروت: دار النهار، ١٩٩٩
هذا هو الجزء الأول من ملحمة قصصية للأديب الليبي الذي يعيش في جبال الألب السويسرية ابراهيم الكوني. وتدور في عالم الرمال الأثير «الصحراء» حيث يختط الواقعي بالسحري بالمتخيل.

□ □ □

الهويات القاتلة
امين معلوف
بيروت: دار النهار، ١٩٩٩
صدر هذا الكتاب بالفرنسية قبل عام. وهو يناقش تعدد الهويات للأديب اللبناني الذي سبق له الحصول على جائزة جونكور الأدبية في فرنسا. وهو مسيحي ماروني ينتمي حضارياً إلى الثقافة الإسلامية. ويعيش في فرنسا ويبدع باللغة أهلها

□ □ □

اليهود في الأدب الانجليزي
رمسيس عوض
القاهرة: دار الهلال، ١٩٩٩
يستعرض صورة اليهود في الأدب الإنجليزي منذ مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» وما بعدها، وكيف تغيرت هذه الصورة بفعل تغير النظرة إلى اليهود في أوروبا، وبفعل الضغط اليهودي نفسه.

□ □ □

ديوان الشعر المغربي المعاصر
صلاح بوسريف ومصطفى النيسابوري
المغرب: دار الثقافة، ١٩٩٩
يستعرض أهم الأسماء في مسيرة الشعر المغربي عبر مختارات دالة ترسم ملامح هذه المسيرة، والكتاب يقدم إسهاما مهما لإبداع شعري ظل متوارياً ومغيباً لأسباب مختلفة، ويعرف خصائصه ومميزاته

□ □ □

طيران نحو الجنون (شعر)
ممدوح عدوان
بيروت: رياض الريس، ١٩٩٩

الديوان الجديد للشاعر السوري أنيس
سوى قصيدة طويلة، يستلهم فيها ممدوح عدوان تجربة جلال الدين الرومي الصوفية ويحاكيها

□ □ □

Liebeserklärung An Eine Hässliche Stadt
(في حب مدينة قبيحة)
Bodo Morshauser
Suhrkamp, 1998, 155pp. Dm 12.80
مجموعة من المقالات النثرية والأشعار، كتبها الأديب الشاب عن مدينة برلين

□ □ □

Secrets
(أسرار)
Noruddin Farah
Arcade 1998, 304 pp; 23.95
رواية بالانكليزية الإنجليزية للكاتب الصومالي مورد الدين فرح. تدور أحداثها في مقديشيو في الأيام الأخيرة من عهد سياد بري

□ □ □

The Arts and Sciences of Criticism
(فنون وعلوم النقد)
David Fuller, Patricia Waugh (editors)
Clarendon Press, 1999 (£ 25.00)
مجموعة مقالات كتبها أكاديميون وروائيون ونقاد حول دور كل من الأدب والنقد الأدبي وما يجب أن يهدفا إليه

أديان

الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا
تأليف عبد الفتاح مقلد
القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨
يدرس المؤلف الدور الذي لعبه الإسلام والمسلمون في شرق افريقيا، وخصوصا ان الحبشة كانت أول أرض خارج مكة يطؤها المسلمون. وبينه كيف توطدت الصلات بين المسلمين وشعوب تلك المناطق

□ □ □

الاسلام والمسيحية في العالم المعاصر
مونتجمري واط، ترجمة د. عبد الله الشيخ
القاهرة: عالم الكتاب، ١٩٩٨
دعوة للحوار بين الديانتين الكبيرتين، والنحث عن أسباب الائتلاف والوحدة، ونبذ دعاوى الشقاق المتفشية. والمؤلف يدرس الإسلام ويقرأ مؤلفات عنه منذ أكثر من ثلاثين عاما.

□ □ □

قدمت اعتذاري
عبد الوهاب مطاوع
القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩
يختلف هذا الكتاب عما قدمه من قبل الكاتب، فهو ليس قصصاً مما ينابغي القراء في بابه الشهير «بريد الجمعة» بالاهرام، وليس صوراً إنسانية وأدبية، إنما هو تسابيح خاشعة، أو مناجاة لله عز وجل في صياغة أدبية رفيعة

Two Thousand years of Coptic Christianity
(الف عام من المسيحية القبطية)
Otto F.A. Meinardus
Cairo: AUC Press, 1999. 368 pp. L.E 80

المؤلف يقوم في هذا الكتاب بمراجعة وتحديث ما سبق أن كتبه في الماضي من كتب ودراسات عن مسيحيي القبطية ليضعها في كتاب واحد يزاوج لعشرين قرناً من حياة اقدم كنيسة في العالم.

اقتصاد

الاقتصاد الليبي. دراسة للازمة والحلول
مجموعة من الباحثين
ليبيا: دار أنعار ليبيا، ١٩٩٩
الكتاب حصيلة مناقشات أجراها اعضاء هيئة التدريس في جامعة قاريونس في بنغازي، وينا قش الازمات التي واجهها الاقتصاد الليبي على مدى عقدين من الزمان، في الفترة من ١٩٧٠ وحتى ١٩٩٥، ويتعرض لسياسات الاستثمار ومخاطر السوق السوداء وكيفية تلافيها. ويقدم توصيات ومقترحات لعودة الازمة

□ □ □

السوق العربية المشتركة في عصر العولمة
سليم النصري
القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩
يطرح الكتاب من جديد فكرة السوق العربية المشتركة في ضوء التحديات التي يواجهها الاقتصاد العربي، والتي تأخذ مسميات من نوع شرق أوسطية أو عولمة وغيرها. ويقدم مجموعة من الافكار العملية لاحياء هذه السوق

□ □ □

The Fortune Sellers: The Big Business of Buying and Selling Predictions.
(بائعو الحظ : التجارة المربحة لبيع وشراء التوقعات)
William A Sherden
New York, John Wiley & Sons, 1998,308 pp, $ 29.95
يرى المؤلف أن المحللين الاقتصاديين وخبراء الأرصاد الجوية ليسوا أفضل من قارئي الكف أو الطالع. ويقوم بالهجوم على مؤسسات الاستشارات الاقتصادية والتي تبتعثج ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون دولار سنويا، ليس بفبؤاتها أي أساس علمي.

□ □ □

The Mediterranean Basin in the World Petroleum Market
(الوعاء المتوسطي في السوق العالمية للبترول)
Paul Horsneu, Peter Greenhalgh, Richard Hepworth Steve Marxun, and Kerry Preston
Oxford University Press, 1999
تحليل لصناعة البترول في منطقة البحر المتوسط مع اهتمام خاص بالركن

من الاستباحة العراقي وظهور بحول قرويين على المنطقة

بيـــئـــة

الأنظام الأرضية وتدمير البيئة الكويتية
مجموعة من المختصين
الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية. ١٩٩٨

يقدم هذه مجموعة من الدراسات رؤية لواحد من الأثار البيئية المدمرة التي نجمت عن الغزو العراقي للكويت. والتي تمثل مشاهد حقيقية على الناس وانسجامه في الخليج.

□ □ □

التـــصـــحـــر تدهور الأراضي في المناطق الجافة
محمد عبد الفتاح القصاص
الكويت عالم المعرفة. ١٩٩٩

يكشف عن واحد من المخاطر التي تهدد العالم على ابواب الألفية الثالثة، خصوصاً مع تزايد مشاطر الجفاف في بقاع عديدة، ويعرض المؤلف لأساليب المواجهة. ودور الامم المتحدة في الحد من الأثار السلبية المتوقعة للظاهرة

□ □ □

Earth Odyssey

(أوديسيا الأرض)
Mark Hertsgaard
Broadway, 1998.332pp.$26

يتساءل المؤلف عن مصير الإنسان في ظل تدمير البيئة المستمر من خلال رحلات ومقابلات قام بها في كثير من مناطق العالم الملوبوءة

□ □ □

Economics of Water Pollution -The Indian Experience

(المتصادبات تلوث المياه- التجربة الهندية)
M N. Murty, A J James, Smita Misra
Oxford University Press, 1999

يتناول محاولة السيطرة على التلوث في الدول النامية والحدوى من استخدام الادوات الاقتصادية في معالجة تلوث المياه من خلال نتائج الأبحاث الميدانية.

تـــاريـــخ

أزياء المرأة في العصر العثماني
آمال السبكي
القاهرة دار الأفاق. ١٩٩٩

تدرس المؤلفة العوامل التي أثرت في الزي النسائي منذ العصر العثماني وحتى عصر محمد علي، وكوفئات أزياء النساء في تلك الفترة، ثم الحلي التي مثلت استعمالاً لهذه الأزياء. وهدى استجابات المصريات لهذه الموضات.

□ □ □

مشرقيات في صلات التجارة والفكر
مؤلاً ربادة
بيروت دار السويس ١٩٩٨

يتناول الكتاب الصلات التجارية بين المشرق العربي والشرق الأقصى. وتقدم فصوله أخبار بلاد العرب كما عرفها الصينيون. وكذلك تطور الفكر العربي الإسلامي في بلاد الخلافة الشرقية.

□ □ □

Frontiers of Medicine in the Anglo-Egyptian Sudan, 1899 -1940
Heather Bell
Clarendon, 1999. 45£

بحث في العلاقة المركبة التي تربط بين الطب والاستعمار السياسي ورأس المال.

□ □ □

Kuwait, (1950 - 1965): Britain, The al -Sabah, and Oil

(الكويت ١٩٥٠ - ١٩٧٠، بريطانيا وآل صباح والبترول)
Susan C Smith
Oxford University Press/ British Academy, 1999 £20.00

يفحص المؤلف تطور العلاقات بين الكويت وبريطانيا أثناء حكم الشيخ عبد الله سالم. وهي فترة الدوسم في إنتاج البترول. ويتناول دور الكويت في الاقتصاد البريطاني في مرحلة ما بعد الحرب، والعلاقات بين بريطانيا والعائلة الحاكمة بالكويت والعالم العربي.

□ □ □

Pan Arabism Before Nasser: Egyptian Power Politics and the Palestine Question

(القومية العربية قبل ناصر: سياسات القوة المصرية ومسالة فلسطين)
Michael Doran
Oxford University Press, 1999. 27.50 (hb)

يرى المؤلف انه لم تكن هناك حيبة قومية عربية عندما انشئت الجامعة العربية. ودراسة القرارات السياسية المصرية اثناء السنوات من ١٩٤٤-١٩٤٨ يخلص إلى ان الصهيونية والمسالة الفلسطينية كانت اقل اهمية بالنسبة للمصالح القومية المصرية من مواجهة الاحتلال الإنجليزي والنوسع الأردني - العراقي.

□ □ □

The Kingdom of the Hittites

(مملكة الحيثيين)
Trevor Bryce
Oxford University Press, 1999 £18.99 (pb)

في القرن الرابع عشر قبل الميلاد أصبح الحيثيون اكبر قوة سياسية وعسكرية في الشرق الأدنى. يتناول الكتاب أسباب حصولهم على هذه المكانة ومدى نجاحهم في الحفاظ عليها وأسباب انهيارهم ولخلقائهم مستعينا باختشافات اثرية حديثة ومخطوطات اصلية .

□ □ □

من الاحتلال العراقي وظهور بحول قرويين على المنطقة

بيـــئـــة

الأنظام الأرضية وتدمير البيئة الكويتية
مجموعة من المختصين
الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية. ١٩٩٨

يقدم هذه مجموعة من الدراسات رؤية لواحد من الأثار البيئية المدمرة التي نجمت عن الغزو العراقي للكويت. والتي تمثل مشاهد حقيقية على الناس وانسجامه في الخليج.

□ □ □

التـــصـــحـــر تدهور الأراضي في المناطق الجافة
محمد عبد الفتاح القصاص
الكويت عالم المعرفة. ١٩٩٩

يكشف عن واحد من المخاطر التي تهدد العالم على ابواب الألفية الثالثة، خصوصاً مع تزايد مشاطر الجفاف في بقاع عديدة، ويعرض المؤلف لأساليب المواجهة. ودور الامم المتحدة في الحد من الأثار السلبية المتوقعة للظاهرة

□ □ □

Earth Odyssey

(أوديسيا الأرض)
Mark Hertsgaard
Broadway, 1998.332pp.$26

يتساءل المؤلف عن مصير الإنسان في ظل تدمير البيئة المستمر من خلال رحلات ومقابلات قام بها في كثير من مناطق العالم الملوبوءة

□ □ □

Economics of Water Pollution -The Indian Experience

(المتصادبات تلوث المياه- التجربة الهندية)
M N. Murty, A J James, Smita Misra
Oxford University Press, 1999

يتناول محاولة السيطرة على التلوث في الدول النامية والحدوى من استخدام الادوات الاقتصادية في معالجة تلوث المياه من خلال نتائج الأبحاث الميدانية.

تـــاريـــخ

أزياء المرأة في العصر العثماني
آمال السبكي
القاهرة دار الأفاق. ١٩٩٩

تدرس المؤلفة العوامل التي أثرت في الزي النسائي منذ العصر العثماني وحتى عصر محمد علي، وكوفئات أزياء النساء في تلك الفترة، ثم الحلي التي مثلت استعمالاً لهذه الأزياء. وهدى استجابات المصريات لهذه الموضات.

□ □ □

مشرقيات في صلات التجارة والفكر
مؤلاً ربادة
بيروت دار السويس ١٩٩٨

يتناول الكتاب الصلات التجارية بين المشرق العربي والشرق الأقصى. وتقدم فصوله أخبار بلاد العرب كما عرفها الصينيون. وكذلك تطور الفكر العربي الإسلامي في بلاد الخلافة الشرقية.

□ □ □

Frontiers of Medicine in the Anglo-Egyptian Sudan, 1899 -1940
Heather Bell
Clarendon, 1999. 45£

بحث في العلاقة المركبة التي تربط بين الطب والاستعمار السياسي ورأس المال.

□ □ □

Kuwait, (1950 - 1965): Britain, The al -Sabah, and Oil

(الكويت ١٩٥٠ - ١٩٧٠، بريطانيا وآل صباح والبترول)
Susan C Smith
Oxford University Press/ British Academy, 1999 £20.00

يفحص المؤلف تطور العلاقات بين الكويت وبريطانيا أثناء حكم الشيخ عبد الله سالم. وهي فترة الدوسم في إنتاج البترول. ويتناول دور الكويت في الاقتصاد البريطاني في مرحلة ما بعد الحرب، والعلاقات بين بريطانيا والعائلة الحاكمة بالكويت والعالم العربي.

□ □ □

Pan Arabism Before Nasser: Egyptian Power Politics and the Palestine Question

(القومية العربية قبل ناصر: سياسات القوة المصرية ومسالة فلسطين)
Michael Doran
Oxford University Press, 1999. 27.50 (hb)

يرى المؤلف انه لم تكن هناك حيبة قومية عربية عندما انشئت الجامعة العربية. ودراسة القرارات السياسية المصرية اثناء السنوات من ١٩٤٤-١٩٤٨ يخلص إلى ان الصهيونية والمسالة الفلسطينية كانت اقل اهمية بالنسبة للمصالح القومية المصرية من مواجهة الاحتلال الإنجليزي والنوسع الأردني - العراقي.

□ □ □

The Kingdom of the Hittites

(مملكة الحيثيين)
Trevor Bryce
Oxford University Press, 1999 £18.99 (pb)

في القرن الرابع عشر قبل الميلاد أصبح الحيثيون اكبر قوة سياسية وعسكرية في الشرق الأدنى. يتناول الكتاب أسباب حصولهم على هذه المكانة ومدى نجاحهم في الحفاظ عليها وأسباب انهيارهم ولخلقائهم مستعينا باختشافات اثرية حديثة ومخطوطات اصلية .

□ □ □

R ath Water Field
New York St Martin s Press 1998. 366 pp $25.95

يتناول المؤلف الإنجليزي الأصل حياة الشاعر جبران خليل جبران. فتحدث عن اصوله اللبنانية وعلاقاته العاطفية والمالية واصفاً إياه بانه كان شخصاً انتهازياً ومحادعاً

□ □ □

Still Me

(لازلت أنا)
Christopher Reeve
Random House, 1998 $25

السيرة الذاتية للمثل الأمريكي الشهير بدور (سوبرمان) والذي تعرض لحادث مروع في عام ١٩٩٥ اذى إلى إصابته بالشلل يقول ريف في كتابه «أنا لست إنساناً مقدساً، ولكني وجدت انه يجب أن أنشيء علاقة مع الله وإلا أصبحت صائماً».

رحـــلات

استانبول، عبق التاريخ وروعة الحضارة
الصفصاف أحمد مرسي
القاهرة دار الأفاق العربية. ١٩٩٩

دراسة عن مدينة إستانبول التي عاش فيه، المؤلف ٧ سنوات كاملة للدراسة وتم تنقلط صلته بها بعد ذلك، دراسة في عمرانها ومنشاتها وطبيعتها وفنونها ولغاتها.

□ □ □

The Last Barbarians: The Discovery of the Source of the Mekong in Tibet

(آخر البرابرة اكتشاف منبع الميكونج في التبت)
Michael Peissel
Souvenir 1998. 253pp $ 18.99

ست وعشرون رحلة قام بها المؤلف إلى التبت بغرض اكتشاف منبع نهر الميكونج ويحتوى كتابه على الكثير من المشاهدات حول تاريخ وشخصية وفلسفة الشعب التبتي.

سيـــاســـة

الصـــراع العـــربي الاســـرائيلي.. ازمـــة الديمقراطية والسلام
أمين المهدي
القاهرة الدار العربية للدراسات. ١٩٩٩

يتعرض للصراع العربي الإسرائيلي وما يفرضه من تحديات السلام أو حتمية الحرب، فيقدم رؤية تاريخية وتحليلية للصراع في مراحله المختلفة، وإشكاليات التعامل مع إسرائيل في ظل الحرب والسلام معاً.

□ □ □

تـــرجـــمـــة

المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق
حسن شحاتة
القاهرة الدار العربية للكتاب. ١٩٩٨

يتضمن عرضاً لمفاهيم والقضايا ومشكلات علم المناهج. حيث يؤلف بين النظرية والأفكار الحديثة في ميدان المناهج من ناحية، والتطبيقات الميدانية الطلبية من ناحية ثانية.

□ □ □

Illusory Freedoms: Liberalism, Education and the market

(حريات وهمية الليبرالية والتعليم والسوق)
Ruth Jonathan
Oxford: Blackwell, 244pp. £14.99

نقد لاذع توجهه استاذ التربية بجامعة لانكستر العلمانية إبطال آليات السوق في التعليم، مؤكدة على مدى اختلاف التعليم عن اي سلعة أخرى

تـــراجـــم وســـيـــر

المرافئ القديمة، من دفاتر الصحافة
منير حمري
بيروت رياض الريس ١٩٩٨

يمثل الكتاب سيرة لصحافي عاشر أجيالاً من الصحافيين في بلاده وفي المهجر، وخاض معارك يتذكرها قراء مجلة الصوادث اللبنانية. وكتابه يجمع بين التوثيق التاريخي، ومتعة الكتابة السلسة التي تنهل من الذاكرة.

□ □ □

كان صرحا من خيال
سيلفيا تركية، ترجمة بسام حجار
بيروت دار للسان، ١٩٩٨

يعرض الكتاب لعلاقة العاطفية الفريدة التي جمعت أحمد رامي بكوكب الشرق أم كلثوم. وهي علاقة نمت من طرف واحد، وارتضى فيها الشاعر الكبير أن يبقى محترقاً في تتطلق كلماته غير حنجره أم كلثوم دون غيرها، وقد عرفت أم كلثوم بذكائها، كيف أن هذا الحب سيشعل مخيلة الشاعر ويفجر ينابيع إبداعه

□ □ □

من زيلدة، الكاتبة العربية
سميحة كريم
القاهرة الدار المصرية اللبنانية. ١٩٩٩

يعرض الكتاب لحياة من زيادة وأعمالها وعلاقاتها بعشرات من الأدباء والفنانين والمفكرين الذين عاشوا في عصرها وتردد اي عناوينها الشهير. كما يعرض لأرائها في الموضوعات التي شغلت الرحيد العامة في مصر في ذلك العصر.

□ □ □

Prophet. The Life and Times of Kahlil Gibran

(نبي: حياة خليل جبران)

النظام السياسي والتحول الديمقراطي في مصر

هالة مصطفى

القاهرة: مركز البحوث العربية للنشر والمعلومات، ١٩٩٩

يقدم رؤية تحليلية لمهيئ النظام السياسي المصري وتحوله التدريجي نحو الديمقراطية منذ أواسط السبعينيات وحتى اليوم. وأبرز توسيع الهامش الديمقراطي في المستقبل المنظور.

□ □ □

نفقات الدفاع في منطقة الشرق الأوسط

عبد المنعم كاهو

القاهرة: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية

يعرض إحصائيا نفقات الدفاع في دول المنطقة وتأثير التهديدات المحيطة بها في زيادة هذه النفقات.

□ □ □

دولة حزب الله

وضح شرارة

بيروت: النهار، ١٩٩٨

يلقي الضوء أضواء مهمة على حزب الله الذي يحتل لواء المقاومة في جنوب لبنان. ويتناول صلاته بإيران وعلاقاته وتأثيراته على الحركة السياسية في لبنان. عبر تحليل الخطاب السياسي لقادة حزب الله.

□ □ □

A Tangled Web: The Making of Foreign Policy in the Nixon Presidency

(صنعة السياسة الخارجية أثناء رئاسة نيكسون)

William Bundy

Taurus, 1998, 647 pp. $24.50

يتناول الكتاب التاريخ الديبلوماسي للفترة (من ١٩٦٩ وإلى ١٩٧٤) وبالتحديد السياسات الخاصة بمناطق جنوب شرقي آسيا والشرق الأوسط وأوروبا

□ □ □

Democratization and Authoritarianism in Post-Communist Societies

(التحول الديمقراطي والسلطوي في مجتمعات ما بعد الشيوعية)

Edited By Karen Darwisha And Bruce Parrott

Cambridge University Press. 1998. 4 Volumes. $99

تستعرض هذه المجلدات الأربعة التحولات الحالية في البلدان الشيوعية لسابقة كالصراع في وسط آسيا والقوقاز من خلال تناول حالة كل دولة على حدة (كرمخاستان، وأذربيجان، وأرمينيا، وجورجيا، وكازاخستان، وقيرجستان، وطاجكستان، وأوزبكستان). والتعبير الديمقراطي ومردوده السلطوي في روسيا وأوكرانيا وروسيا البيضاء، ولدولوفيا كما تتعرض بالكتاب من أجل الديمقراطية في خدوب شرق أوروبا إلى جانب الرأسمالية المزدوجة في سلوفانيا والعوصى في البانيا.

Rebirth: An Anatomy of Russia

(ميلاد أمة من جديد: تشريح روسيا)

John Lloyd

London: Michael Joseph, 1998, $20

شغل جون لويد منصب مدير مكتب جريدة Financial Times بموسكو في الأربع سنوات الأخيرة. ويحاول من خلال هذا الكتاب التعرف على الملامح الأساسية لروسيا بعد سقوط الحكم الشيوعي من خلال تناول مجالات مختلفة: سياسية واقتصادية وقانونية وثقافة

علم نفس

التعايش مع الخوف. فهم القلق ومكافحته

إيرك ماركس. ترجمة محمد عثمان نجاتي

القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩

يدرس في ثلاثة أبواب طبيعة الخوف والقلق وأشكال التوتر العصبي وعلاجها. ثم كيفية علاج القلق. ويهدف الكتاب أخيرا إلى إحداث قدر من التوازن النفسي والعصبي تمكن الإنسان من تجاوز ضعوط الحياة. والتعامل مع المشكلات بأكبر قدر ممكن من النجاح

□ □ □

About Face

(عن الوجه)

Jonathan Cole

MIT, 1998

يتناول الكتاب ما يحدث عصبيا أو يستطيع الإنسان التعبير عن ذاته من خلال وجهه مثل مرضى أعراض موبيوس، والذين يعانون من مرض باركنسون «الشلل الرعاش». ويناقش المؤلف كذلك دور تعبيرات الوجه في حياة فاقدي البصر أو المكفوفين.

ويتناول في الجزء الثاني من الكتاب ليحلل دور الوجه كمرآة لمكامننا الداخلية وعلاقاتنا الاجتماعية والصورة التي نصنعها لأنفسنا وللآخرين

□ □ □

Questions for Freud: The Secret History of Psychoanalysis

(أسئلة لفرويد: التاريخ السري للتحليل النفسي)

Nicholas Rand and Maria Torok.

Harvard University Press, 1998, 29opp. £16.50

تحليل لكتابات فرويد وبحث في انحكاسات حياته الأولى على هذه الكتابات.

علوم

الانترنت، المنافع والمحاذير

سمير محمد سليم

إسرائيل: ملأ تقول الوقائع والكتب

معدات أحمد فؤاد

القاهرة: مجموعة مصر، ١٩٩٩

يتناول الكتاب الصهيونية الدينية والسياسية. ويناقش أسطورة الحقوق التاريخية وبعادها. كما يحلل طبائع اليهود وبروتوكولات حكماء صهيون. ويشير إلى مدى تسامح الإسلام مع اليهود في الوقت الذي عانوا فيه اضطهادا من دول وأمم أخرى

□ □ □

التفسير، الصراع والضرورة

رمزي حمبي

القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩

يواصل المؤلف في هذا الكتاب ما بدأه في كتاباته السابقة عن مشروع النهضة العربي المرتبط بالضرورة - وفق تصوراته - بالاحياء الإسلامي الذي تمثل وسطيته طوق النجاة لأمة. وهي بالتحديد في كتابه من عام ١٩٩٢. ويضرب معطفا تاريخيا مهما في مسيرة البشرية لأسباب يشرحها تفصيلا في كتابه.

□ □ □

الغرب والشرق، الأوسط، سجال وتباين

برنار لويس

ترجمة وتعليق سمير مرقص

القاهرة: مجموعة للنشر والمعلومات، ١٩٩٩

عينة نموذجية لكتابات الاستشراقية عن العالم العربي ترجمها وعلق عليها بصورة نقدية سمير مرقص، وقام بتقديم الكتاب السيد ياسين

□ □ □

المرأة العربية في الدين والسياسة

محمد طلاي

الغرب: دار النشر المغربية، ١٩٩٩

يسعى الباحث إلى تحليل دور المرأة العربية، وأبعاد المختلفة التي تؤثر في هذا الدور وتحدده، عبر مجموعة من الدراسات انجزها المؤلف على مدى عقد كامل في الفترة من ١٩٧٥ وحتى ١٩٨٥.

□ □ □

المسألة الشفافية في العالم العربي / الاسلامي

رمزي السيد، أحمد برقاوي

دمشق: دار الفكر، ١٩٩٨

يناقش بدايات طرح المسألة الشفافية منذ حملة نابليون بونابرت. ويقدم رصدا لتضمينات المسألة الشفافية في هذا الموضوع. ويستقرئ الإخفاقات التي واجهها مشروع النهضة العربي ومراوحته بين رفض الآخر كلية، أو التماهي معه دون شروط مسبقة. وأزمة هذه المراوحة منذ بدايات قرن جديد.

□ □ □

عمر ولع فرنسي

روبير سوليه. ترجمة أنيف فرج

القاهرة: المستقبل العربي، ١٩٩٩

يتناول كيفية تحويل الوفد الفرنسي بمصر، وخصوصا حصارتها القديمة فيما يعرف «التجنيد مونيا» إلى مبادئ عملية

الكويت: دار ذات الصاري للنشر، ١٩٩٨م

يناقش الكتاب، الآثار المترتبة على هذا الواقد الجديد الذي يرتاد العالم بشكة هائلة من المعلومات، ويحذر من مخاطر سوء استخدامه في الحاضر والمستقبل.

□ □ □

عوالم في تصادم. الكوارث الكونية والحضارة المترعونية

إيمانويل فلايكوفسكي. ترجمة رفعت السيد

القاهرة: حورس، ١٩٩٩

يتناول الكتاب بالتحليل العلمي، الكوارث الكونية التي أثرت على كل سكان كوكب الأرض ومسار حضاراتهم القديمة، والتي ربما الناس إلى معجزات أو أساطير أو أفعال خارقة. وهي في حقيقتها ظواهر علمية بحتة

□ □ □

Life on Other Worlds: The Twentieth Century Extraterrestrial Life Debate

(الحياة في عوالم أخرى جدال القرن العشرين)

Steven J Dick

Cambridge University Press, 1998, 340 pp. £17.95

تطور فكرة وجود حياة خارج كوكب الأرض وأثر التقدم التكنولوجي في ذلك.

□ □ □

What Remains to be Discovered: Mapping the Secrets of the Universe, the Origins of Life, and the Future of the Human Race

(ما تبقى للاكتشاف. أسرار الكون وأصل الحياة ومستقبل النوع الإنساني)

John Maddox

Macmillan 1998

يقدم المؤلف الذي رأس مجلة Nature لمدة ثلاثة وعشرين عاما نظرة متفائلة لمستقبل التقدم العلمي، وخاصة في مجال الاكتشافات الجديدة في الفيزياء والعلوم الطبيعية ومعتقد رأي علماء ما بعد الحداثة الذين لا يجدون مجالا للتقدم العلمي في المستقبل ويشككون في قدرة العلم على اكتشاف الحقيقة.

فكر

الإعلان الإسلامي

علي عزت بيجوفيتش. ترجمة محمد يوسف عدس

القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩

أثار هذا الكتاب حين صدوره عاصفة سياسية وإعلامية في العالم الغربي كله. واعتبرته السلطات الدوغوسلافية وثيقة لإدانة صاحبه في محكمة سراييفو التي انعقدت عام ١٩٨٣ لتجريم بيجوفيتش اليوسبلي، وخصوصا على صعيد دعوته لإقامة الدولة الإسلامية العالمية الموحدة.

□ □ □

ترسخ العلاقات بين مصر وفرنسا. وتفتح الباب لنشأن ثقافي أوسع نطاقاً على المستوى الشعبي.

□ □ □

Moral Aspects of Economic Growth, and other Essays

(الجوانب الأخلاقية للنمو الاقتصادي ومقالات أخرى)

Barrington Moore, Jr

Ithaca, NY: Cornell University Press, 1986 pp. 23.95

تساؤلات محورية يعالجها العالم والمفكر الكبير في هذا الكتاب.

هل تقوم الأنظمة المبنية على السوق بتشجيع أشكال من السلوك غير الأخلاقي. مما يؤدي إلى تآكل الرأسمال الاجتماعي والأخلاقي الذي تعتمد عليه هذه الأنظمة في شرعيتها؟

هل هناك فروقاً اقتصادية لازمة لظهور نظم سياسية ليبرالية؟

هل للاحساس بوجود صفة حتمية لتجميع المجتمعات الإنسانية بحيث لاتوجد مساحة كبيرة للعمل السياسي في أقصاه عليها؟

□ □ □

Reason before Identity

(المنطق قبل الهوية)

Amartya Sen

Oxford University Press, 1999 £6.99 (pb)

محاضرة حول الهوية المجتمعية ودورها وأثارها. ألقاها أمارتيا سن الفائز بجائزة نوبل ٩٨ في الإقتصاد في ١٧ نوفمبر ١٩٩٨ بجامعة اكسفورد ضمن سلسلة محاضرات رومانز، الشهيرة

فنـــون

أثر الغرب في الموسيقى العربية

ليكتور سحاب

بيروت دار الفرات، ١٩٩٨

يعرض الكتاب للأثر الغربية في الموسيقى العربية من حيث المقامات والتوزيع وغيرها عبر دراسة علمية نظرية وتطبيقية في نفس الوقت

□ □ □

الرقص التركي

غلغارة مركز الشرق بأكاديمية الفنون، ١٩٩٩

ويعرض بشكل علمي للرقص التركي وتطوره خلال حقبة زمنية طويلة

□ □ □

سينما العنف والسياسة

عبد المنعم صنصي

القاهرة هيئة الكتاب ١٩٩٩

يرى المؤلف أن العنف والسياسة هما الموضوعان الكبيران اللذان دارت حولهما جميع الأفلام السينمائية في مصر، او صنعاصها. يدرس ويحلل بعضاً من هذه الأفلام وحدود ارتباطها بموضوعي العنف والسياسة.

□ □ □

Castel Del Monte: Geometric Marvel of the Middle Ages

(كاستيل دیل مونته: أعجوبة الفنون الوسطى الهندسية)

Hesse Gone

Prestel / Ice News, 1998, illustrated $ 65

كاستيل دیل مونته -او قلعة الجبل- عبارة عن إسهاب معماري موسع بني في القرن الثالث عشر بأمر من فريدريك الثاني أحد أعاظم الإمبراطورية الرومانية المقدسة

وبالإضافة إلى الناذيرات القوطية والنورمانديه والأغريقية والميزعلية. كان التأثير الأساسي من الناحية الفكرية والإبداعية في مجال التصميم والرياضيات إسلامياً بحتاً. فالتخطيط الأساسي للقلعة مبني على فكرة النجمة الإسلامية المثمنه

□ □ □

Opera in History. From Monteverdi to Cage

الاوبرا في التاريخ: من مونتيفردي حتى كيج

Herbert Lindenberger

Stanford University Press, 1998

تاريخ فن الأوبرا منذ مونتيفردي حتى العصر الحديث وجون كيج، وعلاقة هذا الفن بالمجتمع وتطوره.

□ □ □

Stranger Than Paradise. Makers in Recent American Cinema.

الغرب من الفردوس. المخرجون الجدد في السينما الأمريكية حالياً.

Geoff Andrew

Prion, 1998

يتناول «فيدلينتي، وسبايك لي، وجون سايلز، والإخوان جول، وإيثان كوين، وكوينتن تارانتينو، بالإضافة إلى جارموش، وهارتلي، وهايز.

□ □ □

Visions of Jazz

(رؤى من موسيقى الجاز)

Gary Giddens

Oxford University Press, 1998, 690 pp. $19

تاريخ موسيقى الجاز من قبل أن يتم تسميته وتطور اشكاله من حفلة لأخرى

قانـــون

رقابة دستورية القوانين. دراسة مقارنة بين مصر وامريكا

هشام محمد فوزي

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ١٩٩٩

أطروحة دكتوراة تعنى بالرقابة على دستورية القوانين. بوصفها الوسيلة الفعالة لرد طغيان السلطة التشريعية وارجاعها إلى حدودها الدستورية. مع عمل دراسة مقارنة بين فعالية هذه الرقابة في كل من مصر وامريكا.

□ □ □

نظام الإرث في التشريع الإسلامي

أحمد حسين

بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٩٩٨

يدرس نظام الإرث ومقاصده في التشريع الإسلامي. وكيف يسهم في تحقيق مفاهيم العدالة والتكافل في المجتمع الإسلامي

لغـــات

الكتابة والأسلوب

رجيد سامي

القاهرة الجامعة الأمريكية، ١٩٩٩

تحليل للكتابة الإنشائية العربية ومكوناتها من مفردات ونحو وتركيبات لغوية

□ □ □

The Reform of Turkish. A Revolution in Language

(إصلاح التركية : ثورة في لغة)

Geoffrey Lewis

Oxford University Press, 1999, £40

دراسة لأكبر عملية هندسة لغوية في التاريخ والتي تم بها القضاء على اللغة التركية - العثمانية في خمس عشرة سنة.

متنوعـــات

طيب جدا، لمطبخ المغرب

فاطمة الزهراء

بيروت دار الفرابي الجامعية، ١٩٩٨.

يقدم أطباقاً شهية من المطبخ المغربي وكيفية صناعتها

□ □ □

كيف تأكلا من صحة جيدة

(كلا في كي كرسي

السعودية دار العبيكان للنشر ١٩٩٨

يتناول واحدا من الموضوعات التي تشغل بال كل أم. ويعرض لبعض المشكلات التي تواجهها في تنشئة الطفل وكيفية التعامل معه.

□ □ □

The Cat and the Human imagination: Feline Images from Bast to Garfield

(القط والخيال الإنساني)

Katherine M Rogers

University of Michigan, 1999, $ 29.95

تطور لمفهوم الثقافي للقط من مصر القديمة وحتى يومنا هذا.

تستخرص المؤلفة صور القط لدى الكتاب والفنانين والمفكرين الغربيين إلى جانب دراستها للمنظور الديني والشعبي للقط. وخلال ذلك تناقش سبب تشبيه النساء بالقطط وسبب كره بعض الناس الشديد للقطط

□ □ □

The New Diet Revolution

(الثورة الجديدة في الريجيم)

Robert C Atkins

Vermilion 1999 £ 6.99

برنامج جديد للريجيم صمعه الطبيب الشهير لمجابهة على السمنة إلى الأبد.

□ □ □

The Treasures of the Egyptian museum

(كنوز المتحف المصري)

Introduced by H.E. Mrs. Suzanne Mubarak

Edited by Francesco Tiradritti

Photographs by Araldo De Luca

Cairo: AUC Press, 1999, 416pp.

L.E. 250

أكثر من عشرين خبيرا من بينهم راعي حوانس يقدمون شرحاً ووصفاً لمحتويات المتحف المصري بمصاحبة الصور الفوتوغرافية والرسومات الملونة في كتاب قامت بتقديمه السيدة سوزان مبارك.

مراجـــع

المعجم الفلسفي

مراد وهبة

طبعة دار قباء، ١٩٩٨. ٤٨٠

المصطلحات الفلسفية ومعانيها في طبعة مزيدة ومنقحة من العالم الذي بدأه يوسف كرم منذ اربعين عاما

□ □ □

دائرة المعارف العربية في علوم الكتب والمكتبات والمعلومات

شعبان خليفة

القاهرة الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٨

تضم في مجلداها الأول دراسات منسقيقية وإضطلاعية عن الكتب والمكتبات في أسيا، وكيفية معالجة المعلومات في مراكز التوثيق بها

□ □ □

A Guide to World Language Dictionaries

(دليل قواميس لغات العالم)

Andrew Dalby

Library Association 448pp. £ 59.95

يضم أسماء قواميس لخمسة آلاف لغة.

□ □ □

Encyclopedia of Africa: South of the Sahara (four volumes)

(موسوعة أفريقيا جنوب الصحراء)

New York: Scribners, 1998, 2466pp. $320

معلومات ومقالات مفهرسة جيدا في كل ما في أفريقيا جنوب الصحراء: اللغات واتجاهات الأدبية، التاريخ، الأديان الصناعات، الموارد الطبيعية. الخ

حول الكنيسة القبطية:
امكانيات التوفيق المستقبلية يجب ان ترتبط بالديمقراطية والعلمانية

على الرغم من اللغة الرومانسية الحالمة والهادئة التي كتب بها المستشار وليم سيدهان قلادة مقالته «تصويب الأخطاء وتجديد الذاكرة» والتي عرض فيها بشكل موجز لكتاب «مسجحة المصرية التقليدية، تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ولكن أساسًا بالقبطية التي تترجمة باستقلال والتحديات التي تواجه وطننا المصري، وكنيستنا المصرية، وهي التحديات التي تتناقض خلالها لحظات بطولتنا الفرن الحديد بشكل دراسي من القدرة على «الاستمرارية والبقاء الحي الفاعل».

وهذه التحديات / الإشكاليات سوف نحاول الإشارة إليها في مجالة

[١] إذا كان تاريخ الكنيسة المصرية قد شهد نشوء وتطور حركة الرهبنة، والتي لم تكن حركة روحية فقط، فإن الآباء الرهبان المصريين هم رواد هذا ومعلموها، إلا انها كانت في جوهرها احد التعبيرات عن عبقرية الشعب المصري في ابتكار أشكال وأساليب المواجهة للاضطهاد، والعلم عبر المقاومة السلبية الجماهيرية، والتي يمتصها زخمها الجماعي الفاعلية التي حولتها في النهاية إلى ما يشبه حركات العصيان المدني في العصر الحديث.

لقد كان نشوء وتطور مثل هذه الأشكال من المواجهة تعبيرًا عن روح الاستقلال ورفض التبعية، القهر، والاضطهاد.. فهل مازال الجسد المصري يختزن بنفس الحيوية والمقاومة في مواجهة هذه الأمراض؟

[٢] يشير الاستعراض السريع لتاريخ مصر إلى الشعب المصري منذ استهلاله عهد الأسرات الفرعونية وحتى ١٩٥٢، لم يحكمه مصري مسلم أو مسيحي، بل إن المراكز الأساسية في جهاز الدولة البيروقراطي، بل حتى الشعب من بناة حيش مصري حتى عصر محمد علي، الذي اضطر للجوء للمصريين كجند في الجيش بعد فشل محاولاته في بناء جيش حديث غير مصري. فقد ظل المصريون على امتداد هذه القرون الطويلة (مسيحيين / مسلمين) موضوعًا للاضطهاد والنهب والتهميش، وهو ما جعل قضية الاستقلال المصري، إحدى أهم قواعد بناء الجماعة الوطنية وتماسكها، ولكن بعد يوليو ٥٢ وخروج الاحتلال البريطاني ومصرنة الدولة، منذ أيام السادات وحتى الآن، تحول المستقبل إلى ماضٍ، وتحول الماضي إلى مستقبل، وأصبح الحاضر هو الغائب الأكبر.

[٣] إذا كان استقلال الكنيسة المصرية يشير إلى أنها استطاعت بلورة عقيدتها المسيحية الخاصة التي امتدت تأثيراها خارج مصر، وهو ما دفع الكنيسة البيزنطية والروسانية لعزل وحسار تأثيرها في المسيحيين في أوروبا شرقًا وغربًا عبر مجمع مقدونية عام ٣٤١م، فسيناك الآن سيدارير شنوبيه يتم مع الإسلام، حيث ألزت مصر موقعها وطروفها على أنهم وتدين المصريين المسلمين، ورؤيتهم لدينهم، فجاء هذا المفهوم وسطًا مختلفًا عما هو سائد في دول الحوار العربي. فهل ما تتعرض له مصر الآن من نضوب وتسييد للفكر الذي تجسده جماعات الإسلام السياسي، يسعى للاستفادة من خبرة عزل تأثير الكنيسة المصرية؟ وإذا كان الانحسار في مصر في الماضي قد دعم الارتباط بين الكيان المصري وكنيسته، فهل يمكن أن نقول عالم اليوم بثورة الاتصالات والتكنولوجيا، وظواهر العولمة.. الخ، قد تقصد حدوث حركة تشكل للمواجهة وهل هناك جهودًا في هذا الاتجاه؟

[٤] القضية الأخيرة، التي أشار إليها المستشار وليم قلادة خلال عرضه للكتاب سالف الذكر، هي حركة التجديد التي قادها البابا كيرلس الرابع، والتي شملت برامج وتنظيمات المؤسسة الكنسية منذ منتصف القرن التاسع عشر، والتي جعلت الكنيسة قادرة على الاستمرار والحيوية تخرج قمة التجديد في البرامج والمنظمات والمفاهيم التي تحكم المؤسسة الكنسية وعشوار التجديد الذي أعطته الكنيسة المصرية منذ المنصف العظيم البابا كيرلس الرابع، وهل تحتاج الكنيسة لحركة إصلاحية جديدة تستوعب متغيرات العصر التي تهب على مصر بشكل عاصف؟

منى مكرم عبيد
عضو مجلس الشعب سابقًا

تصويب.. تصويب الأخطاء

- جمال حمدان كمال مصر مطلقة، عبقرية، قبل الأقواس مطلقة، والقلقية أو بالأحرى نسبية.

الدولة، على امتداد سبعة وثلاثين عامًا تعرض مفهوم الجماعة الوطنية لهزات عنيفة بت آثارها في الانسحاب التدريجي للانقاط من الحياة العامة، وتفهوم الاختلافات الطائفية، وتراجع مفهوم المواطنة.

.. هذا هو المؤدى الذي ذكره المستشار وليم قلادة في عرضه النقدي لكتاب «المسيحية المصرية التقليدية: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية» لمؤلفه ليودور هول بارتربي في العدد الماضي وهو سؤال يمثل إشكالية تختم بها المؤلف كتابه الذي يقدر العديد من الأطروحات الشائكة الأبعاد والمفاهيم، ويسعدنا أن نورد عرضًا عامًا ملاحظات عامة وخاصة من قبيل تصويب الأخطاء التي لا تقصد لذو قيمة.

أما ملاحظاتنا العامة.. فهي تتلخص في أن المقالة تنتمي إلى كاتبها أكثر من كتاب الكتاب الذي أشار إليه، كما أن القبطية اختصارها أو مدها.. لم يكن الموضوع الأول في الكتاب، وإنما يظل استمرار مصر وحيويتها هو المحور الرئيسي في الكتاب، أما من الملاحظات الخاصة فهي تتحدد في ثلاث:

● يردد البعض موضوع إهمال الحقبة القبطية من مناهج التاريخ المصري المعاصر، وإذا صح هذا، فربما يعود إلى إن المسألة الرئيسية فيها الحالية هي قدرة انضمال ورفض الناس وعن المستعمر، وصد محاولات التدخل الإنجليزي سواء تحت عنوان الرعاية أو الحماية، وهو ما تجده هنديًا في مشاريع الكونجرس الأمريكي يشأن إصدار قوانين الانعتاق من الاصطهاد الديني!! وهو ما يفسر، في جانب منه، استمرارية وجود الكنيسة المصرية كأقدم مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني في مصر، وهو استمرار شبيه بما كان ممتثل في رئاسته وتنظيمه المكتمل والمختلي بذاته داخل مصر على حد قول وليم سليمان قلادة. إذ كانت الكنيسة القبطية في عهد الشيوعي رمزًا للاستقلال الديني والقومي عليه النارية المصري

● أما الملاحظة الثانية فهي تتحدد في أن عزلة للمسيحية المصرية عن المسيحية الأوروبية التي جاءت برأيحًا (وبربرنخة) معًا منتصف القرن السادس الميلادي تعود في الأساس إلى الدين الإسلامي وليس الدين المسيحي.. لأن مكانة آباء الكنيسة المصرية.. كما يريد كاتب المقال، في قيادة حركة الفكر للمسيحي في العالم.. بدت أعلى كل من روما وبيزنطة غير منسقة مع قيادة الإمبراطورية الرومانية وعالميتها، وخاصة في ظل وضع مسيحية تابعة للإمبراطورية الرومانية، ويشكل أخص، في ظل رغبة المصريين للهيمنة والسيطرة الرومانية عليهم سياسيًا ودينيًا.

● أما الملاحظة الثالثة: فمن المعروف أن التزام الكنيسة المصرية بالتقاليد المتراعة دقيقًا منذ نشأتها وإلى اليوم.. لا يتعارض مع حيويتها في مختلف المجالات كما جاء في المقالة المشار إليها. وهذا التقليد مع الذي يشكل الأصل التاريخي في مصر لمفهوم التعددية السياسية.. وإنما ظل استقلال الكنيسة وحرية الرأي من خلال إرساء مبدأ المواطنة وسيادة الوطن، مع ما اكتسبها مقومات الاستمرارية إلى الآن.

وعلى هذا النحو، لم يقلح القرب الشديد بين الكنيسة القبطية في أن تكون بمثابة الحصن الذي يحرر عليه التشدد في شؤونا الداخلية سواء تحت المسميات الدينية أو براءه للمطالحات السياسية.. وإنما ظل استقلال الكنيسة متمثلاً في حيويتها واستمرارها حتى نفضل.. وليم سليمان قلادة.

هاني لبيب

ديمقراطية للبيع !

اثار العرض النقدي الذي قدمه نيلسون لكتاب تشارلز لويس «ديمقراطية للبيع» (العدد الثاني - مارس ١٩٩٩)، مجموعة من الأفكار المهمة التي تقتضي باب النقاش حول قضية المال والسياسة عموماً في الولايات المتحدة الأمريكية، رأى الخاطف ان انتخاب بيانام أعضاءً في تقديم نصف الدور الذي يلعبه المال في الحملة السياسية الأمريكية، وعاب عليه انه يمثل اي نظام صوره الغربي الذي تقدمه لنحو المؤامرة الخفية التي تحدث فيها صفقات غامضة خلف أبواب معلقة

وفي هذا السياق قدم نيلسون أمثلة طيبة يشأن وقائع محددة من الصعب القول إن المال كان اعمامل الحاسم فيها عند اتخاذ القرار، إلا ان هذا لا يعدو ان يكون احتمالاً حول التفاصيل لا يمكن ان يُطرح في سياق الديمقراطية في هو اعمق من ذلك الأمثلة بامثلة تثبت العكس او الاختلاف - على الفضل تقدير - حول أي مجالات السياسة العامة، هي الأقدر معرفة نتائج عمل هيئة معين القرار، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه من المستحيل العملي (في الوقت الحاضر) تحليل دقيق لكيفية صنع القضية والاقتصار على بعض «مدخلات» العملية السياسية، إذ إن المسألة تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير حيث تتعلق جوهر وطبيعة النظام السياسي الأمريكي نفسه، والأقرار الرئيسية التي تعمل لهم ومتركاته.. وترتبط ذه المشكلة أساسًا بدور الدستور الأمريكي الذي عكس موقفاً يدبل بوضوح نحو اعتبار الحكومة «شراً هي» وأنها «ضرورة» يستوجب فرض اعلى قدر ممكن من القيود عليها لكنا تتوخش على حقوق الأفراد او السلطات المحلية الأدنى ومن ثم تم تصميم الدستور الأمريكي على نحو لا

يسمح فقط، وربما ينسجح أيضا على ممارسة النقود على العملية السياسية من الناحية العملية فإن التعددية السياسية الأمريكية تقوم في جوهرها على وتعددية جماعات المصالح، على حد تعبير المرفوسير تيودور لوى. ولان هذه المصالح تتداخل فيما بينها على ممارسة النفوذ، فإنها تحيد بعض النتائج التي ينتج عنه ـ وفق هذا الفكر ـ سياسة عامة تحقق المصالح العام. وبحيازة الحزب فإن «المصلحة العامة» في الفكر الليبرالي الأمريكي هي حاصل جمع المصالح المتحدة نتيجة تنافسها على ممارسة النفوذ.

هذه الروح المتميزة للفكر الأمريكي هي المسئولة في أواقع عن الاستبعاد على جانب كبير من الأهمية. وهي الموقف الذي طالما تبنته، لدرجة العلنية ومثل أيضا، أهم النظريات أهمية أية محاولة جادة لتقييد دور المال في السياسة.

فقد درجت الصحف العالمية الأمريكية على اعتبار إنفاق المال في الحمل السياسي أحد أشكال «حرية الكلمة». إذ يسعى كل طرح إلى شرح القضايا العامة وتوعية الجماهير بشأن أبعادها. ومن هذا المنطلق اعتبرت المحكمة أن أية محاولة لتقييد قدرة الأفراد والجماعات على إنفاق الأموال لهذا الغرض تعمل غير دستوري لأنه «يراقب» لانتهاك «حرية الكلمة» التي يكفلها الدستور. وهذه هي الواقع هي إحدى القضايات الكؤود التي يرفع أصحاب المصالح في استقبالها لحماية نفوذهم قبل أي محاولة لتقييد الدرجم على الإنفاق لأهداف سياسية.

في هذا السياق الأمريكي يمكن مناقشة الانتقادات التي وجهها بيلسون وأوضحت نيومن. فبغض النظر عما إذا كانت الأموال أو ثالث أنت لم توافق نفوذ المال، فإن القضية المحورية هي أن دور المال في السياسة دور مشروع تماما في النسياق الأمريكي. إن اختصب غطاء دستوريا يطمئن الموقف المحكمة العليا إذا الاحتكاك فيتمثل في التفاصيل المتعلقة بتنظيم أساليب إنفاق هذا المال وسبه الثغرات القانونية التي تخرج هذه الممارسة من النطاق المسموح به قانونا

ومن ناحية أخرى، فإن المسألة ليست «إذا كانت هناك مؤامرة من عدمه، وإنما هي الصعوبة البالغة التي تواجهها أية محاولة «لإثبات» حجم نفوذ المال في السياسة. وهي صعوبة مصدرها خصوصية النظام السياسي نفسه ولوثوقه الحاسة، بل وطبيعة تفاعلاته التي أفرزت أساليب وتقنيات بالغة العمق والمهارة يستخدمها أصحاب النفوذ للتأثير على صنع القرار، بينما تعقد من قدرة المواطن العادي، على والأكاديمي على الإمساك بذات الخاطط عن نفوذ المال في هذه الواقعة أو تلك.

وتزعم كتابة هذه السطور أن بحث الأوجه المتعددة وراء صعوبة إثبات دور المال في السياسة هي القضية الأهم التي

منار الشوربجي

إيه اللي جرى لباتشوف، وصابة المثقف على المثقف

خلاص التهائي على الإصدار الجديد الذي استرقي والعميق. وقد حاء فيه فقرة وسط هذا الركام من الكتابات والإصدارات المتنوعة والعبقة. وكان يبدو ناقصا أن أمولنا لا تكتمل لا أدري بسبب طوات فنية أم هي طلبية عاملة تكمن وراء هذه الوفوات؟

ذهبني إلى هذه الملاحظة ما ورد في العدد الثاني من موضوع: شاؤول سخن؛ هل يصبح خاتمي أبا الهو ورباتوف؟ من ٣٤ وما بعدها. فلقد تضمن ثلاثة تحذير أو توجيه بقلم فهمي هويدي. هذه وجهة نظر عاصاتية. ولم استطع فهم منطقية مثل هذا التعليق رغم أنني في الحقيقة أعاصاه هذه بسخرية وقارئته بما يكتب على علب السجائر المدخن مضر بصحتك؛ ولكن القارئ لا حرص لواخذ. فهذه وطريقة يمارسها المثقف على المثقف ومزاولة تشكو من رقابة السلطة السياسية ولكن الآن ظهرت السلطة الثقافية الديمية وهي الأشد معاقبا مهما اتخذ الإعتدال والنقص اللين كان يجب على مجلتكم الغراء في مستهل عهدها أن تعتبر عقولنا وحريتنا الفكرية في تقييم وتقويم ما نكرا. وكان يطن للعاقل أن ينتظر حتى العدد القادم وإذا لم يستطع صبرا كان يمكن أن يعاقب عبد نهاية المقال

د. حيدر إبراهيم علي

مدير مركز الدراسات السودانية

في البدء كانت الكتابة، نموذج ممتاز لنقد قرآن يتخطى عن هدفه

استوقفني بخاصة مقال الكاتب «سايمون ليزه» في البدء كانت الكتابة. وقد نقل ناقد الكتاب مقاله المكثف والمصير نسبيا بخفية عن المؤلف واتهاماته بالتراث والفلسفة الصينية

ومن بداية مرحلة «الانتقاد الاقتصادي» وإلى الآن، والمعنيون بالفكر لا يمكن وهما من التعرف على أبعاد ذلك الدور وحجم تأثيره. وهي القضية التي كانت تستحق أن يعرد لها الكتاب والناقد مساحة أكبر لدراسها في حد ذاتها القريمة الأهم على الإطلاق على خطورة هذا النفوذ المتنامي بالعديد على شتى خلايا النظام السياسي الأمريكي.

منار الشوربجي

إيه اللي جرى لباتشوف، وصابة المثقف على المثقف

خلاص التهائي على الإصدار الجديد الذي استرقي والعميق. وقد حاء فيه فقرة وسط هذا الركام من الكتابات والإصدارات المتنوعة والعبقة. وكان يبدو ناقصا أن أمولنا لا تكتمل لا أدري بسبب طوات فنية أم هي طلبية عاملة تكمن وراء هذه الوفوات؟

ذهبني إلى هذه الملاحظة ما ورد في العدد الثاني من موضوع: شاؤول سخن؛ هل يصبح خاتمي أبا الهو ورباتوف؟ من ٣٤ وما بعدها. فلقد تضمن ثلاثة تحذير أو توجيه بقلم فهمي هويدي. هذه وجهة نظر عاصاتية. ولم استطع فهم منطقية مثل هذا التعليق رغم أنني في الحقيقة أعاصاه هذه بسخرية وقارئته بما يكتب على علب السجائر المدخن مضر بصحتك؛ ولكن القارئ لا حرص لواخذ. فهذه وطريقة يمارسها المثقف على المثقف ومزاولة تشكو من رقابة السلطة السياسية ولكن الآن ظهرت السلطة الثقافية الديمية وهي الأشد معاقبا مهما اتخذ الإعتدال والنقص اللين كان يجب على مجلتكم الغراء في مستهل عهدها أن تعتبر عقولنا وحريتنا الفكرية في تقييم وتقويم ما نكرا. وكان يطن للعاقل أن ينتظر حتى العدد القادم وإذا لم يستطع صبرا كان يمكن أن يعاقب عبد نهاية المقال

د. حيدر إبراهيم علي

مدير مركز الدراسات السودانية

في البدء كانت الكتابة، نموذج ممتاز لنقد قرآن يتخطى عن هدفه

استوقفني بخاصة مقال الكاتب «سايمون ليزه» في البدء كانت الكتابة. وقد نقل ناقد الكتاب مقاله المكثف والمصير نسبيا بخفية عن المؤلف واتهاماته بالتراث والفلسفة الصينية

ومن بداية مرحلة «الانتقاد الاقتصادي» وإلى الآن، والمعنيون بالفكر

لبعض قرائته كشفت لي عن جانبية في المقال. وربما كان سرها غير قليل من الغموض المستتر والمرض المقارن؛ وهو غموض كشف عنه الناقد بتدبير من المراجعة في بداية استعراضه لكتاب فيه مثلا يصرح بانه كان يتعامل مع الكتاب بمشاعر معتدلة. فيها من الحيرة والدهشة بقدر ما فيها من الإحساس بالعجز في إعطاء الكتاب حقه من الإنصاف. وهي نغمة نادرة في عالم النقد!

إن ارتياد المجهول غريزة بشرية . وما الكتاب تماما في كسب أحد قراء مجلة «الكتب وجهات نظر» بإثارة غريزة حب الاستطلاع لديه. وهو كاتب هذه السطور فيما أما بعد قرر وقراءة ثانية متمعنة للمقال لحاول أن تتلمس هذا السر الفاحد مفتاحيا بين ثنايا نصوص الكاتب وانفعال الناقد الصريح بها. وأجده أكثر وضوحا في موقف الناقد من المؤلف وبحرصت المحكمة الأولى في هذه التجربة. وتساءلت: هل يلزم أن يكون الناقد لأي عمل علمي أو أدبي حبيس مقهود ـ التكفير، وجده؟ إن العلاقة الكلاسيكية المعتمدة بين العمل الإبداعي أي الأساسي والناقد مازالت في كثير من صورها علاقة راسية . تتصف من الأعلى «الناقد» إلى الأسفل «المؤلف» ولم تتطور حتى الآن لتصبح أقصى تفاعلية تعاملية بينهي لها أن تكون

والصحر الذي بين أيدينا موضوع ممتاز لناقد الرر في ضوء تجربته الشخصية أن يتفنى عن هدفه في إنصاف الكاتب لعجزه عن ذلك. وإن يكتفي بتحريض القراء على مطالعة الكتاب الذي يعتبر من أهم ما كتب في هذا الموضوع. وقد أفلست مداخلة الدكتور جلال أمين بالتأكيد فإنها أصبحت أقل من أن تكون مداخلة في مناقشة جادة لكتاب مهم. وإن كان أمين لا يتمالك أن يعلن عن إعجابه الشديد بالكتاب. وإن كان قد أبدى بعض التحفظات الهامشية على بعض ما ورد في الكتاب. فإن هذا الإعجاب لم يتجاوز الصفحات الأولى من المقال. وبعدها لم يعد أمين يعرف ما يقول. فأخذ يكرر ما قاله المؤلف في الصفحات الأولى من كتابه. وكأنه لم يقرأ الكتاب كله. وكأنه لم يقرأ الكتاب كله. وكأنه لم يقرأ الكتاب كله

انطلقوا بأطفالكم الى القرن الحادي والعشرين

عصر الكمبيوتر مع

سلسلة مدينة الألعاب

اسطوانة CD تحتوي على ٧ العاب متعددة المستويات متنوعة الأفكار تنمي مهارات الطفل الأساسية مثل قوة الملاحظة، سرعة البديهة، القدرة على الابتكار والتخيل وتمثل أفضل استثمار لأوقات الفراغ.

كما نقدم

روائع قصص الأطفال

بأقلام مشاهير الكتاب في جو درامي وتمثيلي هادف يجعل الطفل يعيش في عالم من الخيال والمتعة والأثارة.

ولأصدقائنا الطلبة نقدم

سلسلة أضواء المعرفة

التي تقدم اللغة العربية، والرياضيات بالفنيين العربية والانجليزية وذلك لثلاث مراحل مختلفة من التعليم.

وتستكمل حاليا هذه السلسلة حتى المرحلة الإعدادية.

شركة ستوديو مصر

للتصميم وانتاج برامج الكمبيوتر التعليمية

٢١ش أحمد عرابي - ميدان سفنكس - المهندسين الجيزة

تيليفون ٣٤٧٢٥٦٤ ٣٤٦٦٤٢٤ فاكس ٠٢٠٣٤٦٢٥٦٧

21 Ahmed Orabi St. sphinx square - Al- Mohandessin

Tel.: (02) 3472864 - 3466434 Fax: (02) 3462576

الباحثين تتوفر على الجزء المتلوى وعلى اللبحث الديناميكي في شعبة المختلفة (ريف - حضر - مجتمع مدني - منظمات اعمال - مهن - حرف - الخ) وتكون مهمة هذا الفريق داخل الإطار النظري، هي التشريح الاجتماعي لتم بيان اجزاء الشريحة الطبقية وابعاد الواقع الاجتماعي والاقتصادي الفائم.

ومن الجوانب والفرائب عدم اهتمام جهاز الدولة المصرية وكذلك الاحزاب السياسية معظم هذا المشروع. وكان الطرفين يفضلان ممارسة اللعبة السياسية بلا قواعد من العلم الراسخ.. وهذا نوع من الإنفصال الشيقي عن الواقع، حسب علمنا فإن جميع الأحزاب السياسية في مصر تقدم براسمها السياسية لجمهور الناخبين دون الاستناد على أبحاث ميدانية أو قياسات حقيقية لأحوال الطبقات في مصر، إلا انه للمثقفة قبل المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية التابع للدولة اهتم بالموضوع. وأعد مشروعا لدراسة الخريطة الطبقية في مصر، وذلك منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما، وأصدر كتابا أول ممتازا اعده الدكتور إبراهيم العيسوي حول المفاهيم المختلفة للموضوع، بالإضافة لعدة حلقات نقاشية جادة تناولت تفاصيل المشروع الذي.. ثم سكتت شهرزاد عن الكلام المباح.. وتعثر المشروع، وتفرقت الهيئة البحثية وأطرافه العلمة ولم نعد نسمع أي جديد عنه.. فهل يدل ذلك على عدم اهتمام النخبة السياسية بالموضوع أم عدم اكتراثها اصلا أم مأ؟ بالضبط؟

***

يشعر المرء بحرج كبير وهيبة أكبر إزاء الخارطة أي حتى التعليق بالنسبة لموضوع الخريطة الطبقية للمجتمع أو موضوع «الطبقة الوسطى» لأن الحديث هنا سيتأطر للمعايير والموازين الدقيقة. فعلى سبيل المثال، فإن لكل طبقة مشروعا تسعى لتطبيقه تلبية لمصالحها وطموحاتها وفكرياتها.. فهل ما تطلق عليه «طبقة وسطى» لها مشروع حاليا في مصر؟ هل يمكن الإجابة على هذا السؤال دون تشريح علمي؟ ثم أين هذا المشروع؟

ربما لا توجد طبقة وسطى، إنما بالأحرى «فئات وسيطة» أو تكوين طبقة، ولكن تسعى وتتواجد بين طبقات أخرى لها تحديد أكثر ومعالم أوضح وفي ضوء ذلك.. قد يكون من الأوفق أن نبحث في الدور والحجم والوزن النسبي لهذه الفئات الوسطة في عملية التنمية وإمكانات التحديث والتغيير.. وقد نفاجأ (بعد الدراسة والتحليل) أنها أكثر رجعية وتقوقعا عما نتصور، أو أنها حائرة بين طبقات مختلفة (على سبيل المثال: كيف يمكن تصنيف مُشغل الكمبيوتر أو مصمم البرامج الحاسب الآلي أو تصنيف سائق يمتلك «تاكسي» يعمل في مدينة القاهرة ويقيم في محافظة القليوبية بأحدى قراها ولديه قطعة أرض يزرعها أو يستأجر من يزرعها ويقوم بتربية بعض الماشية بغرض الاتجار فيها).

الحاصل ان التحولات في الواقع وايضا مخبراته تزيل مصطلحات ومفاهيم قديمة ثم تطرح «المضرورة مفاهيم ومصطلحات جديدة.. فقد تقول لمفهوم الطبقة الوسطى وداعا وتقول لمصطلح الفئات الوسيطة أهلا.. وفي كل الأحوال يجب ان نفتح الباب علمي مصراعيه للدراسة والتحليل والحذف العلمي في قضايا الحالة المجتمعية إذا كنا نرغب بحق في النهضة والتغيير وإعادة تشكيل الهندسة الاجتماعية لبلدنا.

عمرو كمال حمودة

الدور المصري في اكتشاف آثار الإسكندرية الغارقة

إشارة إلى موضوع «آثار الإسكندرية الغارقة.. أسرار تحت الأمواج»، الذي نشر في العدد الثاني من مجلة «الكتب» وجهات نظر» أود أن أسجل بعض الملاحظات التي تلفي الضوء على الجهود التي بذلتها الإدارة المصرية للآثار الغارقة في الإسهام في هذه الاكتشافات.

فقد شهدت السنوات الأخيرة عدة اكتشافات أثرية بهرت العالم وجذبت انتباه وسائل الإعلام العالمية المرئية والمقروءة، بفضل ما كشفته عن صفحات قاتمة كانت مجهولة من التاريخ المصري القديم وتتمثل هذه الاكتشافات في موقع قلعة قايتباي والآثار الغارقة بحورها واحتمال أن تكون أطلال فنار الإسكندرية القديم إحدى عجائب الدنيا السبع. وكذلك اكتشافات الأحياء الملكية وأطلال قصور البطالمة والموانئ الملكية القديمة في منطقة الميناء الشرقي بالإسكندرية وغيرها من الاكتشافات التي مازالت تجذب انتباه المتخصصين في جميع أنحاء العالم.

فأين الدور المصري من هذه الاكتشافات التي تتسابق وسائل الإعلام العالمية للإعلان الأجنبية سواء الفرنسية أو غيرها؟

* * من المعروف أن سواحل مصر حافلة بالشواطئ الغارق سواء في الإسكندرية أو الساحل الشمالي أو شرق أبي قير أو البحر الأحمر وغيرها، وقد كان أبناء مصر أسبق من غيرهم في البحث عن هذا التراث، وكانت أول محاولة مصرية في عام ١٩٣٣ عندما قام الأمير عمر طوسون بتكوين أول بعثة آثار تنقب عن التراث الغارق في خليج أبي قير.

* * * كانت المحاولة الثانية عندما قام الغواص المصري كامل أبو السعادات

نقدم للأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها

أهم أعمال فضيلة الإمام الأكبر

د. محمد سيد طنطاوى

شيخ الجامع الأزهر

- التفسير الوسيط (١٥ جزء).
- القصة في القرآن الكريم (جزآن).
- من أدب الحوار في الإسلام.
- الاجتهاد في الأحكام الشرعية.
- معاملات البنوك وأحكامها الشرعية.
- جوامع الدعاء من القرآن الكريم.
- العقيدة والأخلاق.

وسؤالي إصدار أعمال فضيلته التي تثري المكتبة الإسلامية تباعا بإذن الله.

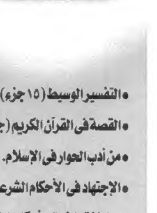

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

الناشر
دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

المركز الرئيسي
٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة – مدينة السادس من أكتوبر.
ت: ٢٣٠٢٨٧٠ / ٠١١ (١٠ خطوط) فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦

مركز التوزيع
١٨ ش كامل صدقي – الفجالة – القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ – ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ فاكس: ٠٢/٥٩٠٢٢٩٦، ص.ب ٩٦ الفجالة.

إدارة النشر
٢١ ش أحمد عرابي – المهندسين – الجيزة
ت: ٣٤٦٦٤٢٤ – ٠٢/٣٤٧٧٨٦٤ فاكس: ٠٢/٣٤٦٥٧٦، ص.ب: ٢٠ إمبابة.

والذي كان عواصما هاويا بالغوص في المواقع التي تحوي آثارا غارقة في سواحل الإسكندرية وذلك طوال فترة التسعينيات وسجل مشاهداته في موقع تتعدد فاتيشاي والميناء الشرقي على خرائط حدد فيها أماكن بعض التوابيت والتماثيل والأعمدة، كما قام بالغوص في خليج أبي قير واستطاع أن يحدد مواقع بعض السفن الغارقة من أسطول نابليون وسجل مواقعها على الخرائط. وقد نظمت أعمال أبو السعادات مرجعا أساسيا لكل البعثات التي قامت بالتنقيب عن حطام أسطول نابليون في أبي قير.

ومع بداية فترة التسعينيات بدأ مجال الآثار الغارقة يشهد طفرة كبيرة وانطلاقة علمية حيث بدأت البعثات الأجنبية تتسابق للكشف عن هذا التراث الغارق مثل بعثة مركز الدراسات السكندرية وهي بعثة فرنسية تعمل في موقع قلعة فاتيشاي، وبعثة المعهد الأوروبي للآثار الغارقة وهي بعثة فرنسية تعمل في الميناء الشرقي وخليج أبي قير، وبعثة معهد الآثار البحرية وهي بعثة أمريكية تعمل في الساحل الشمالي والبحر الأحمر، وبعثة المعهد الهولندي للحفاظ على التراث الغارق وهي بعثة بولندية تعمل في منطقة الشاطبي وزرشدي بالإسكندرية.

وأمام هذه الأهمية الكبيرة والمتزايدة لهذا المجال، وتزايد المواقع الأثرية التي يتم اكتشافها، ومع تزايد البعثات الأجنبية العاملة في هذا المجال والذي سعقبا فيه العديد من دول العالم. ومع الاهتمام الإعلامي العالمي وأمام كل هذه العوامل كانت الحاجة الملحة لإنشاء إدارة مصرية متخصصة للآثار الغارقة. وبالفعل صدر قرار الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار في عام ١٩٩٩ بإنشاء الإدارة العامة للآثار الغارقة ومقرها مدينة الإسكندرية.

• • لقد تضمن القرار انتداب ١٤ أثريا يعملون بالعمل في مجال الآثار الغارقة وكانوا يمثلون إداريا للمتحف اليوناني وتفتيش آثار غرب الدلتا والمناطق الأثرية الأخرى بالإسكندرية وهم يمثلون جميع التخصصات الأثرية الفرعونية واليونانية والرومانية والإسلامية. وكلهم حاصلون على دورات تدريبية متقدمة في مجال الغوص ويجمع معظمهم بين الدراسات العليا والعمل الميداني بالغوص في المواقع الأثرية.

• • كم كانت الخطوة التالية وهي مرحلة اقتحام هذا المجال عمليا، حيث أصبحت الإدارة قادرة على تكوين أول بعثة آثار غارقة بإمكانيات فنية وبشرية مصرية خالصة. وكانت البداية عام ١٩٩٧ في منطقة شرق المنسلة بالإسكندرية عندما قامت هيئة حماية الشواطئ بإقامة كتل خرسانية على الموقع، فقامت الإدارة بإيفاد عمل بحري حماية الشواطئ وبوجود أول مسح أثري بأقدام الإدارة، وتم عمل خريطة للمواقع وتحديد الضواغط الأثرية به، ثم كانت الخطوة التالية عندما تقدم الجانب الفرنسي بطلب لبناء فناق يعمل باشعة الليزر في منطقة الميناء الشرقي وقامت الإدارة بعمل مسح أثري في الموقع المطلوب بجوار نادي الكشافة البحرية وتم اكتشاف أرصفة بحرية تحت ميناء قديما وكذل جرانيتية وأعمدة وتم عمل تقرير وخرائط بالمواقع التي كشفت عنها ورأفعه للامين العام.

• • والواقع أن الاكتشافات التي أعلن عنها مؤخرا والتي نسب فيها الفضل الأول والأخير للبعثات الأجنبية كان بإقرار الإدارة دور مهم في تحقيقها فكيف كان ذلك؟

من المعروف أن البعثات الأجنبية تتحمل التكاليف المادية لإجراء الحفائر والتنقيب عن التراث الغارق وهذه حقيقة واضحة بما يتوافر لها من إمكانيات لم تكن متوافرة لإدارة الآثار الغارقة في السنوات السابقة، وقد اعتمدت هذه البعثات بدرجة كبيرة على مفتشي الآثار المصريين وكان لهم دور كبير في هذه الاكتشافات، وعلى سبيل المثال، فقد قام الأثريون المصريون المتخصصون في الآثار المصرية بنقل وترجمة كل النصوص الهيروغليفية في كل من الميناء الشرقي وقلعة فاتيشاي وقام كذلك الأثريون المصريون المتخصصون في الآثار اليونانية بترجمة النصوص الاتينية واليونانية وهي ترجمات اعتمدت عليها البعثات الأجنبية في نشرها العلمي لهذه الاكتشافات. كما استطاع الأثريون المصريون الكشف عن العديد من القطع الأثرية التي تعتبر من روائع الحضارة المصرية سواء الأعمدة أو التماثيل أو المسلات أو قطع العملات وغيرها من القطع الأثرية. وقد استطاعت هذه المجموعة من الشباب إثبات وجودهم في هذا المجال لدرجة أن البعثات الأجنبية أصبحت تعتمد عليهم بدرجة كبيرة في أعمال الحفائر والمسح الأثري والتصوير تحت الماء.

ومن ناحية أخرى، يجب توافر خبرات خاصة للأثري الذي يعمل في هذا المجال في كيفية التعامل مع الآثار ورسمه وتسجيله وتصويره في كل مراحل الاكتشاف.

• • والواقع أن هذه المجموعة من الشباب يمثلون نموذجا للشباب المصري الذي استطاع أن يفتح مجالا ظل قاصرا على البعثات الأجنبية لسنوات طويلة وهو مجال سبقنا إليه العديد من الدول في حوض البحر المتوسط وستر بلدان العالم. وفي خلال شهور قليلة استطاعوا اكتساب خبرات واسعة نالت احترام وتقدير الدول الأخرى التي لها باع طويل في هذا المجال.

إبراهيم درويش
مدير إدارة الآثار الغارقة بالإسكندرية

الفكر الحافي

■ تمثل الساحة الفكرية والثقافية في العالم العربي هذه الأيام معارك أشبه ما تكون بعواصف الخماسين الرملية، تثير من زوابع الجدل العقيم أكثر مما تثير من قضايا جوهرية. وتسد العيون والآذان عن الرؤية السليمة، وتعيد طرح مشكلات لا تمس صميم الإبداع والتجديد بقدر ما تكشف عن الارتباك والتخبط الذي يمس موقف مجتمعاتنا العربية في العصر الحديث من حرية الفكر والثقافة والانفتاح على العالم.

وأخطر هذه القضايا بدون شك وأكثرها دلالة على الغياب الحقيقي عن عالم أصبح الحديث فيه عن غزو الفضاء والسيبرسبيس والعولمة، زاداً يومياً للفكر والتأمل في جميع مجالات الحياة، هي قضية التدخل الخارجي من جانب مراكز للسلطة لا علاقة لها بالتعليم الأكاديمي، ولا بالبحث الحر، ولا بتربية أجيال جديدة قادرة على القراءة والفهم والحكم السليم على إنتاج عالمي متدفق وغزير ومتنوع بغير قيود.. احتماءً بذرائع «أخلاقية» والوقوف في الدفاع عن «الفضيلة»، والوقوف في وجه الإباحية والتبذل.

والقضية التي نشير إليها هنا هي قضية تدخل وزير التعليم العالي ومن بعده لجنة التعليم بمجلس الشعب لمنع تدريس قصة في الأدب المعاصر من تأليف الأديب المغربي محمد شكري هي «الخبز الحافي»، بحجة أن بعض أولياء الأمور رأوا في الكتاب نوعاً من الأدب الإباحي أو البورنو. وهو ما يمثل في رأيهم خطراً على أخلاق الشباب، ينبغي أن نعصمهم منه ونغلق عيونهم عنه، وهي حجج ثقافية سقيمة، تخفي وراءها نوعاً من السلطوية الفكرية البغيضة، والظلامية العمياء، والتحرش العقلي بأجيال ينبغي أن تتعلم في الجامعة كيف وماذا ولماذا تقرأ، دون وصاية من الشارع ولا من الوزير ولا من الخفير، لأنه حين يموت كل هؤلاء، فمن الذي سيعلم أبناءنا ماذا يقرأون وماذا يشاهدون؟ من الذي سيربي لديهم ملكة الحكم على الغث والسمين؟ وإذا لم تكن هذه هي مهمة التعليم الأكاديمي فمن تكون مهمته؟ ولماذا يدفع الناس بنائهم وبناتهم إلى تعليم جامعي عال، هو بحكم تعريفه وطبيعته انفتاح على المعرفة الإنسانية في آفاقها المختلفة، وتدريب الملكة النقد الأكاديمي على توخي الموضوعية وسلامة الحكم والتقويم.

ومع ذلك فالكتاب في حد ذاته نوع من أدب السيرة الذاتية، صدر قبل نحو ثلاثة عقود، وترجم إلى لغات مختلفة، وبيعت منه ألوف النسخ في المغرب والعالم العربي، وطرح في المكتبات ومعرض الكتاب في القاهرة، وتعبر القصة بصاحبها مرحلة الطفولة والمراهقة، وما صاحبها من تحولات نفسية واجتماعية ومكانية.. تناوله نقاد الأدب باعتباره بعض تجليات الأدب المغربي الحديث، ولم تثر حوله مثل هذه الضجة الفوغائية التي ملأت بعض الصحف في مصر وشغلت من لا شاغل لهم.. ولم يؤخذ ما فيه من عُرى في العبارة أو خشونة في اللفظ على أنه أدب جنسي بالمعنى الذي يجرد الكتاب من قيمته الأدبية. فقد عرف الأدب العربي أشعار أبي نواس الإباحية وقصص ألف ليلة وليلة قديماً، وروايات أخرى لأدباء معروفين مثل رواية الطيب صالح «موسم الهجرة للشمال» حديثاً، دون أن تعلن حالة الطوارئ الفكرية في الجامعات ويفرض عليها منع التجول.

والحقيقة هي أنه لم يكن ذلك الكتاب وحده هو الذي تعرض للحظر داخل النطاق الأكاديمي، بل شهدت كلية الآداب في جامعة القاهرة مشهداً مماثلاً لكتاب ليس فيه أدب مكشوف أو غير مكشوف. ولكنه كتاب حاد العبارة شديد اللهجة، كتبه عبد الله النديم في الرد على بعض الخصوم السياسيين، وهو كتاب «السامير» الذي يدرسه أساتذة التاريخ كنموذج للكتابة السياسية في مصر في القرن التاسع عشر.. وثارت حوله ضجة مفتعلة وجرى فيه التحقيق مع الأستاذ الذي قرأ الكتاب على طلابه في الجامعة أو استشهد ببعض صفحاته.

وهنا يصح أن نتوقف لنسأل: ما هو الهدف من التعليم الجامعي في العالم العربي؟ وما هو الهدف من تدريس الآداب العربية والعالمية في الجامعات إذا تركنا للشارع تحديد المناهج الأكاديمية والمقررات الدراسية، واضطرت الجامعات إلى الخضوع لما يفرض عليها من معايير غوغائية؟

الجواب على ذلك، أننا سوف نجد أنفسنا بإزاء نوع من الفكر الحافي أو الأدب الحافي أو الثقافة الحافية. مجرد كسرة من الزاد لا تقيم أوداً ثقافياً، ولا تشبع جوعاً فكرياً، ولا تملأ عقلاً مفتوحاً، ولا تربط بين الإنسان العربي والعصر الذي يعيش فيه.. سوف ترتد إلى عصر البغال والحمير، ننتقل بها في الزمان والمكان داخل قوقعة مغلقة.. نتقشف جزعاً وفرقاً مع كل إنتاج عقلي لا يرضى البعض عنه!

ولهذا لم يكن غريباً أن يتحول السجال الصحفي الذي جرى رعداً ومطراً في معرض الكتاب بين الشاعرين الكبيرين أحمد عبد المعطي حجازي، وأدونيس إلى معركة طاحنة.. ترتفع فيها نبرة الإقليمية والشوفينية، وتضيع فيها العناصر الجوهرية لاختلاف الرأي والذوق الشعري وتعدد المدارس الأدبية. هذا التعدد الذي يثري الحياة الفكرية والعقلية، ويعيد للعقل العربي خصوبته وغناه. ومن أسف أن الذين حولوا هذا السجال إلى خصومة سياسية أو شعوبية، لم يكن حجازي ولا أدونيس، ولكن بعض الصوارين من الكثر الذاس بعدا عن الإبداع، وأقلهم ذيوعاً واعترافاً في دنيا الشعر العربي الحديث وما بعد الحديث.

يتصل بهذا من قريب ذلك التحزب الأعمى، والميل إلى إثارة المعارك الكلامية الجوفاء، ونبش قبور الموتى.. بالدعوة إلى نقل رفات مي زيادة من مثواها الأخير في القاهرة لدفنها في وطنها الأصلي لبنان. وكأن مي زيادة التي ولدت في فلسطين (الناصرة) وتعلمت في لبنان، ثم تفتحت مواهبها في مصر لتفد قبلة المفكرين والأدباء والمبدعين في صالونها الأدبي.. سوف تزداد مجداً وخلوداً وتكريماً لو نقلت عظامها من أرض مصر إلى أرض لبنان.

هذا العبث بالعقول، والانصراف إلى القشور، والانغماس في شكليات لا طائل من ورائها، والوقوف على أطلال قضايا لا تقدم ولا تؤخر، هي أسوأ الأعراض لمرض عربي عضال، يتفشى في جميع التصرفات والسياسات. فلا يخرج لنا غير أجيال من الحفاة العراة التي تعيش على الكفاف العقلي والإملاق الروحي.. جهودهم تذهب هباء فلا يبقى منها شيء. ■

سلامة أحمد سلامة

دار الأوبرا المصرية

ترحب بكم

Designed by: Amr El Sherif

دار الشروق

تقدم أحدث إصداراتها

تطلب من دار الشروق ٨ شارع سيبويه المصرى . رابعة العدوية مدينة نصر ت: ٤٠٢٣٣٩٩ ومكتبة الشروق ١ ميدان طلعت حرب ت: ٣٩١٢٤٨٠

ومن المكتبات الكبرى

العروش والجيوش
محمد حسنين هيكل

التأزم السياسى عند العرب وسوسيولوجيا الإسلام
د. محمد جابر الأنصارى

الحماية الدستورية للحقوق والحريات
د. أحمد فتحى سرور

زمن الانكسار والانتصار
د. عصمت عبد المجيد

محاكمة الصهيونية الإسرائيلية
روجيه جارودى

حفارو القبور
روجيه جارودى
ترجمة: عزة صبحى

التعايش مع الخوف
إيزاك م. ماركس
ترجمة: د. محمد عثمان نجاتى

الأعمال الشعرية
محمد عفيفى مطر

كيف نتعامل مع القرآن الكريم
د. يوسف القرضاوى

من فقه الدولة فى الإسلام
د. يوسف القرضاوى

كل معانى الحب
انيس منصور

زمن الهموم الكبيرة
انيس منصور

دليل الأسرة الذكية إلى أمراض القلب وشرايينه التاجية
د. أيمن أبو المجد

حكاية الكتاب
معيى الدين اللباد

المستكشفون الميكروسكوبيون
ترجمة: زينب شحاتة

فراشة الأميرة الحمراء
نبيل خلف
رسوم: حلمى التونى